# شرح عقيدة الإمام

# أبي عبد الله سفيان بن سعيد الثوري

(ت: ١٦١ هـ)

تأليف

أ.د محمد بن خليفة التميمي



# مقدمة الشارح

الحمد لله نحمده، ونَستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيِّئات أعمالنا، مَن يَهده الله فلا مضلَّ له، ومَن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أنْ لا إلـه إلا الله وحْده لا شـريك لـه، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: الآية: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: الآية: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۞يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب: الآيتان: ٧٠ – ٧١].

**أمَّا بعدُ:**

فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وأحسنَ الهَدْي هدي محمدٍ، وشرَّ الأُمُور مُحدثاتها، وكلَّ مُحدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار.

قمت -بفضل من الله وعون- في شرح عدد من متون الاعتقاد للمتقدمين من الأئمة والعلماء من أهل السنة وكان منها:

١-أصول السنة للحميدي (ت: ٢١٩ هـ).

٢-رسالة أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل (ت: **٢٤١ هـ)**.

٣-رسالة الإمام أحمد بن حنبل إلى مسدد بن مسرهد.

٤-شرح السنة للبربهاري (ت: ٣٢٩ هـ).

٥-عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني (ت: ٤٤٩ هـ).

وهذا شرح لرسالة "اعتقاد أبي عبد الله سفيان بن سعيد الثورى"، وهو اعتقاد موافق لما يعتقده أهل الحديث والأثر، أهل السنة والجماعة، ويكتسب أهمية لعدة اعتبارات منها:

**الاعتبار الأول:** أنه من أقدم النصوص التي وردت في هذا الباب فالإمام سفيان بن سعيد الثوري توفي سنة ( ١٦١هـ) وبذلك هو متقدم من حيث المدى الزمني على كثير ممن كتب رسائل وكتب في الاعتقاد. فالإمام سفيان الثوري ممن عاش في القرون المفضلة فهو من عصر تابعى التابعين، والآثار المروية عنه في العقيدة حجة في بابها، وبيان لما كان عليه السلف الصالح-رحمهم الله-في تلك القرون.

**الاعتبار الثاني:** مكانة سفيان بن سعيد الثوري فهو شيخ الإسلام، وإمام الحفاظ في زمانه، الذي شهد له الجهابذة من العلماء بالفقه في الدين والإمامة في السنة وسيأتي تفصيل ذلك عند ترجمته.

**الاعتبار الثالث:** ما حوته هذه الرسالة من أصول في الاعتقاد تواصى بها أئمة أهل السنة قديمًا وحديثًا وتوارثوا القول بها والدعوة إليها قرنًا بعد قرن.

وهذه السلسة المباركة من الشروح الهدف منها تقريب تلك المؤلفات لطلاب العلم المتبعين لمنهج السلف الصالح.

ولما كانت العادة جارية عند المتقدمين من علماء السلف هي ذكر المسائل مجملة دون الدخول في التفاصيل لدوعى عدة اقتضاها المقام عندهم، ولعل من أهم هذه الأسباب كون غالبهم يدون معتقده بجمل وعبارات مختصرة يبين فيها أهم مسائل الاعتقاد وما تدعو إليه الحاجة من المسائل التي كثر فيها الخلاف مع خصوم أهل السنة مراعاة للاختصار والتركيز على ما تدعو الحاجة لبيانه دون دخول في التفاصيل التي لها مقامها الخاص بها.

ولما كانت نصوص هذا الاعتقاد الذي بين أيدينا تتكون من مسائل، وكل مسألة يمكن اعتبارها بابًا من أبواب الاعتقاد لكثرة ما تحتويه من مسائل وتفاصيل دقيقة ومهمة، فإن

الشرح لها يتطلب البسط والتوسع في ذكر تفاصيل تلك المسائل بما تحتويه من تفاصيل، وهذا هو المسلك الذي سلكته في الشرح بغية الإفادة لطلاب العلم.

وأقر بتقصيري وضعفي إن كان في هذا الشرح خلل، أو قصور، أو نقص، أو خطأ، فهذا شأن طبيعة العمل البشري، فالكمال عزيز.

والله وحده أسأل أن ينفع بهذا الشرح، وأن يجعله عملًا صالحًا ولوجهه خالصًا وأن لا يجعل لأحد فيه شركًا.

## نبذة عن الإمام سفيان بن سعيد الثوري -رحمه الله-:

هو شيخ الإسلام، إمام الحفاظ، أمير المؤمنين في الحديث، أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري.

والده: سعيد بن مسروق الثوري، كان والده من أصحاب الشعبي، وخيثمة بن عبدالرحمن، ومن ثقات الكوفيين، وعداده في صغار التابعين، روى له أصحاب الكتب الستة، وحدث عنه أولاده: سفيان الامام، وعمر، ومبارك، وشعبة بن الحجاج، وزائدة، وأبو الاحوص، وأبو عوانة، وعمر بن عبيد الطنافسي، وآخرون، ومات والده سنة ١٢٦هـ.(١)

ولد سفيان الثوري سنة ٩٧ بالكوفة، في خلافة سليمان بن عبد الملك.(٢)

### طلبه للعلم:

طلب الإمام سفيان العلم مبكرًا، وقد كانت أمه تشجعه على ذلك، وكانت تقول له:"اذهب فاطلب العلم وأنا أعولك بمغزلي، فإذا كتبت عشرة أحاديث فانظر هل تجد في نفسك زيادة فاتبعه، وإلا فلا تتعن.(٣)

وقد نبغ الثوري في سن مبكرة، قال ابن مهدي: رأى أبو إسحاق السبيعي سفيان الثوري مقبلا: فقال(٤): ﴿وآتيناه الحكم صبيا﴾ [ مريم: الآية: ١٢].

ولذلك طارت شهرته في الأفاق، قال يحيى بن أيوب العابد: حدثنا أبو المثنى قال:

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٣٠).
(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (٦/ ٣٧١).
(٣) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٣٠).
(٤) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٣٧).

"سمعتهم بمرو يقولون: قد جاء الثوري، قد جاء الثوري، فخرجت أنظر إليه، فإذا هو غلام قد بقل وجهه".[١]

**وفاته**:

كانت وفاته سنة ١٦١هـ في خلافة المهدي.[٢]

## علمه

## إمامته في علم التفسير:

كان الإمام الثوري رحمه الله مبرزاً في علم التفسير، وقد اعتمد المفسرون عليه في تفسير معاني القرآن الكريم، وقد ذكر الإمام الثوري عن نفسه أنه بتقن هذا العلم الشريف.

قال عبد الرزاق: سمعت سفيان يقول: "سلوني عن علم القرآن والمناسك، فإني عالم بهما".[٣]

وكان عبد الرحمن بن مهدي يقول: كان سفيان يأخذ المصحف فلا يكاد يمر بآية الا فسرها فربما مر بالآية فيقول أي شيء عندك في هذه؟ فأقول ما عندي فيها شيء، فيقول: تضيع مثل هذه لا يكون عندك فيها شيء؟.[٤]

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٣٦)، بَقْلٌ و بَقَلَ وجه الغلام خرجت لحيته، انظر الرازي مختار الصحاح، (١/ ٧٣).

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (٦/ ٣٧٣).

(٣) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٤٧)، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١/ ١١٧).

(٤) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١/ ١١٦).

## إمامته في علم الحديث

كان الإمام الثوري من علماء الحديث المعدودين في عصره، وكان دائم الحث على طلب علم الحديث والعناية به، محذراً ممن يكذب على رسول اللّٰه عليه الصلاة والسلام.

قيل لسفيان الثوري: إلى متى تطلب الحديث؟ قال: "وأي خير أنا فيه خير من الحديث، فأصير إليه؟ إن الحديث خير علوم الدنيا".(١)

وكان سفيان يقول: "الاسناد سلاح المؤمن، فمن لم يكن له سلاح، فبأي شيء يقاتل".(٢)

وكان يقول: الملائكة حراس السماء، وأصحاب الحديث حراس الارض.

وقال يحيى بن يمان: قيل لسفيان: ليست لهم نية-يعني أصحاب الحديث-؟ قال: طلبهم له نية، لو لم يأتني أصحاب الحديث لأتيتهم في بيوتهم .

وقال الخريبي: سمعت سفيان يقول: "ليس شيء أنفع للناس من الحديث".(٣)

قال شعبة: "سفيان أمير المؤمنين في الحديث".(٤)

وقد اعتبر الإمام سفيان بن عيينة الإمام الثوري إمام الحديث في عصره، قال ابن عيينة:" أصحاب الحديث ثلاثة: ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والثوري في زمانه".(٥) وعن ابن مهدي قال: "ما رأيت رجلا أعرف بالحديث من الثوري".(٦)

ومن أوجه المقارنة التي عقدها علماء الحديث بين الثوري ومعاصريه ما قاموا به من

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٤٧).

(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٧٣-٢٧٤).

(٣) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٧٤).

(٤) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٣٨).

(٥) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٤٠).

(٦) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٤٨).

مقارنة بينه وبين شعبة وأبي حنيفة والإمام مالك وعبد الله بن المبارك

قال يحيى بن سعيد: سفيان أثبت من شعبة، وأعلم بالرجال.(١)

وقال أبو عبيدة الآجري: سمعت أبا داود يقول: ليس يختلف سفيان وشعبة في شيء، إلا يظفر به سفيان، خالفه في أكثر من خمسين حديثا، القول فيها قول سفيان.

وعن يحيى بن معين قال:"ما خالف أحد سفيان في شيء، إلا كان القول قول سفيان".(٢)

## إمامته في الفقه

كان الإمام سفيان الثوري فقيهاً مجتهداً، يعد من كبار الأئمة المجتهدين البارزين، وقد مدحه علماء عصره بهذا الاجتهاد في الفقه.

قال الدوري رأيت يحيى بن معين لا يقدم على سفيان في زمانه أحداً في الفقه.(٣)

وقال عبد الله بن المبارك: "ما أحد عندي من الفقهاء أفضل من سفيان بن سعيد".(٤)

وعن ابن عيينة قال:"ما رأيت رجلا أعلم بالحلال والحرام من سفيان الثوري".(٥)

وقال الخريبي:"ما رأيت أفقه من سفيان" (٦)

وعن زائدة، وذكر عنده سفيان، فقال:"ذاك أفقه أهل الدنيا".(٧)

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٣٩).

(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٤٠).

(٣) تهذيب التهذيب لابن حجر (٤/ ١٠١).

(٤) تاريخ بغداد (٩/ ١٥٧).

(٥) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٣٨).

(٦) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٤٠).

(٧) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٤٧).

## مصنفات الإمام الثوري:

يعد الثوري من المصنفين الأوائل، وقد ذكر العلماء من كتبه :

١-**الجامع الكبير**: وهو كتاب يجمع فيه فقه الصحابة والتابعين، وضعه على طريقة المحدثين، يذكر الأقوال بأسانيد ويذكر قوله، وهو من أطول الكتب [١]، ألفه بالكوفة ورواه عنه جماعة، منهم يزيد بن أبي الحكم، وعبد اللّه ابن الوليد العدني، وابراهيم بن خالد الصنعاني.[٢]

٢-**الجامع الصغير**، وهو كتاب في الحديث رواه عنه الاشجعي، وغسان بن عبيد، والمعافى بن عمران الموصلي، وغيرهم.[٣]

٣-**كتاب : الفرائض.**[٤]

٤-**التفسير**، وهو كتاب من كتب التفسير بالمأثور، لم يفسر فيه الثوري جميع آيات القرآن الكريم، بل يفسر من الآيات والجمل تلك التي وصله شيء من تفسيرها عن أحد من السلف، وما عثر عليه من هذا التفسير يشتمل على تسع وأربعين سورة من القرآن الكريم، آخرها سورة الطور.[٥]

٥-**رسالة إلى عباد بن عباد الارسوفي.**[٦]

٦-**رسالة إلى أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن أبي ذئب.**[٧]

(١) موسوعة فقه سفيان الثوري (ص: ٦٣).
(٢) الفهرست لابن النديم (١/ ٣١٤).
(٣) الفهرست لابن النديم (١/ ٣١٤).
(٤) الفهرست لابن النديم (١/ ٣١٤).
(٥) موسوعة فقه سفيان الثوري (ص: ٦٣).
(٦) الفهرست لابن النديم (١/ ٣١٤).
(٧) الفهرست لابن النديم (١/ ٣١٥).

## عقيدته

كان سفيان الثوري-رحمه اللّٰه-على عقيدة السلف الصالح، شديدًا في اتباع كتاب اللّٰه وسنة رسوله-عليه الصلاة والسلام-، متمسكًا بهما حاثًا على ذلك.

ومما نقل عنه-رحمه الله-:

**التمسك بالسنة:**

قال ابن المبارك، عن سفيان:"استوصوا بأهل السنة خيرا، فإنهم غرباء".[١]

وقال يوسف بن أسباط :"سمعت سفيان الثوري يقول"إذا بلغك عن رجل بالمشرق صاحب سنة وآخر بالمغرب فابعث اليهما بالسلام وادع لهما ما أقل أهل السنة والجماعة".[٢]

وقال أبو سعيد الاشج: سمعت ابن إدريس يقول:"ما رأيت بالكوفة رجلا أتبع للسنة ولا أود أني في مسلاخه [٣] من سفيان الثوري".[٤]

**موقفه من الصحابة:**

كان الإمام سفيان على مذهب جمهور أهل السنة في حب أصحاب رسول اللّٰه-عليه الصلاة والسلام-حبًا شديدًا.

قال الفريابي، سمعت سفيان ورجل يسأله عن من يشتم أبا بكر؟ فقال: كافر بالله العظيم.

قال: نصلي عليه؟ قال: لا، ولا كرامة.

قال: فزاحمه الناس حتى حالوا بيني وبينه، فقلت للذي قريبا منه: ما قال؟ قلنا: هو يقول: لا إله إلا الله، ما نصنع به؟ قال: لا تمسوه بأيديكم، ارفعوه بالخشب حتى تواروه في قبره.[٥]

---

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٧٩)، أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ٦٤).

(٢) أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ٦٤).

(٣) في مسالخه: أي في هديه وسمته.

(٤) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٥٣).

(٥) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٥٣).

وقال عبد العزيز بن أبان: سمعت الثوري يقول: "من قدم على أبي بكر وعمر أحدًا، فقد أزرى على اثني عشر ألفا من أصحاب رسول اللّٰه-صلى اللّٰه عليه وسلم-توفي رسول اللّٰه وهو عنهم راض".[١]

وعن عثام بن علي: سمعت الثوري يقول: "لا يجتمع حب علي وعثمان إلا في قلوب نبلاء الرجال".[٢]

ويبدو أن الإمام سفيان الثوري كان فيه تشيع في بداية عمره، إذ يقول الذهبي عنه :"وفيه تشيع يسير، كان يثلث بعلي[٣]

قال أبو بكر بن عياش: كان سفيان ينكر على من يقدم على أبي بكر وعمر أحدًا من الصحابة، إلا أنه كان يقدم عليًا على عثمان.[٤]

**أما في مسألة ترتيب الخلفاء الأربعة فقوله موافق لقول أئمة السنة**

قال عبد اللّٰه بن محمد بن يوسف الفريابي، حدثنا أبي: سمعت سفيان يقول:"إن قوما يقولون: لا نقول لأبي بكر وعمر إلا خيرًا، ولكن علي أولى بالخلافة منهما، فمن قال ذلك، فقد خطأ أبا بكر وعمر وعليًا، والمهاجرين والانصار، ولا أدري ترتفع مع هذا أعمالهم إلى السماء؟ [٥]

وعن زيد بن الحباب قال: "خرج سفيان-في رحلته للبصرة-إلى أيوب، وابن عون، فترك التشيع".[٦] والظاهر أن أيوب وابن عون أثرا على سفيان مما ادى به إلى تغيير رأيه.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٥٤).

(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٧٣)، الشريعة للآجري (٥/ ٣).

(٣) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٤١).

(٤) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٥٣).

(٥) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٥٣).

(٦) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٥٣)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ٦٣).

## عقيدته في الإيمان:

قال أبو بكر بن عياش: "كان سفيان ينكر على من يقول: العبادات ليست من الايمان".[١]

قال عبد الرزاق: سمعت مالكًا، والأوزاعي، وابن جريج، والثوري، ومعمرًا، يقولون: "الايمان قول وعمل، يزيد وينقص".[٢]

وكان يقول: الإيمان قول وعمل ونية يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ولا يجوز القول إلا بالعمل ولا يجوز القول والعمل إلا بالنية ولا يجوز القول والعمل والنية إلا بموافقة السنة، وموافقة السنة تقدمة الشيخين أبي بكر وعمر -رضي اللّه عنهما-.[٣]

أما بدعة الارجاء فكان موقفه منها قد تجلى لما ترك الصلاة على أحد الأشخاص المتهمين بهذه البدعة، قال مؤمل بن إسماعيل: "لم يصل سفيان على ابن أبي رواد [٤] للإرجاء" [٥]

## عقيدته في باب الأسماء والصفات

أما موقفه ممن عطل أو شبه أسماء اللّه وصفاته، فقد تجلى في اجابته لأسئلة البعض، فقد قال معدان: سألت الثوري عن قوله: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ [الحديد: الآية: ٤ ] قال: علمه[٦]، وسئل سفيان عن أحاديث الصفات، فقال: "أمروها كما جاءت".[٧]

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٥٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٥٢)، الشريعة للآجري (١/ ٢٦٨).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ١٥٢-١٥٣).

(٤) هو عبد العزيز بن أبي رواد.

(٥) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٧٣).

(٦) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٧٤)، الشريعة للآجري (١/ ٢٢٦).

(٧) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٧٤).

## عقيدته في باب القدر

وكان ينكر على القدرية، ومن ذلك قوله: "والله ما قالت القدرية ما قال اللّٰه ولا ما قالت الملائكة ولا ما قالت النبيون ولا ما قال أهل الجنة ولا ما قال أهل النار ولا ما قال أخوهم ابليس -لعنه اللّٰه-، قال اللّٰه -عز وجل -: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: الآية: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [التكوير: الآية: ٢٩]، "وقالت الملائكة: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: الآية: ٣٢]، وقال موسى -عليه السلام-: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ﴾ [الأعراف: الآية: ١٥٥]، وقال نوح -عليه السلام-: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: الآية: ٣٤]، وقال شعيب -عليه السلام-: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأعراف: الآية: ٨٩]، وقال أهل الجنة : ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: الآية: ٤٣]،

وقال أهل النار: ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ [المؤمنون: الآية: ١٠٦]، وقال أخوهم ابليس لعنه اللّٰه : ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: الآية: ٣٩] (١)

## موقفه من أهل البدع:

كان الإمام سفيان شديد التحذير من أهل البدع وينبىء عن ذلك ما أثر عنه فقد قال: "من أصغى بسمعه إلى صاحب بدعة، وهو يعلم، خرج من عصمة الله، ووكل إلى نفسه".

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ١٥٣-١٥٤).

وقال أيضًا: "من سمع ببدعة فلا يحكها لجلسائه، لا يلقها في قلوبهم".[١]

وقال أيضًا: "البدعة أحب إلى إبليس من المعصية والمعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها".[٢]

وكان له مواقف متميزة مع أهل البدع، ومن ذلك موقفه من بدعة خلق القرآن، فقد كان الإمام سفيان يكفر من يقول بخلق القرآن، ومن ذلك قوله: "القرآن كلام اللّٰه غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود من قال غير هذا فهو كفر".[٣]

وقوله من زعم أن ﴿قل هو الله أحد﴾ [الإخلاص: الآية: ١] مخلوق، فقد كفر بالله.[٤]

وفي وصية جامعة له حذر الإمام سفيان من بعض الفرق الضالة المنحرفة عن هدي الاسلام الحنيف، كالمرجئة والمعتزلة والشيعة وغيرهم، أوردها هنا كاملة لفائدتها الكبيرة .

قال سفيان الثوري -رحمه الله-:"اتقوا هذه الأهواء المضلة، قيل له: بين لنا -رحمك اللّٰه-؛ قال سفيان:

**أما المرجئة فيقولون:** الإيمان كلام بلا عمل، من قال: أشهد أن لا إله إلا اللّٰه وأن محمدًا عبده ورسوله فهو مؤمن مستكمل إيمانه على إيمان جبريل والملائكة وإن قتل كذا وكذا مؤمنًا وإن ترك الغسل من الجنابة وإن ترك الصلاة، وهم يرون السيف على أهل القبلة

**وأما الشيعة**: فهم أصناف كثيرة: منهم المنصورية ؛ وهم الذين يقولون: من قتل أربعين من أهل القبلة دخل الجنة، ومنهم الخناقون الذين يخنقون الناس ويستحلون أموالهم، ومنهم الخرينية الذين يقولون: أخطأ جبريل بالرسالة، وأفضلهم الزيدية وهم ينتفون من

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٦١).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ١٣٢).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ١٥١).

(٤) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٧٣).

عثمان وطلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين-رضي اللّٰه عنهم-، ويرون القتال مع من خرج من أهل البيت حتى يغلب أو يغلب، ومنهم الرافضة الذين يتبرءون من جميع الصحابة ويكفرون الناس كلهم إلا أربعة: عليًا وعمارًا والمقداد وسلمان،

**وأما المعتزلة**: فهم يكذبون بعذاب القبر وبالحوض والشفاعة ولا يرون الصلاة خلف أحد من أهل القبلة؛ إلا من كان على هواهم، وكل أهل هوى، فإنهم يرون السيف على أهل القبلة.

**وأما أهل السنة:** فإنهم لا يرون السيف على أحد، وهم يرون الصلاة والجهاد مع الأئمة تامة قائمة، ولا يكفرون أحدا بذنب، ولا يشهدون عليه بشرك ويقولون: الإيمان قول وعمل، مخافة أن يزكوا أنفسهم، لا يكون عمل إلا بإيمان، ولا إيمان إلا بعمل.

قال سفيان : فإن قيل لك: من إمامك في هذا؟ .فقل : سفيان الثوري-رحمه اللّٰه-".[١]

## ثناء العلماء عليه

وسفيان الثوري هو سيد أهل زمانه في العلم والدين، من كبار تابعي التابعين وأحد الأئمة المجتهدين الذين كان لهم أتباع، مصنف كتاب (الجامع).

ولا يختلف في إمامة سفيان وأمانته وحفظه وعلمه وزهده.

قال يونس بن عبيد: "ما رأيت أفضل من سفيان الثوري، فقيل له: يا أبا عبد الله رأيت سعيد بن جبير، وإبراهيم، وعطاء، ومجاهدا وتقول هذا؟ قال: هو ما أقول، ما رأيت أفضل من سفيان".[٢]

وقال ابن مهدي:"ما رأت عيناي أفضل من أربعة، أو مثل أربعة، ما رأيت أحفظ للحديث

(١) الشريعة للآجري (١/ ٢٧٩).

(٢) تاريخ بغداد (٩/ ١٥٥)، سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٣٧).

من الثوري، ولا أشد تقشفا من شعبة، ولا أعقل من مالك، ولا أنصح للامة من ابن المبارك" وقال أيضاً:"كان وهيب يقدم سفيان في الحفظ على مالك"، وقال عبد العزيز بن أبي رزمة: قال رجل لشعبة: خالفك سفيان، فقال: دمغتني ".[١]

وقال عباس الدوري:"رأيت يحيى بن معين، لا يقدم على سفيان أحداً في زمانه، في الفقه والحديث والزهد وكل شيء"، وقال أيوب السختياني: "ما قدم علينا من الكوفة أحد أفضل من سفيان الثوري"و قال شعبة:"سفيان أحفظ مني ".[٢]

وقال الإمام أبو حنيفة في حق الثوري:"لو كان سفيان الثوري في التابعين، لكان فيهم له شأن"، وقال أيضاً :"لو حضر علقمة والاسود، لاحتاجا إلى سفيان"، وقال المثنى بن الصباح:"سفيان عالم الامة وعابدها"

وعن ابن أبي ذئب، قال: "ما رأيت أشبه بالتابعين من سفيان الثوري"، وعن ابن وهب، قال:"ما رأيت مثل سفيان الثوري" وقال الإمام أحمد بن حنبل: قال لي ابن عيينة:" لن ترى بعينيك مثل سفيان الثوري حتى تموت".[٣]

وروى المروذي، عن أحمد بن حنبل، قال:" أتدري من الإمام؟ الإمام سفيان الثوري، لا يتقدمه أحد في قلبي".[٤]

وعن حفص بن غياث قال:" ما أدركنا مثل سفيان، ولا أنفع من مجالسته".[٥]

وقال بشر الحافي:" كان الثوري عندنا إمام الناس، وعنه قال:"سفيان في زمانه كأبي بكر

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٣٧).

(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٣٧).

(٣) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٣٨).

(٤) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٤٠).

(٥) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٣٩).

وعمر في زمانهما"، وعن أبي إسحاق الفزاري قال:"ما رأيت مثل الثوري".(١)

وقال الأوزاعي:" لو قيل اختر لهذه الأمة رجلاً، يقوم فيها بكتاب اللّٰه وسنة نبيه، لاخترت لهم سفيان الثوري".

وقال يحيى بن أكثم:"كان في الناس رؤساء، كان سفيان الثوري رأسًا في الحديث، وأبو حنيفة رأسًا في القياس، والكسائي رأسًا في القراء، فلم يبق اليوم رأس في فن من الفنون".(٢)

وقال أيضًا :" لم يبق من يجتمع عليه العامة بالرضى والصحة، إلا ماكان من رجلٌ واحد بالكوفة – يعني سفيان".(٣)

وقال شريك:"نرى أن سفيان حجه الله على عباده".(٤)

وقد بلغت الدرجة في محمد بن مسلم الطائفي أن يقول:" إذا رأيت عراقيًا، فتعوذ من شره، وإذا رأيت سفيان، فسل اللّٰه الجنة".(٥)

وقال أبو حاتم الرازي:" سفيان فقيه حافظ زاهد إمام، هو أحفظ من شعبة"، وقال أبو زرعة:" سفيان أحفظ من شعبة في الاسناد والمتن".(٦)

وقد علق الإمام الذهبي على ثناء العلماء لسفيان الثوري قائلاً :" كان سفيان رأسا في الزهد، والتأله، والخوف، رأسا في الحفظ، رأسا في معرفة الآثار، رأسا في الفقه، لا يخاف في اللّٰه لومة لائم من أئمة الدين".(٧)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٣٩).

(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٤٩).

(٣) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٦٩).

(٤) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٥٥).

(٥) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٦١).

(٦) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٧٠).

(٧) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٤١).

قال الإمام عبد الرحمن بن مهدي -رحمه اللّه-:"الناس على وجوه: فمنهم من هو إمام في السنة، إمام في الحديث؛ ومنهم من هو إمام في السنة وليس بإمام في الحديث؛ ومنهم من هو إمام في الحديث وليس بإمام في السنة، فأما من هو إمام في السنة إمام في الحديث فسفيان الثوري".[(١)]

وقال أيضًا:"أئمة الناس في زمانهم أربعة: سفيان الثوري بالكوفة، ومالك بالحجاز، والأوزاعي بالشام، وحماد بن سلمة بالبصرة".[(٢)]

وقال إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد-رحمه الله-لما ذُكر عنده الإمام الثوري: "ما يتقدمه في قلبي أحد. ثم قال: تدري من الإمام؟ الإمام سفيان الثوري".[(٣)]

وقال الإمام مالك -رحمه الله-:"إنما كانت العراق تجيش [(٤)] علينا بالدراهم والثياب، ثم صارت تجيش علينا بالعلم منذ جاء سفيان الثوري".[(٥)].[(٦)]

(١) مقدمة الجرح والتعديل (ص: ١١٨).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في مقدمة الجرح والتعديل (١/ ١١٨)، وأورده الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٥٨)، وفي تذكرة الحفاظ (١/ ٢٢٨).

(٣) رواه الخطيب في تاريخ بغداد (٩/ ١٧٠)، وأورده الإمام الذهبي في السير (٧/ ٢٤٠ ).

(٤) تَجِيش: تفيض علينا بالأرزاق، ويتدفق إلينا أموالها. وأصل الجَيَشان: الغليان والثّوَران ومنه جَيَشان القدر وهو غليانها، انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ٤٩٩)، ولسان العرب (٦/ ٢٧٧).

(٥) تاريخ بغداد (٩/ ١٦٤).

(٦) المصدر: بحث بعنوان الإمام الثوري أمير المؤمنين في الحديث "بحث منشور على شبكة الإنترنت".

**الحمد اللّٰه وحده. اعتقاد أبي عبد اللّٰه سفيان بن سعيد الثوري أخبرنا محمد بن عبد الرحمن بن العباس، قال: ثنا أبو الفضل شعيب بن محمد الراجيان، قال: ثنا علي بن حرب الموصلي-بسُر من رأى-سنة سبع وخمسين ومائتين، قال: سمعت شُعيب بن حرب يقول: قلت لأبي عبد اللّٰه سُفيان بن سعيد الثوري: حدِّثني بحديثٍ من السُّنَّةِ ينفعُني الله وعجَل به، [فـ]إذا وقفتُ بين يدي اللّٰه تعالى وسألني عنه فقال لي: [مِن أين أخذت هذا؟ قلت: يا ربِّ حدثني بهذا الحديث سفيان الثَّوري، وأخذتُه عنه، فأنجو أنا وتُؤاخذُ أنت. فقال]: يا شعيب، هذا توكيد وأي توكيد اكتب: بسم اللّه الرَّحِمنِ الرَّحيمِ**

## القرآن كلام اللّٰه غير مخلوق

**وفيه ثلاث مسائل:**

المسألة الأولى: أهمية صفة الكلام.

المسألة الثانية: الأقوال في كلام الله

المسألة الثالثة: قول أهل السنة في القرآن وأنه كلام الله

**[١]-قال المصنف-رَحِمَهُ اللَّهُ-:"القرآنُ كلامُ اللّه غير مخلوقٍ، ومنه بدأَ وإليه يعود، ومن قال غير هذا فهو كافر".**

**الشرح**

وفيه مسائل:

**المسألة الأولى**: **أهمية صفة الكلام**.

هذه مسألة من كبريات مسائلِ باب الصفات؛ فأكبرُ مسألتين في باب الأسماء والصفات ركَّز عليها أعداءُ الإسلام تركيزاً شديداً

مسألةُ العلو.

ومسألةُ الكلام.

لأنهم إذا أبطلوا كونَ القرآن كلام الله أبطلوا حقيقةَ الوحي،

وإذا أبطلوا علوَّ الله تعالى أبطلوا وجوده،

فهذه غايتهم وهدفهم الذي يريدون أن يصلوا إليه.

ذلك لأن أعظم ركيزتين تقوم عليهما المبادئ الفلسفية لدى الفلاسفة هما:

أن العلمَ مصدره الإنسان. وفي هذا تكذيب للوحي.

وأن المعلومات والعلوم محصورةٌ في المحسوس المشاهَد. وفي هذا إنكار للغيب وأعظم الغيب هو الله.

فتسلَّط أعداءُ الله على باب الصفات من أجلِ أن يشكِّكُوا في كلامِ الله وذلك بإنكارهم بأن يكون القرآن كلامُ الله حقيقة.

وأن يشكِّكُوا في وجودِ الله بإنكارهم لعلو الله عز وجل.

فلذلك وقفوا وقفةً خبيثة، وهجموا هجمةً شرسة ضد هاتين الصفتين، فإذا كنا نقول إنهم يزعمون أن العلوم مصدرها الإنسان، ونحن نقول إن العلم الشرعي مصدره الوحي فلمَّا

هؤلاء يلغونَ أن الله تكلم حقيقة، ويشكَّكُّون في أن هناك وحي وقالوا: هذه عبارة محمد؛ أو عبارة جبريل، وأن الله ما تكلم حقيقة. لأنهم إذا أسقطوا الوحي وقطعوا عليك طريق الوحي فسيتساوى قولُ محمد مع قولِ أي بشرٍ من الناس.

صفة الكلام تأتي-من حيث الأهمية-مع صفة العُلو لله سبحانه وتعالى؛ لذلك اهتم بهما أئمة السلف، وأكدوا على ثُبوتهما لله تعالى حقيقة، وأوردوا في ذلك أدلة كثيرة.

وبالنسبة لصفة الكلام التي هي موضوع حديثنا هنا فإن علماء أهل السنة بينوا الحق في هذه المسألة ووقفوا موقفًا عظيمًا صلبًا حتى إنه كما هو معلوم في زمن فتنةَ القولِ بخلقِ القرآن، فقام المأمون وهو كان من المعتزلة ويتبنَّى قول المعتزلة، فعذَّب مَن عذَّب من العلماء وفصَلَهم عن وظائفهم وسجنهم وقام بتعذيبهم لأجلِ أن يرفعَ هذا الشعار؛ أن القرآنَ مخلوق وأنه ليس كلامُ الله حقيقة.

فدفع أهل السنة شبهات المعطلة من الجهمية والمعتزلة ومَن دَار في فَلَكهم القائلين بأنَّ الله خلق القرآن في غيره، وردوا كذلك على الكلَّابية الذين قالوا: القرآن حكاية عن كلام الله، وردوا-أيضًا-على الأشاعرة الذين قالوا: القرآن عبارة عن كلام الله.

فالمعطلة أرادوا بقولهم هذا: إسقاط قيمة الوحي؛ ليصبح لدى الناس خلل في اتباع الوحي، فأهل السنة يؤمنون بأن أول مصدر للتشريع هو وحي الله تعالى إلى رسوله ﷺ، أي: كلامه بحروفه ومعانيه، وأن الله تعالى قاله بحرف وصوت.

وأوَّل مَن عُرف أنه قال: مخلوق الجعد بن درهم وصاحبه الجهم بن صفوان.

وأول مَن عُرف أنه قال: هو قديم عبد الله بن سعيد بن كلاب، (ت: ٢٤١ هـ)، ثم افترق الذين شاركوه في هذا القول؛ فمنهم مَن قال: الكلام معنى واحد قائم بذات الرَّبِّ، ومعنى القرآن كله والتوراة والإنجيل وسائر كتب الله وكلامه هو ذلك المعنى الواحد الذي لا يَتعدد ولا يتبعض، والقرآن العربي لم يتكلم الله به، بل هو مخلوق خلقه في غيره

وقال جمهور العقلاء: هذا القول معلوم الفساد بالاضطرار؛ فإنَّه مِن المعلوم بصريح

العقل أن معنى (آية الكرسي) ليس معنى (آية الدَّيْن)، ولا معنى ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآية: ١]، معنى ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: الآية: ١]؛ فكيف بمعاني كلام الله كله في الكتب المنزلة وخطابه لملائكته وحسابه لعباده يوم القيامة وغير ذلك من كلامه؟! ومنهم مَن قال: هو حروف، أو حروف وأصوات قديمة أزلية لازمة لذاته لم يَزل ولا يزال موصوفًا بها.

وكلا الحزبين يقول: إن الله تعالى لا يتكلم بمشيئته وقدرته، وإنه لم يزل ولا يزال يقول: يا نوح، يا إبراهيم، يا أيها المزمل، يا أيها المدثر، ولم يقل أحد من السلف بواحد من القولين، ولم يقل أحدٌ من السلف: إنَّ هذا القرآن عبارة عن كلام الله، ولا حكاية له، ولا قال أحد منهم: إن لفظي بالقرآن قديم أو غير مخلوق، فضلًا عن أن يقول: إن صوتي به قديم أو غير مخلوق؛ بل كانوا يقولون بما دلَّ عليه الكتاب والسنة من أن هذا القرآن كلام الله، والناس يَقرءونه بأصواتهم، ويكتبونه بمدادهم، وما بين اللوحين كلام الله، وكلام الله غير مَخلوق".[١]

وأما المعتزلة والجهمية فقالوا: القرآن كلام الله مخلوق؛ فهم أضافوا الكلام إلى الله من باب إضافة الوصف على حد قولهم: (ناقة الله). ومن المتفلسفة مَن يزعم أن المعاني والحروف تأليفه؛ لكنها فاضت عليه كما يفيض العلم على غيره من العلماء.

(١) «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٣٠١، ٣٠٢).

## المسألة الثانية: الأقوال في كلام الله[١].

**قال ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ- (ت: ٧٢٨ هـ):** "مسألة كلام الله تعالى، والناس فيها مضطربون، وقد بلغوا فيها إلى تسعة أقوال: وعامة الكتب المصنفة في الكلام وأصول الدين لم يذكر أصحابها إلا بعض هذه الأقوال إذ لم يعرفوا غير ما ذكروه، فمنهم من يذكر قولين، ومنهم من يذكر ثلاثة، ومنهم من يذكر أربعة، ومنهم من يذكر خمسة، وأكثرهم لا يعرفون قول السلف.

- **أحدها:** قول من يقول: إن كلام الله ما يفيض على النفوس من المعاني التي تفيض: إما من العقل الفعال عند بعضهم، وإما من غيره.

(١) لخص شارح العقيدة الطحاوية أقوال المخالفين في صفة الكلام فقال: "وقد افترق الناس في مسألة الكلام على تسعة أقوال:

أحدها: أن كلام الله هو ما يفيض على النفوس من معاني، إما من العقل الفعال عند بعضهم، أو من غيره، وهذا قول الصابئة والمتفلسفة.

وثانيها: أنه مخلوق خلقه الله منفصلا عنه، وهذا قول المعتزلة.

وثالثها: أنه معنى واحد قائم بذات الله، هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، وإن عبر عنه بالعربية كان قرآنا، وإن عبر عنه بالعبريه كان توراة، وهذا قول ابن كلاب ومن وافقه، كالأشعري وغيره.

ورابعها: أنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل، وهذا قول طائفة من أهل الكلام ومن أهل الحديث.

وخامسها: أنه حروف وأصوات، لكن تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلما، وهذا قول الكرامية وغيرهم.

وسادسها: أن كلامه يرجع إلى ما يحدثه من علمه وإرادته القائم بذاته، وهذا يقوله صاحب المعتبر، ويميل إليه الرازي في المطالب العالية.

وسابعها: أن كلامه يتضمن معنى قائما بذاته هو ما خلقه في غيره، وهذا قول أبي منصور الماتريدي.

وثامنها: أنه مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات، وهذا قول أبي المعالي ومن تبعه.

وتاسعها: أنه تعالى لم يزل متكلما إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلم به بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديما، وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة". شرح العقيدة الطحاوية ١/ ١٧٢-١٧٤.

وهذا قول الصابئة والمتفلسفة الموافقين لهم كابن سينا وأمثاله، ومن دخل مع هؤلاء من متصوفة الفلاسفة ومتكلميهم كأصحاب وحدة الوجود.وفي كلام صاحب الكتب"المضنون بها على غير أهلها" (بل"المضنون الكبير والمضنون الصغير") ورسالة"مشكاة الأنوار" وأمثاله ما قد يشار به إلى هذا، وهو في غير ذلك من كتبه يقول ضد هذا، لكن كلامه يوافق هؤلاء تارة وتارة يخالفه، وآخر أمره استقر على مخالفتهم ومطالعة الأحاديث النبوية.

**وثانيها:** قول من يقول: إنه مخلوق خلقه الله منفصلا عنه.

وهذا قول هذا الإمامي وأمثاله من الرافضة المتأخرين، والزيدية، والمعتزلة، والجهمية.

**وثالثها:** قول من يقول: إنه معنى واحد قديم قائم بذات الله هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، إن عبر عنه بالعربية كان قرآنا وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة.

وهذا قول ابن كلاب ومن وافقه كالأشعري وغيره.

**ورابعها:** قول من يقول: إنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل.

وهذا قول طائفة من أهل الكلام وأهل الحديث.ذكره الأشعري في" المقالات" عن طائفة.وهو الذي يذكر عن السالمية ونحوهم.وهؤلاء

قال طائفة منهم: إن تلك الأصوات القديمة هي الصوت المسموع من القارئ، أو هي بعض الصوت المسموع من القارئ.

وأما جمهورهم مع جمهور العقلاء فأنكروا ذلك، قالوا: هذا مخالف لضرورة العقل.

**وخامسها:** قول من يقول: إنه حروف وأصوات لكن تكلم به بعد أن لم يكن متكلما، وكلامه حادث في ذاته كما أن فعله حادث في ذاته بعد أن لم يكن متكلما ولا فاعلا.وهذا قول الكرامية وغيرهم.

وهو قول هشام بن الحكم وأمثاله من الشيعة.وهؤلاء منهم من يقول: هو حادث وليس بمحدث، ومنهم من يقول: بل هو محدث أيضا.وقد ذكر القولين الأشعري عنهم في"المقالات" وذكر الخلاف بين أبي معاذ التومني وبين زهير الأثري.والكرامية

يقولون: حادث لا محدث.

**وسادسها:** قول من يقول: إنه لم يزل متكلما إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء بكلام يقوم به وهو يتكلم به بصوت يسمع، وأن نوع الكلام أزلي قديم، م وإن لم يجعل نفس الصوت المعين قديما.

وهذا هو المأثور عن أئمة الحديث والسنة.

**وسابعها:** قول من يقول: كلامه يرجع إلى ما يحدث من علمه وإرادته القائم بذاته.ثم من هؤلاء من يقول: لم يزل ذاك حادثا في ذاته، كما يقوله أبو البركات صاحب"المعتبر" وغيره، ومنهم من لا يقول بذلك، وأبو عبد الله الرازي يقول بهذا القول في مثل" المطالب العالية".

**وثامنها:** قول من يقول: كلامه يتضمن معنى قائما بذاته وهو ما خلقه في غيره.ثم من هؤلاء من يقول في ذلك المعنى بقول ابن كلاب، وهذا قول أبي منصور الماتريدي.

ومنهم من يقول بقول المتفلسفة وهذا قول طائفة من الملاحدة الباطنية متشيعهم ومتصوفيهم.

**وتاسعها:** قول من يقول: كلام الله مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات.وهذا قول أبي المعالي ومن اتبعه من متأخري الأشعرية".(١)

**وفصل ابن القيم-رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ٧٥١ هـ)** هذه الأقوال فقال:"فصل: اختلف أهل الأرض في كلام الله تعالى،

## [مذهب الاتحادية]

فذهب الاتحادية القائلون بوحدة الوجود أن كل كلام في الوجود كلام الله: نظمه ونثره وحقه وباطله سحره وكفره والسب والشتم والهجر والفحش، وأضداده كله غير كلام الله تعالى القائم به كما قال عارفهم:

(١) منهاج السنة النبوية (٢/ ٣٥٨-٣٦٣).

وكل كلام في الوجود كلامه...سواء علينا نثره ونظامه

وهذا المذهب مبني على أصلهم الذي أصلوه، وهو أن الله سبحانه هو عين هذا الوجود، فصفاته هي صفات الله، وكلامه هو كلام الله، وأصل هذا المذهب إنكار مسألة المباينة والعلو، فإنهم لما أصلوا أن الله تعالى غير مباين لهذا العالم المحسوس صاروا بين أمرين لا ثالث لهما إلا المكابرة.

أحدهما: إنه معدوم لا وجود له، إذ لو كان موجودا لكان إما داخل العالم وإما خارجا عنه، وهذا معلوم بالضرورة، فإنه إذا كان قائما بنفسه، فإما أن يكون مباينا للعالم أو محايثا له، إما داخلا فيه وإما خارجا عنه.

الأمر الثاني: أن يكون هو عين هذا العالم، فإنه يصح أن يقال فيه حينئذ أنه لا داخل العالم ولا خارجه، ولا مباينا له ولا حالا فيه، إذ هو عينه، والشيء لا ينافي نفسه ولا يحايثها، فرأوا أن هذا خير من إنكار وجوده وبالحكم عليه بأنه معدوم، ورأوا أن الفرار من هذا إلى إثبات موجود قائم بنفسه، لا داخل العالم ولا خارجا، ولا متصل به ولا منفصل عنه ولا مباين له ولا محايث ولا فوقه ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا خلفه ولا أمامه، فرارا إلى ما لا يسيغه عقل ولا تقبله فطرة ولا تأتي به شريعة.ولا يمكن أن يقر برب هذا شأنه إلا على أحد وجهين لا ثالث لهما.

أحدهما: أن يكون ساريا فيه حالا فيه، فهو في كل مكان بذاته، وهو قول جميع الجهمية الأقدمين.

الوجه الثاني: أن يكون وجوده في الذهن لا في الخارج، فيكون وجوده سبحانه وجودا عقليا، إذ لو كان موجودا في الأعيان لكان إما عين هذا العالم أو غيره، ولو كان غيره لكان إما بائنا عنه أو حالا فيه، كلاهما باطل، فثبت أنه عين هذا العالم، فله حينئذ كل اسم حسن قبيح، وكل صفة كمال ونقص، وكل كلام حق وباطل، نعوذ بالله من ذلك.

## [مذهب الفلاسفة المتأخرين]

المذهب الثاني: مذهب الفلاسفة المتأخرين أتباع أرسطو، وهم الذين يحكي ابن سينا والفارابي والطوسي قولهم: إن كلام الله فيض فاض من العقل الفعال على النفوس الفاضلة الزكية بحسب استعدادها، فأوجب لها ذلك الفيض تصورات وتصديقات بحسب ما قبلته منه، لهذه النفوس عندهم ثلاث قوى: قوة التصور وقوة التخييل وقوة التعبير، فتدرك بقوة تصورها من المعاني ما يعجز عنه غيرها، وتدرك بقوة تخيلها شكل المعقول في صورة المحسوس، فتتصور المعقول صورا نورانية تخاطبها وتكلمها بكلام تسمعه الآذان، وهو عندهم كلام الله ولا حقيقة له في الخارج، وإنما ذلك كله من القوة الخيالية الوهمية، قالوا وربما قويت هذه القوة على إسماع ذلك الخطاب لغيرها، وتشكيل تلك الصور العقلية لعين الرائي فيرى الملائكة ويسمع خطابهم، وكل ذلك من الوهم والخيال لا في الخارج.

فهذا أصل هؤلاء في إثبات كلام الرب وملائكته وأنبيائه ورسله، والأصل الذي قادهم إلى هذا عدم الإقرار بالرب الذي عرفت به الرسل ودعت إليه، وهو القائم بنفسه المباين العالي فوق سماواته فوق عرشه الفعال لما يريد بقدرته ومشيئته، العالم بجميع المعلومات، القادر على كل شيء، فهم أنكروا ذلك كله.

## [مذهب المعتزلة]

المذهب الثالث: مذهب الجهمية لصفات الرب تعالى أن كلامه مخلوق ومن بعض مخلوقاته، فلم يقم بذاته سبحانه، فاتفقوا على هذا الأصل واختلفوا في فروعه، قال الأشعري في كتاب المقالات: اختلفت المعتزلة في كلام الله، هل هو جسم أو ليس بجسم، وفي خلقه على ستة أقاويل:

فالفرقة الأولى: منهم يزعمون أن كلام الله جسم، وأنه مخلوق، وأنه لا شيء إلا جسم.

والفرقة الثانية: زعموا أن كلام الخلق عرض وهو حركة؛ لأنه لا عرض عندهم إلا الحركة وأن كلام الخالق جسم، وأن ذلك الجسم صوت متقطع مؤلف مسموع، وهو فعل الله وخلقه، وهذا قول أبي الهذيل وأصحابه، وأحال النظام أن يكون كلام الله في أماكن كثيرة

أو مكانين في وقت واحد، وزعم أنه في المكان الذي خلق فيه.

والفرقة الثالثة: من المعتزلة تزعم أن القرآن مخلوق لله وأنه عرض وأنه يوجد في أماكن كثيرة في وقت واحد إذا تلاه قال فهو يوجد مع تلاوته، وإذا كتبه وجد مع كتابته، وإذا حفظه وجد مع حفظه، وهو يوجد في الأماكن بالتلاوة والحفظ والكتابة ولا يجوز عليه الانتقال والزوال.

والفرقة الرابعة: يزعمون أن كلام الله عز وجل عرض وأنه مخلوق وأحالوا أن يوجد في مكانين في وقت واحد، وزعموا أن المكان الذي خلقه الله تعالى فيه محال انتقاله وزواله منه ووجوده في غيره، وهذا قول جعفر بن حرب وأكثر البغداديين.

والفرقة الخامسة: أصحاب معمر يزعمون أن القرآن عرض، والأعراض عندهم قسمان: قسم منهما يفعله الأحياء وقسم منهما يفعله الأموات، ومحال أن يكون ما يفعله الأموات فعلا للأحياء، والقرآن مفعول وهو عرض، ومحال أن يكون الله فعله في الحقيقة، لأنهم يحيلون أن تكون الأعراض فعلا لله، وزعموا أن القرآن فعل للمحل الذي يسمع منه، إذ سمع من الشجرة، فهو فعل لها حيث سمع، فهو فعل المحل الذي حل فيه.

والفرقة السادسة: يزعمون أن كلام الله عرض مخلوق، وأنه يوجد في أماكن كثيرة في وقت واحد، وهذا قول الإسكافي.

واختلفت المعتزلة في كلام الله هل يبقى؟ فقالت فرقة منهم: يبقى بعد خلقه، وقالت فرقة أخرى: لا يبقى إنما يوجد في الوقت الذي خلقه الله ثم يعدم بعد ذلك، وهذا المذهب هو من فروع الأصل الباطل المخالف لجميع كتب الله ورسله، ولصريح المعقول والفطر، من جحد صفات الرب وتعطيل حقائق أسمائه ونفي قيام الأفعال به، فلما أصلوا أنه لا يقوم به وصف ولا فعل كان من فروع هذا الأصل أنه لم يتكلم بالقرآن ولا بغيره، وأن القرآن مخلوق، وطرد ذلك إنكار ربوبيته وإلهيته، فإن ربوبيته سبحانه إنما تتحقق بكونه فعالا مدبرا متصرفا في خلقه، يعلم ويقدر ويريد ويسمع ويبصر، فإذا انتفت أفعاله وصفاته انتفت ربوبيته، إذا انتفت

عنه صفة الكلام انتفى الأمر والنهي ولوازمها وذلك ينفي حقيقة الإلهية، فطرد ما أصلوه أن الله سبحانه ليس برب العالم ولا إله، فضلا عن أن يكون لا رب غيره ولا إله سواه.

## [مذهب الكلابية]

المذهب الرابع: مذهب الكلابية، أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب، أن القرآن معنى قائم بالنفس لا يتعلق بالقدرة والمشيئة، وأنه لازم لذات الرب كلزوم الحياة والعلم، وأنه لا يسمع على الحقيقة، والحروف والأصوات حكاية له دالة عليه وهي مخلوقة، وهو أربع معان في نفسه: الأمر والنهي والخبر والاستفهام، فهي أنواع لذلك المعنى القديم الذي لا يسمع، وذلك المعنى هو المتلو المقروء، وهو غير مخلوق، والأصوات والحروف هي تلاوة العباد وهي مخلوقة، وهذا المذهب أول من يعرف أنه قال به ابن كلاب، وبناه على أن الكلام لا بد أن يقوم بالمتكلم، والحروف والأصوات حادثة فلا يمكن أن تقوم بذات الرب تعالى لأنه ليس محلا للحوادث، فهي مخلوقة منفصلة عن الرب، والقرآن اسم ذلك المعنى وهو غير مخلوق.

## [مذهب الأشعري]

المذهب الخامس: مذهب الأشعري ومن وافقه أنه معنى واحد قائم بذات الرب، وهو صفة قديمة أزلية ليس بحرف ولا صوت، ولا ينقسم ولا له أبعاض ولا له أجزاء ولا عين الأمر وعين النهي وعين الخبر وعين الاستخبار، الكل من واحد وهو عين التوراة والإنجيل والقرآن والزبور، وكونه أمرا ونهيا، وخبرا واستخبارا صفات لذلك المعنى الواحد، وأنواع له، فإنه لا ينقسم بنوع ولا جزء، وكونه قرآنا وتوراة وإنجيلا تقسيم للعبارات عنه لا لذاته، بل إذا عبر عن ذلك المعنى بالعربية كان قرآنا، وإن عبر عنه بالعبرانية كان توراة، وإن عبر عنه بالسريانية كان اسمه إنجيلا، والمعنى واحد، وهذه الألفاظ عبارة عنه ولا يسميها حكاية، وهي خلق من المخلوقات، وعنه لم يتكلم الله بهذا الكلام العربي، ولا سمع من الله وعنده ذلك المعنى سمع من الله حقيقة، ويجوز أن يرى ويشم، ويذاق ويلمس، ويدرك بالحواس

الخمس، إذ المصحح عنده لإدراك الحواس هو الوجود، فكل وجود يصح تعلق الإدراكات كلها به كما قرره في مسألة رؤية من ليس في جهة من الرائي، وأنه يرى حقيقة وليس مقابلا للرائي. هذا قولهم في الرؤية وذلك قولهم في الكلام.

والبلية العظمى نسبة ذلك إلى الرسول ﷺ وأنه جاء بهذا ودعا إليه الأمة، وأنهم أهل الحق، ومن عداهم أهل الباطل، وجمهور العقلاء يقولون: إن تصور هذا المذهب كاف في الجزم في بطلانه، وهو لا يتصور إلا كما تتصور المستحيلات الممتنعات، وهذا المذهب مبني على مسألة إنكار قيام الأفعال والأمور الاختيارية بالرب تعالى ويسمونها مسألة حلول الحوادث، وحقيقتها إنكار أفعاله وربوبيته إرادته ومشيئته.

## [مذهب الكرامية]

المذهب السادس: مذهب الكرامية، وهو أنه متعلق بالمشيئة والقدرة قائم بذات الرب تعالى، وهو حروف وأصوات مسموعة، وهو حادث بعد أن لم يكن، فهو عندهم متكلم بقدرته ومشيئته بعد أن لم يكن متكلما، كما يقوله سائر فرق المتكلمين أنه فعل بقدرته ومشيئته بعد أن لم يكن فاعلا، كما ألزموا به الكرامية في مسألة الكلام، فهو لازم لهم في مسألة الفعل، والكرامية أقرب إلى الصواب منهم، فإنهم أثبتوا كلاما وفعلا حقيقة قائمين بذات المتكلم الفاعل، وجعلوا لهما أولا، فرارا من القول بحوادث لا أول لها، ومنازعون أبطلوا حقيقة الكلام والفعل، وقالوا لم يقم به فعل ولا كلام البتة، وأما من أثبت منهم معنى قائما بنفسه سبحانه، فلو كان ما أثبته مفعولا لكان من جنس الإرادة والعلم لم يكن شيئا خارجا عنهما، فهم لم يثبتوا له كلاما ولا فعلا وأما الكرامية فإنهم جعلوه متكلما بعد أن لم يكن متكلما، كما جعله خصومهم فاعلا بعد أن لم يكن فاعلا.

**[مذهب السالمية]**(١)

المذهب السابع: مذهب السالمية ومن وافقهم من أتباع الأئمة الأربعة وأهل الحديث أنه صفة قائمة بذات الرب تعالى لم يزل ولا يزال، لا يتعلق بقدرته ومشيئته، ومع ذلك هو حروف وأصوات، وسور وآيات سمعه جبرائيل منه، وسمعه موسى بلا واسطة، ويسمعه سبحانه من يشاء، وإسماعه نوعان: بواسطة وبغير واسطة ومع ذلك فحروفه وكلماته لا يسبق بعضها بعضا، بل هي مقترنة الباء مع السين مع الميم في آن واحد، لم تكن معدومة في وقت من الأوقات ولا تعدم، بل لم تزل قائمة بذاته سبحانه قيام صفة الحياة والسمع والبصر، وجمهور العقلاء قالوا: تصور هذا المذهب كاف في الجزم ببطلانه.

والبراهين العقلية والأدلة القطعية شاهدة ببطلان هذه المذاهب كلها، وأنها مخالفة لصريح العقل والنقل، والعجب أنها هي الدائرة بين فضلاء العالم لا يكادون يعرفون غيرها.

**المسألة الثالثة: قول أهل السنة في القرآن وأنه كلام الله**

صفة الكلام من الصفات التي لها تشعبات كثيرة متعددة يحسن عند عرضها أن يكون العرض لها مفصلًا بحسب تلك التفريعات التي سأضع لها عناوين جانبية مما يساعد من جهة على التعرف على قول أهل السنة بشكل أدق، والتعرف على أقوال المخالفين حين عرضها في تلك الجزئيات من جهة أخرى.

**أولًا: إثبات صفة الكلام لله عز وجل.**

يثبت أتباع الرسل صفة الكلام لله عز وجل كما أثبتوا له سائر الصفات، ومحال قيام هذه

---

(١) "جماعة ينسبون إِلَى مَذْهَب أبي الحسن مُحَمَّد بن أَحمد بن سالم السالمي فِي الْأُصُول يُقَال لَهُم السالمية وَهُوَ مَذْهَب مَشْهُور بِالْبَصْرَةِ وسوادها". اللباب في تهذيب الأنساب (٢/ ٩٣). وقال الذهبي عن أبي الحسن البصري هذا: "وَلَهُ أَصْحَابُ يُسَمَّوْنَ السَّالِمِيَّة، هجرهُمُ النَّاسُ لأَلْفَاظِ هُجنَةٍ أطلقُوهَا وَذَكَرُوهَا...وَمَاتَ ابْنُ سَالِمٍ وَقَدْ قَارَبَ التِّسْعِيْنَ سَنَةَ بضع وَخَمْسِيْنَ وَثَلاَثِ مِائَةٍ" - سير أعلام النبلاء - ط الرسالة (١٦/ ٢٧٣).

الصفة بنفسها كما يقوله بعض المكابرين أنه خلق الكلام لا في محل، ومحال قيامها بغير الموصوف بها كما يقوله المكابر الآخر أنه خلق في محل فكان هو المتكلم به دون المحل، قالوا والكلام الحقيقي هو الذي يوجد بقدرة المتكلم وإرادته قائما به، لا يعقل غير هذا، وأما ما كان موجودا بدون قدرته ومشيئته وإن سمع منه فإنه ليس بكلام له، وإنما هو مخلوق خلقه الله فيه، فلو كان ما قام بالرب تعالى من الكلام غير متعلق بمشيئته بل يتكلم بغير اختياره لم يكن هذا هو الكلام المعهود، بل هذا شيء آخر غير ما يعرفه العقل ويشهد به الشرع، قالوا: ولو لم يكن هناك ألفاظ مسموعة حقيقة السمع لم يكن ثم صفة كلام البتة، ولو كان عاجزا عن الكلام في الأزل لم يصر قادرا عليه فيما لم يزل، فإنه إذا كانت حاله قبل وبعد سواء وهو لم يستفد صفة الكلام من غيره، فمن المستحيل أن تجدد له هذه الصفة بعد أن كان فاقدا لها بالكلية.

وكذلك إثبات قدم عين كل فرد من أنواع الكلام وبقائه أزلا وأبدا واقتران حروفه بعضها ببعض بحيث لا يسبق شيء منها لغيره، لا يسيغه عقل ولا تقبله فطرة وقد دلت النصوص النبوية أنه متكلم إذا شاء بما شاء، وأن كلامه يسمع، وأن القرآن العزيز الذي هو سور وآيات وحروف وكلمات عين كلامه حقا، لا تأليف ملك ولا بشر، وأنه سبحانه الذي قاله بنفسه: ﴿المص﴾ [الأعراف: الآية: ١]، ﴿حم عسق﴾ [الشورى: الآية: ١]، ﴿كهيعص﴾ [مريم: الآية: ١].

وأن القرآن جميعه، حروفه ومعانيه نفس كلامه الذي تكلم به، وليس بمخلوق ولا بعضه قديما، وهو المعنى وبعضه مخلوق، وهو الكلمات والحروف، ولا بعضه كلامه وبعضه كلام غيره، ولا ألفاظ القرآن وحروفه ترجمة ترجم بها جبرائيل أو محمد عليهما السلام عما قام بالرب من المعنى من غير أن يتكلم الله بها، بل القرآن جميعه كلام الله، حروفه ومعانيه، تكلم الله به حقيقة، والقرآن اسم لهذا النظم العربي الذي بلغه الرسول ﷺ عن جبرائيل عن رب العالمين.

فللرسولين منه مجرد التبليغ والأداء، لا الوضع والإنشاء، كما يقول أهل الزيغ والاعتداء، فكتاب الله عندهم غير كلامه، كتابه مخلوق وكلامه غير مخلوق، والقرآن إن أريد به الكتاب كان مخلوقا، وإن أريد به الكلام كان غير مخلوق، وعندهم أن الذي قال السلف هو غير مخلوق هو عين القائم بالنفس وأما ما جاء به الرسول وتلاه على الأمة فمخلوق، وهو عبارة عن ذلك المعنى، وعندهم أن الله تعالى لم يكلم موسى، وإنما اضطره إلى معرفة المعنى القائم بالنفس من غير أن يسمع منه كلمة واحدة، وما يقرؤه القارئون ويتلوه التالون فهو عبارة عن ذلك المعنى، وفرعوا على هذا الأصل فروعا: منها: أن كلام الله لا يتكلم به غيره، فإنه عين القائم بنفسه، ومحال قيامه بغيره فلم يتل أحد قط كلام الله ولا قرأه.

ومنها: أن هذا الذي جاء به الرسول ﷺ ليس كلام الله إلا على سبيل المجاز.

ومنها: أنه لا يقال إن الله تكلم ولا يتكلم ولا قال ولا يقول ولا خاطب ولا يخاطب، فإن هذه كلها أفعال إرادية تكون بالمشيئة، وذلك المعنى صفة أزلية لا يتعلق بالمشيئة.

ومنها: أنهم قالوا لا يجوز أن ينزل القرآن إلى الأرض، فألفاظ النزول والتنزيل لا حقيقة لشيء منها عندهم.

ومنها: أن القرآن القديم لا نصف له ولا ربع ولا خمس ولا عشر ولا جزء له البتة.

ومنها: أن معنى الأمر هو معنى النهي، ومعنى الخبر والاستخبار، وكل ذلك معنى واحد بالعين.

ومنها: أن نفس التوراة هي نفس القرآن ونفس الإنجيل والزبور، والاختلاف في التأويلات فقط.

ومنها: أن هذا القرآن العربي تأليف جبرائيل أو محمد أو مخلوق خلقه الله تعالى في اللوح المحفوظ، فنزل به جبرائيل من اللوح لا من الله على الحقيقة كما هو معروف من أقوالهم.

ومنها: أن ذلك العين القديم يجوز أن تتعلق به الإدراكات الخمس فيسمع ويرى ويشم

ويذاق ويلمس إلى غير ذلك من الفروع الباطلة سمعا وعقلا وفطرة.

وقد دل القرآن وصريح السنة والمعقول وكلام السلف على أن الله سبحانه يتكلم بمشيئته، كما دل على أن كلامه صفة قائمة بذاته، وهي صفة ذات وفعل قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: الآية: ٤٠]، وقوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: الآية: ٨٢] فإذا: تخلص الفعل للاستقبال (وأن) كذلك (ونقول) فعل دال على الحال والاستقبال (وكن) حرفان يسبق أحدهما الآخر، فالذي اقتضته هذه الآية هو الذي في صريح العقول والفطر.

وكذلك قوله: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً﴾ [الإسراء: الآية: ١٦] الآية، سواء كان الأمر هاهنا أمر تكوين أو أمر تشريع فهو موجود بعد أن لم يكن، وكذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [الأعراف: الآية: ١١] وإنما قال لهم اسجدوا بعد خلق آدم وتصويره.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣] الآيات كلها، فكم من برهان يدل على أن التكلم هو الخطاب وقع في ذلك الوقت.

وكذلك قوله: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾ [القصص: الآية: ٣٠]، والذي ناداه هو الذي قال له: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: الآية: ١٤]، وكذلك قوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ﴾ [القصص: الآية: ٦٢]، وقوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ: الآية: ٤٠] وقوله: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ﴾ [ق: الآية: ٣٠] الآية، ومحال أن يقول سبحانه لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد قبل خلقها ووجودها.

وتأمل نصوص القرآن من أوله إلى آخره ونصوص السنة، ولا سيما أحاديث الشفاعة

وحديث المعراج وغيرها، كقوله:" **(أتدرون ماذا قال ربكم الليلة)**.[١]، وقوله:" **(إن الله يحدث من أمره ما يشاء، وإن مما أحدث ألا تكلموا في الصلاة)**.[٢]، وقوله:" **(ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حاجب)**.[٣].

وقد أخبر الصادق المصدوق أنه يكلم ملائكته في الدنيا فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي، ويكلمهم يوم القيامة، ويكلم أنبياءه ورسله وعباده المؤمنين يومئذ ويكلم أهل الجنة في الجنة ويسلم عليهم في منازلهم، وأنه كل ليلة يقول: **(من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له، من يقرض غير عديم ولا ظلوم)**.[٤]، وقال النبي ﷺ: **(إن الله أحيا أباك وكلمه كفاحا)**.[٥]، ومعلوم أنه في ذلك الوقت كلمه وقال له: تمن علي.

إلى أضعاف أضعاف ذلك من نصوص الكتاب والسنة التي إن دفعت دفعت الرسالة بأجمعها، وإن كانت مجازا كان الوحي كله مجازا، وإن كانت من المتشابه كان الوحي كله من المتشابه، وإن وجب أو ساغ تأويلها على خلاف ظاهرها ساغ تأويل جميع القرآن والسنة على خلاف ظاهره، فإن مجيء هذه النصوص في الكتاب وظهور معانيها وتعدد أنواعها واختلاف مراتبها أظهر من كل ظاهر، وأوضح من كل واضح، فكم جهد ما يبلغ التأويل والتحريف والحمل على المجاز.

هب أن ذلك يمكن في موضع واثنين وثلاثة وعشرة، أفيسوغ حمل أكثر من ثلاثة آلاف وأربعة آلاف موضع كلها على المجاز وتأويل الجميع بما يخالف الظاهر؟ ولا تستبعد قولنا

(١) أخرجه البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١) باختلاف يسير.

(٢) أخرجه أبو داود (٩٢٤) واللفظ له، والنسائي (١٢٢١) باختلاف يسير. وأخرجه البخاري معلقًا بصيغة الجزم قبل حديث (٧٥٢٢) مختصراً.

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٤٣)، ومسلم (١٠١٦) باختلاف يسير.

(٤) أخرجه البخاري (١١٤٥) بنحوه، ومسلم (٧٥٨) باختلاف يسير.

(٥) أخرجه الترمذي (٣٠١٠) واللفظ له، وابن ماجه (١٩٠) باختلاف يسير، وأحمد (١٤٨٨١) مختصراً.

أكثر من ثلاث آلاف، فكل آية وكل حديث إلهي وكل حديث فيه الإخبار عما قال الله تعالى أو يقول، وكل أثر فيه ذلك، إذا استقرئت زادت على هذا العدد، ويكفي أحاديث الشفاعة وأحاديث الرؤية وأحاديث الحساب، وأحاديث تكليم الله لملائكته وأنبيائه ورسله وأهل الجنة، وأحاديث تكليم الله لموسى، وأحاديث تكلمه عند النزول الإلهي، وأحاديث تكلمه بالوحي، وأحاديث تكليمه للشهداء، وأحاديث تكليم كافة عباده يوم القيامة بلا ترجمان ولا واسطة، وأحاديث تكليمه للشفعاء يوم القيامة حين يأذن لهم في الشفاعة، إلى غير ذلك، إذ كل هذا وأمثاله وأضعافه مجاز لا حقيقة له، سبحانك هذا بهتان عظيم، بل نشهدك ونشهد ملائكتك وحملة عرشك وجميع خلقك أنك أحق بهذه الصفة وأولى من كل أحد، وأن البحر لو أمده من بعده سبعة أبحر، وكانت أشجار الأرض أقلاما يكتب بها ما تتكلم به، لنفدت البحار والأقلام ولم تنفد كلماتك، وأنك لك الخلق والأمر، فأنت الخالق حقيقة".[١]

**قال ابنُ تَيميَّةَ -رَحِمَهُ اللهُ- (ت: ٧٢٨ هـ):** "الرب تعالى لم يزل ولا يزال موصوفا بصفات الكمال، منعوتا بنعوت الجلال والإكرام، وكماله من لوازم ذاته، فيمتنع أن يزول عنه شيء من صفات كماله، ويمتنع أن يصير ناقصا بعد كماله. وهذا الأصل عليه قول السلف وأهل السنة: أنه لم يزل متكلما إذا شاء، ولم يزل قادرا، ولم يزل موصوفا بصفات الكمال، ولا يزال كذلك".[٢]

**قال ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ- (ت: ٧٢٨ هـ):** "ولا نزاع بين العلماء أن كلام الله تعالى لا يفارق ذات الله، ولا يباينه كلامه، ولا شيء من صفاته، بل ليس صفة شيء من موصوف تباين موصوفها وتنتقل عنه إلى غيره. فكيف يتوهم عاقل أن كلام الله يباينه، وينتقل إلى غيره".[٣]

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة (ص: ٤٩٤-٥٠٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٢٥٠).

(٣) مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٢)، مجموعة الرسائل والمسائل (٣/ ٣٥).

**قال ابن القيم-رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ٧٥١ هـ)**:"وقد دل القرآن وصريح السنة والمعقول وكلام السلف على أن الله سبحانه يتكلم بمشيئته، كما دل على أن كلامه صفة قائمة بذاته، وهي صفة ذات وفعل".(١)

فصفة الكلام صفة ذاتية فعلية (٢).فكلام الله عز وجل باعتبار أصله ونوعه: صفة ذات، وباعتبار آحاد الكلام وأفراده: صفة فعل".(٣)

**وقال السعدي-رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ١٣٧٦ هـ)**:"يصفونه بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ من الصفات الذاتية؛ كالحياة الكاملة، والسمع والبصر، وكمال القدرة، والعظمة والكبرياء، والمجد والجلال والجمال، والحمد المطلق، ومن صفات الأفعال المتعلقة بمشيئته وقدرته؛ كالرحمة، والرضا، والسخط، والكلام، وأنه يتكلم بما يشاء كيف يشاء، وكلماته لا تنفد، ولا تبيد".(٤)

أ-الأدلة من القرآن.

وقد أثبت الله الكلام لنفسه، خلافًا لما يعتقده الضالون،

١ - قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٣].

٢ - وقالَ عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: الآية: ١٦٤].

٣ - وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣].

٤ - وقال تعالى: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى.إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة (ص: ١٣١٨).

(٢) "الصفات الفعلية من حيث قيامها بالذات تسمى: صفات ذات، ومن حيث تعلقها بما ينشأ عنها من الأقوال والأفعال تسمى: صفات أفعال، ومن أمثلة ذلك: صفة الكلام".يُنظر: القواعد المثلى، لابن عثيمين (ص: ٢٥).

(٣) يُنظر: القواعد المثلى، لابن عثيمين (ص: ٢٥)

(٤) القول السديد (ص: ٨).يُنظر: القواعد المثلى، لابن عثيمين (ص: ٢٥).

الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: الآيات: ١٣ – ١٤].

٥ – وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: الآية: ٣٠].

٦ – وقالَ تعالى: ﴿إِنَّما قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: الآية: ٤٠].

٧– وقال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: الآية: ١٠٩].

٨ – وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الأنعام: الآية: ١١٥].

٩ – وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللهِ﴾ [الفتح: الآية: ١٥].

١٠ – وقال تعالى: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: الآية: ٧٥].

١١ – وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ [التوبة: الآية: ٦].

وأمَّا الأدلَّةُ على حِرْمانِ أقوامٍ من تكليمِ الله لهم، فمنها:

١ – قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: الآيات: ١٧٤ – ١٧٥].

٢ – وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: الآية: ٧٧].

والآيات في ذلك كثيرةٌ جدًا.

ب-الأدلة من السنة.

١ - **حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-(ت: ٥٧ هـ)**، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **(احتجّ آدمُ وموسى، فقالَ له موسى: يا آدم، أنتَ أبونا، خَيَّبْتَنا وأخرَجْتَنا من الجنَّة، قال له آدم: يا موسى، اصطفاكَ الله بكلامِهِ، وخَطَّ لكَ [التوراةَ] بيدِهِ، أتلومُني على أمْرٍ قدَّرهُ الله عليَّ قبلَ أن يخلقَني بأربعينَ سنةً؟ فحَجَّ آدمُ موسى، فحَجَّ آدمُ موسى -ثلاثًا-)**.[١]

٢ - **حديث جابر بن عبد الله-رضي الله عنه-(ت: ما بين ٧٣ إلى ٧٧ هـ)**، قال:"كانَ النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- يَعْرِضُ نفسَه على الناس بالموقفِ فيقول: **(هلْ مِنْ رَجُلٍ يَحْمِلُني إلى قومِهِ؟ فإنَّ قريشًا قدْ مَنعوني أن أبلِّغَ كلامَ رَبِّي عَزَّ وجلَّ)**.الحديث[٢].

٣ - **حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-(ت: ٥٧ هـ)**، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:"فضلُ كلامِ الله على سائرِ الكلامِ كفَضْلِ الله على سائرِ خلقِه".[٣]

٤ -**حديث أبي أمامةَ-رضي الله عنه-(ت: ٨١ أو ٨٦ هـ)** أنَّ رجلًا أتى النبيَّ -صلى الله عليه وسلم-قال: يا نبيَّ

(١) أخرجه البخاري (٥/ ١٦٠)، (٩/ ٣٨٨)، (١١/ ٥٤٨-٥٤٩)، ومسلم رقم: (١٢٧).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٩٠)، وأبو داود (٤٧٣٤)، والترمذي (٢٩٢٥)، وابن ماجة (٢٠١)، والدارمي (٣٣٥٧)، والنسائي في "الكبرى" -كما في "تحفة الأشراف" (٢/ ١٧٥)-، والبخاري في "خلق أفعال العباد" رقم (٨٦، ٢٠٥)، وعثمان الدارمي في "الرد على الجهمية" رقم (٢٨٤)، والحاكم (٢/ ٦١٢ - ٦١٣)، وأبو نعيم في "دلائل النبوة" رقم (٢١٧)، واللالكائي في "السنة" رقم (٥٥٤، ٥٥٥)، والبيهقي في "الاعتقاد" (ص: ١٠٠)، و"الأسماء والصفات" (ص: ١٨٧)، و"دلائل النبوة" (٢/ ٤١٣)، وإسماعيل بن الفضل الأصبهاني في "الحجة" (ق ٤٨/ أ-ب) من طرق عن إسرائيل: حدثنا عثمان ابن المغيرة عن سالم بن أبي الجعد عن جابر به.

(٣) أخرجه عثمان الدارميُّ في "الرَّدِّ على الجَهْميَّة" رقم (٢٨٧، ٣٤٠)، واللالكائي رقم (٥٥٧)، والترمذي رقم (٢٩٢٦)، والدارمي رقم (٣٣٥٩)..

الله، أنبيًّا كانَ آدمُ؟ قالَ: **(نَعَمْ، مُكَلَّمًا)**.قَالَ: كم بينَه وبينَ نُوحٍ؟ قالَ: **(عَشرةُ قُرون)**.(١)

٥-**حديث النعمان بن بشير-رضي الله عنه-(ت: ٦٥ هـ)**، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (إنَّ الله كَتَبَ كتابًا قبلَ أن يخلقَ السماواتِ والأرضَ بألفَي عام، فأنزلَ منه آيتين ختمَ بِهما سورةَ البقرةِ، فلا تقرآنِ في"دارٍ ثلاثَ ليالٍ فيقرَبُها شَيْطانٌ).(٢)

٦-**حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-(ت: ٥٧ هـ)**، قال: سمعتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: **«يَقبِضُ الله الأرضَ، ويَطْوي السَّماواتِ بيمينه، ثمَّ يقول: أنا المَلِكُ؛ أَينَ مُلوكُ الأرضِ؟" وفي لفظ:"يَقبِضُّ الله الأرضَ يوم القيامة...»**.(٣)

٧- **وحديث عَدِيّ بنِ حاتِم-رضي الله عنهما-(ت: ٦٦ أو ٦٩ هـ)**، قالَ: قالَ رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-: **«ما مِنْكمْ من أحَدٍ إلا سيكلِّمُهُ الله، ليسَ بينَه وبينَه تُرْجُمانٌ، فينظُرُ أيْمَنَ منه فلا يَرى إلاَّ ما قدَّم، وينظُرُ بينَ يدَيْهِ فَلَا يَرى إلاَّ النَّارَ تِلقاءَ وَجْهِهِ، فاتَّقوا النَّارَ ولو بشِقِّ تَمْرةٍ»**.

وفي لَفْظٍ: **«ما مِنْكُمْ من أحْدٍ إلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، ليسَ بينَه وبينَه تُرْجُمانٌ ولا حِجَابٌ يَحْجُبُه»**.(٤)

وبوَّب البخاري في «صحيحه» على ذلك فقال: «باب كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل

(١) أخرجه الدارمي في "الرد على الجهمية" رقم (٢٩٩)، وابن حبان رقم (٢٠٨٥-موارد)، والطبراني في "الكبير" (٨/ ١٣٩-١٤٠)، و"الأوسط" رقم (٤٠٥)، والحاكم (٢/ ٢٦٢)، والبيهقي في "الأسماء والصفات" (ص: ٢٠٦)، وابن عساكر (٢/ ٣٢٥/ ب)، وقال الحاكم: "صحيح على شرط مسلم".وأقرّه الذهبي، وابن كثير في "البداية والنهاية" (١/ ١٠١).وقال الهيثمي في "المجمع" (١/ ١٩٦) و (٨/ ٢١٠): "رجاله رجال الصحيح" زاد في الموضع الثاني: "غير أحمد بن خُليد الحلبي وهو ثقة".

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٢٧٤)، والترمذي رقم (٢٨٨٢)، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" رقم (٩٦٧)، والدارمي رقم (٢٢٩٠)، وابن حبان رقم (١٧٢٦ - موارد)، والحاكم ١/ ٥٦٢ أو البيهقي في "الأسماء والصفات" (ص: ٢٣١ - ٢٣٢).

(٣) أخرجه البخاري (٨/ ٥٥١) و (١١/ ٣٧٢) و (١٣/ ٣٦٧)، ومسلم رقم (٢٧٨٧).

(٤) أخرجه أحمد (٤/ ٢٥٦)، والبخاري (١١/ ٤٠٠) و (١٣/ ٤٢٣، ٤٧٤)، ومسلم (٢/ ٧٠٣-٧٠٤).

الجنة»[١]، وقال لأهل النار: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: الآية: ١٠٨].

**ثانيًا: أن الله تعالى لم يَزل متكلِّمًا، إذا شاء، ومتى شاء، وكيف شاء.**

**قال ابن القيم-رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ٧٥١ هـ):**"منشأ النزاع بين الطوائف أن الرب تعالى هل يتكلم بمشيئته أم كلامه بغير مشيئته على قولين،

فقالت طائفة: كلامه بغير مشيئته واختياره، ثم انقسم هؤلاء أربع فرق،

١-قالت فرقة: هو فيض فاض منه بواسطة العقل الفعال على نفس شريفة فتكلمت به كما يقول ابن سينا وأتباعه وينسبونه إلى أرسطو.

٢-وفرقة قالت: بل هو معنى قائم بذات الرب تعالى هو به متكلم، وهو قول الكلابية ومن تبعهم، وانقسم هؤلاء فريقين،

فرقة قالت: هو معان متعددة في أنفسها أمر ونهي وخبر واستخبار، ومعنى جامع لهذا الأربعة، وفرقة قالت: بل هو معنى واحد بالعين لا ينقسم ولا يتبعض.

وفرقة قالت: كلامه هو هذه الحروف والأصوات، خلقها خارجة عن ذاته، فصار بها متكلما، وهذا قول المعتزلة وهو في الأصل قول الجهمية تلقاه عنهم أهل الاعتزال فنسب إليهم.

٣-وفرقة قالت: يتكلم بقدرته ومشيئته كلاما قائما بذاته سبحانه كما يقول به سائر أفعاله لكنه حادث النوع، وعندهم أنه صار متكلما بعد أن لم يكن متكلما كما قاله من لم يصفهم من المتكلمين أنه صار فاعلا بعد أن لم يكن، فقول هؤلاء في الفعل المتصل كقول أولئك في الفعل المنفصل، وهذا قول الكرامية.

٤-وفرقة قالت: يتكلم بمشيئته، وكلامه سبحانه هو الذي يتكلم به الناس كله حقه وباطله وصدقه وكذبه، كما يقوله طوائف الاتحادية.

(١) «صحيح البخاري» (٩/ ١٥١).

وقال أهل الحديث والسنة: إنه لم يزل سبحانه متكلما إذا شاء ويتكلم بمشيئته ولم تتجدد له هذه الصفة، بل كونه متكلما بمشيئته هو من لوازم ذاته المقدسة، وهو بائن عن خلقه بذاته وصفاته وكلامه، وليس متحدا بهم ولا حالا فيهم".[١]

**قال الإمام أحمد بن حنبل -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ٢٤١ هـ):**"بل نقول: إن الله لم يزل متكلما إذا شاء ولا نقول: إنه كان ولا يتكلم حتى خلق الكلام. ولا نقول: إنه قد كان لا يعلم حتى خلق علما فعلم، ولا نقول: إنه قد كان ولا قدرة له حتى خلق لنفسه القدرة، ولا نقول: إنه كان قد كان ولا نور له حتى خلق لنفسه نورا، ولا نقول: إنه قد كان ولا عظمة له حتى خلقه لنفسه عظمة".[٢]

**وقال عبد المغني المقدسي -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ٦٠٠ هـ):**"مذهب أهل الحق أن الله عز وجل لم يزل متكلما بكلام مسموع مفهوم مكتوب".[٣]

**وقال ابن أبي العز الحنفي -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ٧٩٢ هـ):**"والحق أن التوراة والإنجيل والزبور والقرآن من كلام الله حقيقة، وكلام الله تعالى لا يتناهى؛ فإنه لم يزل يتكلم بما شاء إذا شاء كيف شاء، ولا يزال كذلك... كلام الله محفوظ في الصدور، مقروء بالألسنة، مكتوب في المصاحف".[٤]

**قال عبد الباقي المواهبي الحنبلي -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت ١٠٧١ هـ):**"قال الأئمة: إن الله سبحانه وتعالى يتكلم بمشيئته وقدرته، بمعنى أنه لم يزل متكلما إذا شاء، فإن الكلام صفة كمال، ومن يتكلم أكمل ممن لم يتكلم، ومن يتكلم بمشيئته وقدرته، أكمل ممن يكون الكلام

(١) مختصر الصواعق المرسلة (ص: ٥٢٧-٥٢٨).

(٢) كتاب الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد (ص: ١٣٩).

(٣) الاقتصاد في الاعتقاد (١/ ١٣٠).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (ص: ١٩٢).

ممكنا له".(١)

**ثالثًا: القرآن كلام الله.**

من أركان الإيمان السِّتة: الإيمانُ بالكُتُبِ التي أنزلها اللهُ، كما دلَّ على ذلك قولُه سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: الآية: ١٣٦]، وكذلك جاء في حديث جبريل عليه السلام، وفيه: (الإيمان)، قال: (أن تُؤمن باللهِ، ومَلائكتِه، وكُتُبِه، ورُسُلِه، واليومِ الآخِر، وتُؤمن بالقَدَرِ؛ خَيْرِه وشَرِّه).(٢)

ومن الإيمانِ بالكتب: الإيمانُ بِأَنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ.

والقرآنُ في الأصل: مصدر قرأ قراءة وقرآنًا؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٧]، أي: قراءته، فهو مَصدر على وزن فُعلان-بالضم- كالغُفران والشُّكران.(٣)

وفي الاصطلاح هو: «كلام الله المُنَزَّل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، المُعجز بلفظه ومعناه، المكتوب في المصاحف، المَنقول إلينا بالتواتر، المُتعبد بتلاوته، المَبدوء بسورة الفاتحة، المُختتم بسورة الناس".(٤)

والقرآنُ كلامُ الله، وهو صِفَةٌ مِن صِفَاتِهِ عز وجل؛ قال تَعَالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ﴾ [التوبة: الآية:٦]، وروي عن **جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- (ت: ما بين ٧٣ إلى ٧٧ هـ)** أنه قَالَ: "كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُ نَفسَهُ فِي

(١) كتاب العين والأثر في عقائد أهل الأثر (ص: ٦٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم (٨) من حديث ابن عمر-رضي الله عنهما-.

(٣) انظر: لسان العرب (١/ ١٢٩)، ومناهل العرفان للزرقاني (١/ ٧).

(٤) انظر: مناهل العرفان (١/ ١٠-١٣)، و«مباحث في علوم القرآن» لمناع القطان (ص: ٢٠-٢١).

المَوْسِمِ؛ فيَقُولُ: **«أَلَا رَجُلٍ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ؛ لِأُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي»**.(١)

**وقال ابن تيمية-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٧٢٨ هـ)**:"إنَّ سلفَ الأمَّةِ وأئمَّتَها كانوا على الإيمان الذي بعثَ الله به نبيَّه-ﷺ-، يصِفون الله بما وصَف به نفسَه، وبما وصَفَه به رسولُهُ من غير تحريفٍ، ولا تعطيلٍ، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ، ويقولون: إنَّ القرآنَ كلامُ الله تعالى، ويصفونَ الله بما وصفَ به نفسَهُ، من التكليمِ، والمُناجاة، والمُناداةِ، وما جاءت به السُّنَنُ والآثارُ موافقةً لكتاب الله تعالى".(٢)

**رابعًا: القرآن غير مخلوق.(٣).**

الذِي عَلَيهِ إجماعُ السَّلفِ الصَّالحِ مِنَ الصَّحابةِ-رضي الله عنهم-وَالتَّابعِينَ لَهم بِإحسَانٍ: أَنَّ القرانَ كلامُ اللهِ غَيرُ مَخلوقٍ؛ حُرُوفه وَمَعَانِيه، مُنَزَّلٌ مِن عِندِ اللهِ؛ نَزَلَ بِهِ جِبريلُ عليه السلام إِلَى نَبِيِّنَا ﷺ.فكلامُ الله تعالى صفةٌ من صفاتهِ غيرُ مَخلوقٍ كسائر صِفاتِه، سَواء كان القرآن العربيّ، أوِ التَّوراةَ العِبريَّةَ، أو غيرَ ذلك من كلامِهِ تعالى، ممَّا وقَعَ من كلامِهِ، وممَّا لَم يقع بَعْدُ.

ولَقَدْ كانَ السَّلفُ في صَدْرِ الإسلام في غِنًى عن إطلاقِ لفظِ (غير مخلوق) لأنَّه كانَ من المُسَلَّمِ عندهم أنَّ كلامَ الله صفةٌ مِن صفاتِهِ، وصفاتُهُ غيرُ مَخلوقةٍ، حتى ظَهَرت الجَهميةُ، فنفَتْ صفةَ الكلامِ عن الله تعالى، لكنْ لمَّا كانَ هذا القولُ منكَراً شَنيعًا، تَنفرُ منه قلوبُ الناسِ، وتقشَعِرُّ منه جلودُهم، ويرفُضُهُ إيمانُهُمْ، أبدَلوهُ بقَوْلِهم: كلامُ الله مَخْلوقٌ، فتظاهَروا بإثباتِ الكلامِ، وأبطلُوهُ بقولهم: مخلوقٌ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٣٤)، والترمذي (٢٩٢٥)، وابن ماجه (٢٠١)، والحاكم (٢/ ٦٦٩) وصححه، من حديث أبي هريرة-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، وقال في «المجمع» (٦/ ٣٥): «رجاله ثقات».

(٢) «مجموع الفتاوى» (٦/ ٥١٨).

(٣) المصدر: كتاب العقيدة السلفية في كلام رب البرية لعبد الله بن يوسف الجديع.

فلمَّا كانَ حقيقةُ قَوْلِهم إبطالَ صفةِ الكلامِ وتَعطيلَها قابَلهم السَّلَفُ برفْضِ هذهِ البدعةِ وإنكارِها، والتَّشديدِ عليهم في ذلكَ، بل وتكفيرهم، لأنَّ حقيقةَ قولهم الكفرُ، لِما تضمَّنَ من تكذيبِ القرآنِ، وإثبات النَّقْصِ للرَّحمنِ، فقالَ السَّلَفُ حينئذٍ: (كلامُ الله -كالقرآن وغيره- غيرُ مخلوقٍ).

ولقَدْ كانَتْ لهذه العقيدةُ مبنيَّةً على أُسُسٍ متينةٍ وقَواعدَ عظيمةٍ من الكتابِ والسُّنَّةِ، والمَعقولِ الصَّريحِ، ونُصوصِ السَّلَفِ وكَلامِهم، خِلافًا لما يحسَبُه الجاهلونَ.

**الأدلة من القرآن الكريم:**

١ - قالَ الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: الآية: ٥٤].

والاحتجاجُ بهذه الآيةِ من وَجْهَيْنِ:

الأول: أنَّه تعالى فرَّقَ بين الخَلْقِ والأمْرِ، وهما صِفَتان من صِفاتِهِ، أضافَهما إلى نفسهِ، أمَّا الخَلْقُ فَفِعْلُهُ، وأمَّا الأَمرُ فقولُهُ، والأصْلُ في المُتعاطفين التَّغايُرُ إلاَّ إذا قامَتِ القرينةُ على عَدم إرادَة ذَلكَ، وهنا قد قامتِ القرائنُ على توكيدِ الفَرْقِ بَيْنَهُما، ومنها الوجهُ الآتي.

والثاني: أنَّ الخَلْقَ إنَّما يكونُ بالأمْرِ، كَما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: الآية: ٨٢].

فقوله تعالى: ﴿كُنْ﴾ هو أمْرُهُ، فلو كانَ مَخْلوقًا لاحتاجَ خلقُهُ إلى أمْرٍ، والأمْرُ إلى أمرٍ، إلى ما لا نِهاية، وهذا باطلٌ.

وقد احَتجَّ الإمامُ أحمدُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ٢٤١ هـ) على الجَهْمِيَّة المُعْتزلةِ بهذه الآية.

قال -رَحِمَهُ اللَّهُ-: "قلتُ: قال الله: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ والأمْرُ﴾ [الأعراف: الآية: ٥٤]، ففرَّقَ بين

الخَلْقِ والأمْرِ".(١)

وقال لهم:"قال الله: ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ...﴾ [النحل: الآية: ١] فأمْرُهُ كلامُه واستطاعَتُهُ ليسَ بمخلوقٍ، فلا تَضْرِبوا كِتابَ الله بعضَهُ بِبعضٍ".(٢)

وقالَ فيما كتَبَهُ للمتوكِّل حينَ سألَهُ عن مَسألةِ القرآنِ:"وقَدْ قالَ الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ...﴾ [التوبة: الآية: ٦]، وقَالَ: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: الآية: ٥٤]، فَأخبرَ بالخَلْقِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَالأمْرُ﴾، فأخبرَ أنَّ الأمرَ غَيْرُ مَخلوقٍ".(٣)

وقد سبَقَ الإمامَ أحمد إلى هذا الاحتجاج شيخُه الإمامُ سفيانُ بن عُيَيْنَةَ الهِلاليُّ-الحافظُ الثِّقَةُ الحُجَّةُ-(ت: ١٩٨ هـ)، فقالَ رَحِمَهُ اللهُ:"ما يَقولُ هذا الدُّوَيْبَّةُ؟" -يعني بشرًا المَريسِيّ-.

قالوا: يا أبا محمَّدٍ، يزعُمُ أنَّ القُرآنَ مَخلوقٌ،

فقالَ:"كَذَبَ، قال الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأمْرُ﴾ [الأعراف: الآية: ٥٤]، فالخَلْقُ خَلْقُ الله تبارك وتعالى، والأمْرُ القرآنُ".(٤)

قال الحافظُ هبةُ الله ابنُ الطَّبَرِيّ-رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ٤١٨ هـ)، عقبَ هذا:"وكذلكَ قالَ أحمدُ بن حنبل (ت: ٢٤١ هـ)، ونُعَيْمُ بن حمَّادٍ (ت: ٢٢٨ هـ)، ومحمَّدُ بن يحيى الذُّهْليُّ (ت: ٢٥٨ هـ)، وعَبْدُ السَّلام بن عاصمٍ الرازيُّ، وأحمدُ بن سِنانٍ الواسطيُّ (ت: ٢٥٦ هـ)، وأبو حاتِمٍ الرازيُّ (ت: ٢٧٧ هـ)".(٥)

---

(١) رواه حنبل في "المحنة" (ص: ٥٣) عن أحمد.

(٢) رواه حنبل في "المحنة" (ص: ٥٤) عنه.

(٣) رواه صالح ابنه في "المحنة" روايتة (ص: ١٢٠-١٢١).

(٤) رواه الآجري في "الشريعة" (ص: ٨٠)، وابن الطبري في "السنة" رقم (٣٥٨) والخطيب في "تاريخ بغداد" (٩/ ٨٨-٨٩) بسند جيد عنه.

(٥) ابن الطبري في "السنة" رقم (٣٥٨).

٢ - وقالَ تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ [الرحمن: الآيات: ١ - ٣].

ففرَّقَ تعالى بينَ عِلمِهِ وخَلْقِهِ، فالقرآنُ عِلْمُهُ، والإنسانُ خلقُهُ، وعِلْمُهُ تعالى غيرُ مَخلوقٍ.

قالَ تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: الآية: ١٤٠].

وقالَ تعالى: ﴿...وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: الآية: ١٤٥].

وقالَ تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد: الآية: ٣٧].

فسمَّى الله تعالى القرآنَ عِلْماً، إذْ هو الذي جاءَه مِنْ رَبِّهِ؟ وهو الذي عَلَّمهُ الله تعالى إيَّاه - ﷺ-، وعِلْمُهُ تعالى غيرُ مَخلوقٍ، إذ لو كانَ مخلوقًا لاتَّصَفَ تعالى بِضدِّهِ قبلَ الخَلْقِ، تعالى الله عن ذلك وتنزَّه وتقدَّس.

وبهذا احتجَّ الإمامُ أحمدُ-رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ٢٤١ هـ)، على الجَهْميةِ فيما كتبَهُ للمتوكِّل في مسألة القرآنِ.

قالَ-رَحِمَهُ اللهُ-:"قالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾، فَأخبرَ تَعالى أنَّ القرآنَ مِنْ عِلْمِهِ" ثمَّ احتجَّ بالآياتِ الثلاثِ المذكوراتِ، ثمَّ قال:"فالقرآنُ من علم الله تعالى، وفي هذه الآيات دليلٌ على أنَّ الذي جاءَه -ﷺ- هو القرآنُ، لقولِهِ: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [البقرة: الآية: ١٢٠]".(١)

وقالَ-رَحِمَهُ اللهُ-في حكايةِ مُناظرتِهِ للجَهْميةِ في مَجْلس المُعتصِم:"قالَ لي عبدُ الرَّحمن القزّازُ(٢): كانَ اللهُ ولا قرآنَ، قلتُ له: فكانَ الله ولا عِلْم! فأمْسَكَ، ولَوْ زعَمَ أنَّ اللهَ كانَ ولا

(١) رواه صالح في "المحنة" (ص: ١٢١)، وعبد الله في "السنة" رقم (١٠٧) عن أبيهما به.

(٢) أحدُ مناظِري الإمام بحضرة المعتصم.

عِلْم لكفَرَ باللهِ".[١]

وقيلَ لـه -رَحِمَهُ اللهُ-: قـومٌ يقولـونَ: إذا قـال الرَّجُلُ: كـلامُ الله لـيسَ بمخلـوقٍ، يقولـون: مَـنْ إمامُكَ في هذا؟ ومِنْ أيْنَ قلتَ: ليس بمخلوقٍ؟ قال:

"الحجَّة قولُ الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْـمِ﴾ [البقـرة: الآية: ١٢٠]، فما جاءَه غيرُ القرآن".

قال: "القرآنُ من عِلْمِ الله، وعلمُ الله ليسَ بمخلوقٍ، والقُرْآنُ كلامُ الله ليسَ بمخلوقٍ، ومثلُ هذا في القرآنِ كثيرٌ".[٢]

وقالَ رَحِمَهُ اللهُ: "القُرآنُ علمٌ مِنْ عِلمِ الله، فمَنْ زعَمَ أنَّ عِلمَ الله مخلوقٌ فهو كافرٌ".[٣]

٣ - وقالَ تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَـاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾ [الكهف: الآية: ١٠٩].

وقالَ تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَـا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: الآية: ٢٧].

فأخبرَ تعالى -وقولُهُ الحَقُّ- أنَّ كَلِماتِهِ غيرُ مُتَناهِيَةٍ، فَلـو أنَّ البحـارَ التـي خَلَـقَ الله كانـتْ مِدادًا تُكْتَبُ به، والشَّجَرَ الذي خلقَ الله أقلامـًا تُخَطُّ بِهِ، لَنَفِدَ مِدادُ البُحورِ، وَلَفَنِيَـت الأقْـلامُ، ولم تَفْنَ كَلِماتُ الله.

وإنَّمَا في هذه الإبانةُ عن عَظَمَةِ كَلَامِهِ تعالى، وأنَّه وَصْفُهُ وَعِلْمُهُ، وهـذا لا يُقـاسُ بـالكلامِ المَخلوقِ الفاني، إذ لَوْ كان مخلوقًا لَفَنِيَ من قبلِ أنْ يَفنى بَحْرٌ مـن البُحـورِ، ولكـنَّ الله تعـالى إنَّما كتَبَ الفناءَ على المَخلوقِ لا عَلَى نفسِهِ وصفَتِهِ.

---

(١) رواه حنبل في "المحنة" (ص: ٤٥)، عنه.

(٢) رواه صالح في "المحنة" (ص: ٦٩)، عنه.

(٣) رواه ابن هانئ في "المسائل" (٢/ ١٥٣، ١٥٤)، عنه.

٤ – أسماءُ الله تعالى في القُرآنِ، كـ(الله، الرحمن، الرحيم، السميع، العليم، العفور، الكريم...) وغيرها من أسمائِهِ الحُسْنى، وهي من كلامِهِ، إذ هو الذي سَمَّى بها نفسَه، بألفاظِها وَمَعانِيها.

وقد ساوى الله تعالى بين تَسبيحِ نَفْسِهِ وتَسبيحِ أسمائِهِ، فقال تعالى: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: الآية: ٤٢]، وقال: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: الآية: ١]، وقال: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: الآيات: ٧٤، ٩٦ والحاقة: الآية: ٥٢].

وساوى تعالى بين دُعائِهِ بنفسهِ ودُعائِهِ بأسمائِهِ، فقال: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: الآية: ٥٥] وقال: ﴿قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: الآية: ١١٠] وقال: ﴿وَلِلهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: الآية: ١٨٠].

وكذلك ساوى تعالى بين ذِكْرِهِ بنفسهِ وذِكْرِهِ بأسمائِهِ، فقالَ: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ [الأعراف: الآية: ٢٠٥] وقالَ: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الإنسان: الآية: ٢٥].

وهذا التَّسبيحُ والدُّعاءُ والذِّكْرُ إنْ كانَ يَقَعُ لمَخلوقٍ كان كُفْراً بالله.

فإنْ قيلَ: إنَّ كلامَه تعالى مَخلوقٌ، كانتْ أسماؤُهُ داخِلةً في ذلكَ، ومَنْ زعَمَ ذلك فقَدْ كَفَرَ لِما ذكرنا، ولأنَّ معنى ذلكَ أنَّ الله تعالى لم تكن لَه الأسماءُ الحُسنى قبل خَلْقِ كلامِهِ، ولَكانَ الحالفُ باسْم من أسمائِهِ مُشْرِكًا لأنه حلَفَ بمَخلوقٍ، والمَخلوقُ غيرُ الخالقِ، وقد قالَ النَّبيُّ -ﷺ-: **(مَن حَلَفَ بغير الله فقد أشركَ)**.(١)

(١) أخرجه أحمد رقم (٤٩٠٤، ٦٠٧٢)، وأبو داود رقم (٣٢٥١)، والترمذي رقم (١٥٣٥)، وابن حِبّان رقم (١١٧٧-موارد)، والحاكم (١/ ١٨) و (٤/ ٢٩٧)، وآخرون من حديث عبد الله بن عمر به.وحسّنه الترمذي، وصححه الحاكم وأقرَّه الذهبي.

وبهذه الحُجَّةِ احتجَّ جماعةٌ من السَّلفِ والأئمَّةِ على كَوْنِ القرآنِ غيرَ مخلوقٍ، منهم:

**١) الإمام الحُجَّة سُفيان بن سَعيد الثوريّ -رَحِمَهُ اللهُ- (ت: ١٦١ هـ).**

قال: "مَنْ قالَ: إنَّ ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ۞ اللهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: الآيات: ١-٢] مخلوقٌ، فهو كافِر".(١)

**٢) ناصرُ السُّنَّة أبو عبد الله محمَّد بن إدريسَ الشَّافعي -رَحِمَهُ اللهُ- (ت: ٢٠٤ هـ).**

قال: "مَنْ حَلَفَ باسمٍ مِن أسماءِ الله فحنَثَ فعليه الكفَّارة، لأنَّ اسمَ الله غيرُ مَخلوقٍ، ومن حلَفَ بالكعبةِ، أو بالصَّفا والمَرْوةِ، فليسَ عليه الكفَّارةُ، لأنَّهُ مَخلوقٌ، وذاكَ غيرُ مَخْلوقٍ"(٢)

**٣) إمامُ أهل السُّنَّة أحمدُ بن حَنبل -رَحِمَهُ اللهُ- (ت: ٢٤١ هـ).**

قال: "مَنْ قالَ: القرآن مخلوق فهو عندنا كافرٌ، لأنَّ القُرآن من عِلْمِ الله عَزَّ وَجَلَّ، وفيه أسماءُ الله عَزَّ وَجَلَّ".(٣)

وقالَ: "وأسماءُ الله في القُرْآنِ، والقُرْآنُ من عِلْمِ الله، فمَنْ زَعَمَ أنَّ القرآنَ مخلوقٌ فهو كافرٌ، ومن زعَمَ أنَّ أسْمَاءَ الله مخلوقةٌ فقدْ كَفَرَ".(٤)

وذَكَرَ لَه رَجُلٌ أنَّ رَجُلاً قالَ: إنَّ أسماءَ الله مخلوقةٌ، والقرآنُ مخلوقٌ، فقال أحمدُ: "كُفْرٌ بَيِّنٌ".(٥)

وقالَ: "أسْماءُ الله في القرآنِ، والقرآنُ من عِلْم الله، وعِلْمُ الله ليس بمخلوقٍ، والقرآنُ كلامُ

(١) أخرجه عبد الله في "السنة" رقم (١٣).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في "آداب الشافعي" (ص: ١٩٣)، وأبو نعيم (٩/ ١١٣)، والبيهقي في "السنن" (١٠/ ٢٨) و"الأسماء والصفات" (ص: ٢٥٥ – ٢٥٦)، و"المناقب" (١/ ٤٠٥) بإسناد صحيح.

(٣) رواه ابنه عبد الله في "السنة" (١/ ١٠٢).

(٤) رواه ابنه صالح في "المحنة" (ص: ٥٢، ٦٦ – ٦٧).

(٥) رواه أبو داود في "المسائل" (ص: ٢٦٢)، عنه.

الله ليسَ بمخلوقٍ على كلِّ وجهٍ، وعلى كلِّ جهةٍ، وعلى أيِّ حالٍ".[١]

وكما أنَّه تعالى لا يوصَف بصفةٍ مخلوقةٍ، فلا يسمَّى باسم مَخلوقٍ.

٥ - أخبرَ تعالى عن تَنزيلِه منه وإضافتِه إليه، كما قالَ: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [السجدة: الآية: ٢]، وقالَ: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: الآية: ١١٤]، وقال: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: الآية: ١٠٢]، ولَم يُضِف شيئًا ممَّا أنزلَه إلى نفسِه غير كلامِه[٢]، ممَّا دَلَّ على الاختصاصِ بمَعنى، فليسَ هو كإنزالِ المَطَرِ والحديد وغير ذلك، فإنَّ هذه الأشياءَ أخبرَ عن إنزالِها، لكنَّه لم يُضِفْها إلى نفسِه، بخِلافِ كلامِهِ تعالى، والكلامُ صِفَةٌ، والصِّفَةُ إنَّمَا تُضافُ إلى مَن اتَّصَفَ بها لا إلى غيرِه، فلو كانت مخلوقةً لفارقت الخالقَ، ولم تصلحْ وَصْفًا له، لأنَّه تعالى غَنِيٌّ عن خَلقِهِ، لا يَتَّصفُ بشيءٍ منه.

**الأدلة السنة:**

**حديث خَوْلَةَ بنت حَكيم السُّلميَّة -رضي الله عنها-**، قالَتْ: سَمِعْتُ رسولَ الله -ﷺ- يقول: (مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً ثُمَّ قَالَ: أعوذُ بِكَلِماتِ الله التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ، لم يَضُرَّهُ شَيْءٌ حتَّى يرتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذلكَ).[٣]

**وحديثُ أبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- (ت: ٥٧ هـ)**، قالَ: جاء رجلٌ إلى النَّبيِّ -ﷺ-، فقال: يا رَسُولَ الله، ما لَقِيتُ مِنْ عَقْربٍ لَدَغَتْني البارحةَ، قال: «**أما لَو قُلْتَ حين أمْسَيْتَ: أعوذ**

(١) رواه ابنه صالح في "المحنة" (ص: ٦٩).

(٢) انظر: "مجموع الفتاوى": (١٢/ ٢٤٧، ٢٩٧).

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ٣٧٧، ٤٠٩)، ومسلم (٤/ ٢٠٨٠)، والترمذي رقم (٣٤٣٧)، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" رقم (٥٦٠، ٥٦١) وابن ماجة رقم (٣٥٤٧) من حديث سعد بن أبي وقاص عن خولة به.وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح غريب".

**بكلماتِ الله التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ لم تَضُرَّكَ».** (١)

وفي سياق آخرَ عنه قال: قال النَّبِيُّ -ﷺ-: **«مَنْ قالَ إذَا أمْسى ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: أعوذُ بكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ من شَرِّ ما خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّهُ حُمَةٌ تلكَ اللَّيْلة».**

قال: فكان أهلُنا قد تعلَّمُوها، فكانوا يقولونَها، فلُدِغَتْ جاريةٌ منهم، فلم تَجِدْ لها وَجَعًا". (٢)

**وحَديثُ عبد الله بن عباسٍ-رضي الله عنهما-(ت: ٦٨ هـ)،** أنَّ رَسولَ الله -ﷺ-كانَ يُعَوِّذُ حَسَنًا وحُسَيْنًا، يقولُ: **«أُعيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيطانٍ وهامَّةٍ، ومِنْ كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ».**

وكانَ يقولُ: «كانَ إبْراهيمُ أبي يُعَوِّذُ بهما إسْماعيلَ وإسحاقَ».(٣).

فأثبتَ النَّبيُّ -ﷺ- بما ذكَرْناهُ عنه شرعيَّةَ الاستعاذةِ بكلماتِ الله، فلو كانَتْ كلماتُهُ مخلوقةً لكانت الاستعاذةُ بها شِرْكًا، لأنَّها استعاذةٌ بمَخلوقٍ، ومن المعلوم أنَّ الاستعاذةَ بغير الله تعالى وأسمائِهِ وصفاتِهِ شِرْكٌ، فكيفَ يَصِحُّ أن يُعلِّمَ النَّبيّ -ﷺ-أمَّتَه ما هو شركٌ ظاهرٌ، وهو الذي جاءهم بالتَّوحيدِ الخالصِ؟

فدلَّ هذا على أنَّ كلماتِ الله تعالى غيرُ مخلوقةٍ.

وقالَ نُعَيْمُ بن حمَّاد (شيخُ البخاري، ومن أئمَّة السُّنَّة):"لا يُستعاذُ بالمَخلوقِ، ولا بكلامِ العباد والجنِّ والإنسِ والملائكةِ".

---

(١) أخرجه مالك (٢/ ٩٥١)، وأحمد (٢/ ٣٧٥)، ومسلم (٤/ ٢٠٨١)، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" رقم (٥٨٥ – ٥٨٩، ٥٩١ – ٥٩٢) وابن ماجة رقم (٣٥١٨).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٠)، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" رقم (٥٩٠).

(٣) أخرجه أحمد رقم (٢١١٢، ٢٤٣٤)، والبخاري (٦/ ٤٠٨)، وأبو داود رقم (٤٧٣٧)، والترمذي رقم (٢٠٦٠)، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" رقم (١٠٠٦، ١٠٠٧)، وابن ماجة رقم (٣٥٢٥)، من طريق منصور بن المعتمر عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به.وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح"..

وقال البخاري عَقِبهُ:"وفي هذا دَليلٌ أنَّ كلامَ الله غيرُ مخلوقٍ، وأنَّ سواه خَلْقٌ" [١].ثمَّ احتجَّ البخاريُّ لذلك بما ذكرنا.

واعترضَ بعضُ أهلِ البدَعِ على هذه الحُجَّة بقوله -ﷺ-:"اللَّهمَّ أعوذُ بِرِضاكَ من سَخَطِكَ، وبمُعافاتِك من عُقوبَتِك..." الحديث [٢]، فقالوا: فاستعاذَ النبي -ﷺ-بالرِّضا والمُعافاة وهما مَخلوقان.

والجوابُ: أن هذا الاعتراضَ من فاسدِ الفهْم الذي أدخلَه عليهم الشيطانُ-لعنه الله-

(١) "خلق أفعال العباد" ص: ١٤٣.

(٢) حديث صحيح.مرويٌّ من حديث عائشة وعلي، رضي الله عنهما. أما حديث عائشة، فأخرجه أحمد (٦/ ٥٨، ٢٠١)، ومسلم رقم (٤٨٦)، وأبو داود رقم (٨٧٩)، والنسائي (١/ ١٠٢ و ٢/ ٢١٠)، وابن ماجة رقم (٣٨٤١) من طريق عُبَيْد الله ابن عمر عن محمد بن يحيى بن حَبَّان عن الأعرج عن أبي هريرة عن عائشة قالت: فَقَدْتُ رسولَ الله -ﷺ- ليلة من الفراش، فالتمسْتُهُ، فوقَعتْ يَدِي على بطنِ قَدَمَيْه وهو في المسجد، وهما منصوبتان (زاد في بعض الطرق: وهو ساجد) وهو يقولُ: (اللَّهمَّ أعوذُ برضاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وبمعافاتك من عقوبتِكَ، وأعوذُ بكَ منكَ، لا أحصي ثناءً عليك، أنتَ كما أثنيتَ على نفسِك). وأخرجه مالك (١/ ٢١٤)، والترمذي رقم (٣٤٩٣)، والنسائي (٢/ ٢٢٢)، عن يحيى ابن سعيد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن عائشة بنحوه. قلت: وهذا سند منقطع، محمد بن إبراهيم لم يسمَع من عائشةَ، وقد حسَّن الترمذي هذه الطريق لمجيء الحديث من غير هذا الوجه عن عائشة. وللحديث طريق ثالثة. أخرجها النسائي ٨/ ٢٨٣ - ٢٨٤ من حديث مسروق بن الأجدع عن عائشة به نحوه. قلت: لكن إسناده ضعيف، لحال العلاء بن هلال أحد رجال الإسناد فإنَّه منكر الحديث جداً. أما حديث علي رضي الله عنه.فأخرجه أحمد رقم (٧٥١، ٩٥٧)، وأبو داود رقم (١٤٢٧)، والترمذي رقم == (٣٥٦٦)، والنسائي (٣/ ٢٤٨ - ٢٤٩)، وابن ماجة رقم (١١٧٩) من طرق عن حماد بن سلمة عن هشام بن عمرو عن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن عليّ أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يقولُ في آخر وتره: (اللَّهم إنِّي أعُوذُ برضاكَ من سَخَطِكَ، وأعُوذُ بمعافاتِكَ من عقوبتِكَ، وأعوذُ بكَ منكَ، لا أحصي ثناءٌ عليك، أنتَ كما أثنيْتَ على نفسِكَ). قال الترمذي: "حديث حسنٌ غريبٌ من حديث عليّ، لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه، من حديث حماد بن سلمة". قلت: إسناده صحيح، وهشام هذا هو الفَزاري معروف برواية هذا الحديث، وهو ثقة. وقد رواه عن عليّ أيضـًا إبراهيم بن عبد الله بن عَبْدٍ القاري. أخرجه النسائي في "عمل اليوم والليلة" رقم (٨٩١، ٨٩٢). وإسناده منقطع، إبراهيم عن علي مرسل.

وذلك أنَّهم حَسِبوا أنَّ الرِّضا والمعافاةَ من خَلْقه تعالى، جَرْيًا على سُنَّتِهم في أنَّ الله تعالى لا يقوم به اختيارٌ ولا مَشيئة، والرِّضا والمعافاةُ إنَّما يتعلَّقان بالمشيئةِ، وكلُّ ما تعلَّقَ بالمشيئة فهو مخلوقٌ.

وهذا الأصل الفاسِدُ جرَّهم إلى الوقوع في تعطيل جميعِ الصفاتِ الاختيارية، كالرِّضا، والغَضبِ، والرَّحْمةِ، والرَّأفةِ، والحُبِّ، والبُغْضِ، والإنْعام، والانتقامِ، وغيرِها مَما يتعلَّقُ بمشيئتهِ تعالى واختيارِه.

والحَقُّ الأبلجُ الذي يبهَرُ أبصارَ أهلِ البِدَع أنَّه تعالى تقومُ به الصِّفاتُ الاختياريةُ، والاستعاذة بالرِّضا والمُعافاةِ، استعاذةٌ بصفته تعالى، إذ رضاهُ تعالى صفتهُ التي يرضى بها عمَّنْ شاءَ من عبادهِ، ومعافاتُهُ صفَتُهُ التي يُعافي بها من شاءَ من عبادِهِ، والمَخلوق إنَّما هو العافيةُ الموجودةُ في الناس، والتي كانت بمعافاتِهِ تبارك وتعالى، فتأمَّل هذا رحِمَكَ الله ترشَد إن شاءَ الله.

٢ - حديث أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-(ت: ٥٧ هـ)، عن النبي -ﷺ- قال: (فَضْلُ كلامِ الله على سائرِ الكلامِ كفَضْلِ الله على سائرِ خلقِه).(١)

تضمَّن هذا الحديث إثباتَ عقيدةِ السَّلَفِ (القرآن كلام الله غيرُ مخلوق) وذلك من وجهين:

الأوَّل: التفريق بين كلام الله وما سِواه من الكلام، والكلامُ إما كلامُ الله الذي هو صفته، أو الكلامُ المخلوق الذي يقَعُ من خلقِهِ، فأضافَ ما كانَ صفةً لله إلى الله، وعمَّمَ ما سِواهُ، ليشمَلَ كلَّ كلام سوى ما أضافه إلى الله، ولو كان الجميعُ مَخْلوقًا لمَا كانت هناك حاجة إلى التفريق.

والثاني: جعلَ الفَرْقَ بينَ كلام الله وكلام غيره كالفَرْقِ بينَ ذاتِ الله وذاتِ غيره، فجعلَ

(١) أخرجه عثمان الدارمي في " الرد على الجهمية " رقم: (٢٨٧، ٣٤٠)، واللالكائي رقم: (٥٥٧).

كلامَه مساويـًا لذاتِهِ، وكَلامَ المخلوقِ مساويـًا لذات المخلوقِ، ولو كان كلامُهُ مخلوقـًا لـم يساوِه بذاتِهِ، فإنَّ الله تعالى ليسَ يُساويه شيءٌ غيرُ صفاتِهِ وأسمائِهِ.

وقد احتجَّ بهذا الإمام عثمان بن سعيد الدَّارِمِيُّ في "الـردِّ على الجهمية" فقال بعدَما ذكَر الأحاديثَ في هذا المعنى:

"ففي هذه الأحاديث بيانُ أنَّ القرآنَ غير مخلوقٍ؛ لأنَّه ليس شيءٌ من المخلوقينَ من التفاوت في فَضْلِ ما بينهما كما بين الله وبينَ خلقِهِ في الفَضْلِ؛ لأنَّ فَضْلَ ما بين المخلوقين يُسْتَدْرَك، ولا يُسْتدركُ فَضْلُ الله على خلقِهِ، ولا يُحْصِيهِ أحَدٌ، وكذلك فَضْلُ كلامهِ على كلام المخلوقين، ولو كانَ مخلوقـًا لم يكن فضْلُ ما بينَه وبين سائر الكلام كفضْلِ الله على خلقهِ، ولا كَعُشْرِ عُشْرِ جُزءٍ من ألفِ ألفِ جُزْءٍ، ولا قريبـًا فافْهَموه، فإنَّه ليسَ كمثله شيءٌ، فليسَ كَكَلامِهِ كلامٌ، ولن يُؤْتى بمثلِهِ أبداً".[1]

**الأدلة من المعقول الصريح:**

وذلك من وجهين:

الأول: أنَّ كلامَ الله إنْ كانَ مخلوقـًا، فلا يخلو من أحَدِ حالَيْن:

الأولى: أنْ يكونَ مخلوقـًا قائمـًا بذاتِ الله.

والثانية: أنْ يكونَ منفصلاً عن الله بائنـًا عنه.

وكلا الحالين باطلٌ، بل كفرٌ شنيعٌ.

أمّا الأولى فيَلزَمُ منها أن يقوم المخلوقُ بالخالقِ، وهو باطلٌ في قولِ أهلِ السُّنَّةِ، وعامَّةِ أهلِ البِدَعِ، فإنَّ الله تعالى مُستغنٍ عن خلقهِ من جميع الوجوهِ.

وأمّا الثانية فيلزَمُ تعطيلُ صفَةِ الكلام للباري تعالى، إذْ أنَّ الصفةَ إنَّما تقومُ بالمَوصوف -كما سبق تقريره- لا تقومُ بِسِواه، فإنْ قامَتْ بغير الموصوف كانت وصفـًا لمن قامتْ به،

(١) "الرد على الجهمية" (ص: ١٦٢-١٦٣).

وهذا معناه أنَّ الرَّبَّ تعالى غيرُ متكلّمٍ، وهو كفرٌ بَيِّنٌ، كما بَيَّنا الدلالةَ عليه.

والثاني: علمتَ أنَّ الصفةَ لا تقومُ بنفسِها، فإن كانتْ صفةً للخالق قامت به، وإن كانتْ صفةً للمخلوقِ قامتْ به ولا بدَّ، فالحركةُ، والسُّكونُ، والقيامُ، والقعودُ، والقدرةُ، والإرادةُ، والعلمُ، والحياةُ، وغيرُها من الصِّفاتِ، إن أضيفت لشيءٍ كانت وصفًا لهُ، وهي تابعةٌ لمن قامَتْ به، فهذه صفاتٌ تُضاف للمخلوقِ، فهي صفات له حيث أضيفتْ له، ومنها ما يُضافُ إلى الخالق، كالقُدْرةِ والإرادةِ والعلمِ والحياةِ وغيرِ ذلك، فهي صفاتٌ له حيثُ أضيفت له، وحيثُ أضيفت للمخلوقِ فهي مخلوقةٌ، وحيثُ أضيفت للخالقِ فهي غير مخلوقةٍ.

فصفةُ الكلامِ كغيرها من الصِّفاتِ، لا بدَّ أن تقومَ بمَحَلٍّ، فإذا قامت بمَحَلٍّ كانت صفةً لذلك المَحَلِّ، لا صفةً لغيرِه، فإنْ هى أضيفت إلى الخالق تعالى فهيَ صفتُهُ، وإنْ أضيفتْ إلى غيرِهِ فهي صفةٌ لذلك الغيرِ، وصفةُ الخالقِ غير مخلوقةٍ كنفسهِ، وصفةُ المخلوقِ مخلوقةٌ كنفسهِ.

فلمَّا أضافَ الله لنفسه كلامًا، ووصَفَ نفسَهُ به، كان كلامُهُ غيرَ مخلوقٍ، لأنَّه تابعٌ لنفسِهِ، ونفسُهُ تعالى غيرُ مخلوقةٍ، والكلامُ في الصِّفات فَرْعٌ عن الكلامِ في الذاتِ.

فإنْ قيلَ: هو مخلوقٌ، قُلْنا: إذاً يتنزَّهُ الله عن الاتّصافِ بمخلوقٍ، وأنتم تنزهونه تعالى بزَعْمِكُمْ عن قيام الحوادث به، فحيثُ نزّهتم ربّكم تعالى عن ذلك فإنَّه يلزمُكُم أن لا تضيفوا إليه كلامًا، وبهذا تكذّبون السَّمْعَ والعقل الشاهِدَيْنِ على أنَّ لله تعالى صفةَ الكلام، كما قدْ بيَّناه فيما مضى.

لكنَّهم أبَوُا الإقرار بأنَّ كلامَ الله تعالى غيرُ مخلوقٍ بأدهى ممَّا سبَقَ من الباطل، فقالوا: نُثْبِتُ أنَّ الله متكلمٌ بكلامٍ قائمٍ في غيرِهِ، فكلَّم الله تعالى موسى بكلامٍ مَخَلوقٍ قائمٍ بالشَّجَرة، لا بِهِ تعالى، فنحن نزَّهناه عن قيام الحوادث بِهِ.

قُلْنا: جعلتُمُ الكلامَ إذاً صفةً للمَحَلِّ الذي قامَ به، وهو على قولِكم الشَّجَرةُ، فكانت الشجرةُ بهذا هي القائلةُ لمُوسى: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: الآية:

٣٠]، فانتفى حينئذ الفرقُ بين قولِ الشَّجرةِ وقول فرعونَ اللَّعين: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: الآية: ٢٤]؛ لأنَّ كلامَ الشجرةِ صفَتُها لا صفةُ الله، وكلامَ فرعونَ صفتُهُ، وكلٌّ ادَّعى الربوبيَّة، فلم يكن موسى إذاً محِقّاً في إنكارِهِ قولَ فرعونَ وقبولِهِ قولَ الشجرةِ.

سُبحان الله! كم تجُرُّ البدعُ على أهلِها من المَحاذير؟

تأمَّل رحِمَكَ الله لهذا الكُفْرَ الصُّراح، الَّذي أوقعَ أهلَه فيه الابتداعُ المُشِينُ، وعدَمُ الرِّضا والتَّسليم لحَقائق التَّنزيلِ، واستبدالُ الوحي الشريفِ بزُبالاتِ الأذْهانِ التي تُصَرِّفها الأهواءُ كيف شاءَت.

ولقد كانتْ هذه الحجَّةُ العَقْليَّة ممَّا احتَجَّ به الإمامُ أحمدُ-رَحِمَهُ اللهُ-على الجَهْميةِ المعتزلةِ حين ناظَرهم بحضْرَة المعتصِم، قال-رَحِمَهُ اللهُ-:

"وهذه قصَّةُ موسى، قال الله في كتابِهِ حكاهُ عن نفسِهِ: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى﴾ [النساء: الآية: ١٦٤]، فأثبتَ الله الكلامَ لموسى كرامةً منه لموسى، ثمَّ قالَ بعدَ كلامِهِ له ﴿تَكْلِيمًا﴾ تأكيداً للكلامِ، قالَ الله تعالى: يَا مُوسَى ﴿إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ [طه: الآية: ١٤]، وَتُنْكرونَ هذا، فتكونُ هذه الياءُ تَرِدُ على غير الله، ويكونُ مخلوقٌ يدَّعِي الرُّبوبية؟! ألَا هو الله عَزَّ وجَلَّ".[1].

وكذا احتجَّ بهذه الحُجَّة من أئمَّة السَّلَفِ

**الثِّقةُ المأمونُ أبو أيوب سليمانُ بن داودَ الهاشميُّ-رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ٢١٩ هـ)**، فقال:

"مَنْ قالَ: القرآن مخلوقٌ فهو كافرٌ، وإن كانَ القرآنُ مخلوقاً كما زعمها فَلِمَ صارَ فرعونُ أولى بأنْ يُخَلَّدَ في النَّارِ، إذْ قالَ: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: الآية: ٢٤]، وزعَموا أنَّ هذا مخلوقٌ، والذي قال: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: الآية: ١٤]، هذا أيضاً قد ادّعى ما ادّعى فرعونُ، فَلِمَ صارَ فرعونُ أولي بأن يُخَلَّدَ في النَّارِ من هذا، وكلاهُما مخلوقٌ؟".

(١) رواه حنبل في "المحنة" (ص: ٥٢)، عنه.

قال البُخاريُّ -رَحِمَهُ اللهُ- (ت: ٢٥٦ هـ): فأخْبِرَ بذلكَ أبو عُبَيْد [١] فاستحسَنه وأعجَبه.[٢]

**كلام أئمه السلف في إثبات هذه العقيدة:**

١- **عمرو بن في دينار -رَحِمَهُ اللهُ- (ت: مابين: ١٢٥ إلى ١٢٩ هـ)** (من خيار أئمَّةِ التَّابعينَ):

قال: "أدركتُ أصحابَ النَّبي -ﷺ- فَمَن دونَهم منذ سبعينَ سنة، يقولون: الله الخالقُ، وما سِواه مخلوق، والقرآن كلام الله، منه خَرجَ وإليه يعودُ".[٣]

٢- **قال إسحاقُ بن راهوَيْهِ -رَحِمَهُ اللهُ- (ت: ٢٣٨ هـ):**

"وقد أدْرَكَ عَمْرُو بن دينارٍ أجلّةَ أصحابِ رسولِ الله -ﷺ-، من البَدْريينَ، والمُهاجِرينَ، والأنصار، مثل: جابر بن عبد الله، وأبي سعيدٍ الخُدْري، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عبَّاس، وعبد الله بن الزبير، وأجلّة التابعين، وعلى هذا مضى صدرُ هذه الأمَّةِ".[٤]

٣- **جَعفر بن محمَّد بن عليّ بن الحُسَين المَعروف بـ"الصادق" -رَحِمَهُ اللهُ- (ت: ١٤٨ هـ)** (إمامٌ ثقةٌ سُنِّيٌّ):

**قال معاويةُ بن عمَّارٍ الدُّهْنِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- (ت: ١٧٥ هـ):** قلْتُ لجَعْفر -يعني ابنَ محمد- إنَّهم يسألون عن القرآنِ: مخلوقٌ هو؟ قال: "ليس بخالِقٍ ولا مَخلوقٍ، ولكنَّه كلامُ الله".[٥].

---

(١) أبو عُبَيد هو القاسم بن سلاَّم -رحمه الله- (ت: ٢٢٤ ه) لغويُّ أهلِ الحديث.

(٢) "خلق أفعال العباد" رقم (٥٩) عن سليمان به.

(٣) أخرجه الدارمي في " الردّ على الجهمية" رقم (٣٤٤) و"النقض على المريسي" (ص: ١١٦)، والبيهقي في "السنن" (١٠/ ٢٠٥).

(٤) قول إسحاق هذا زاده البيهقي في "السنن" ١٠/ ٢٠٥ و"الأسماء والصفات" (ص: ٢٤٥)، عقب قول عمرو بن دينار، وسنده صحيح.

(٥) أخرجه البخاري في "خلق أفعال العباد" رقم (١٠٩) والدارمي في "الرد على الجهمية" رقم (٣٤٥) و"النقض على المريسي" (ص: ١١٦)، وعبد الله بن أحمد في "السنة" رقم (١٣٢-١٣٤) وأبو داود في "المسائل" (ص: =

٤-**مالك بن أنس-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ١٧٩ هـ)** (إمام دار الهجرة):

**قال عبد الله بن نافع-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ١٨٦ هـ)**: كان مالكٌ يقول:"كلَّم الله موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-" ويقول:"القرآنُ كلامُ الله" ويستفظِع قولَ من يقول: القرآن مخلوق.(١).

٥-**سفيان بن عُيَيْنَة-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ١٩٨ هـ) (إمامٌ حُجَّةٌ)**:

سئل عن القرآن؟ فقال:"كلامُ الله، وليس بمخلوقٍ".(٢).

٦-**عبد الله بن المبارك-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ١٨١ هـ) (ذاكَ العَلَم)**:

قال:"القرآنُ كلامُ الله عَزَّ وَجَلَّ، ليسَ بخالقٍ ولا مَخلوقٍ".(٣).

٧-**أبو عبد الله الشَّافعيُّ الإمامُ-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٢٠٤ هـ)**:

قالَ الرَّبيعُ بن سُلَيْمان-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٢٧٠ هـ) صاحبهُ وتلميذُهُ حاكيـًا المناظرةَ التي جَرَتْ بينَهُ وبينَ حفْصٍ الفَرْدِ في القرآن:

فسألَ الشَّافعيَّ، فاحتجَّ عليه الشافعيُّ وطالَت فيه المُناظرةُ، فأقامَ الشَّافعيُّ الحُجَّةَ عليهِ بأنَّ القرآنَ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ، وكفَّر حَفْصـًا الفَرْدَ.

قال الرَّبِيعُ: فلقيتُ حفْصـًا الفَرْدَ في المَجْلسِ بَعْدُ، فقال: أرادَ الشَّافعيُّ قَتْلي(٤)

٨-**وكيعُ بن الجَرَّاح-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ١٩٧ هـ)** (أحدُ كبارِ الحُفَّاظ):

قال:"القرآنُ كلامُ الله عزَّ وجَلَّ ليسَ بالمَخلوقِ".(٥)

---

=

٢٦٥)، والآجري في "الشريعة" (ص: ٧٧)، البيهقي في "الأسماء" (ص: ٢٤٦-٢٤٧)، و"الاعتقاد" (ص: ١٠٧)، من طريق معاوية به.

(١) رواه صالح بن أحمد في "المحنة" (ص: ٦٦)، بسند صحيح عنه.

(٢) أخرجه أبو داود في "المسائل" (ص: ٢٦٥)، بسند جيد عنه.

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم (١٤٤) وسنده صحيح، وكذا رواه اللالكائي رقم (٤٢٦).

(٤) رواه عبد الرحمن بن أبي حاتم في "آداب الشافعي" (ص: ١٩٤-١٩٥)، وسنده صحيح..

(٥) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم (١٥١) بسند صحيح.

٩- **يحيى بن سعيد القطَّان-رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ١٩٨ هـ)** (رأسٌ في الحَديثِ وعِلَلِهِ):

قال الحافظُ أبو الوليد الطَّيالِسيُّ -رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ٢٢٧ هـ): قالَ لي يحيى بن سعيدٍ: "كيف يصْنَعونَ بـ ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]؟ كيف يَصْنَعونَ بهذه الآية: ﴿إِنِّي أَنَا اللهُ﴾؟ يكونُ مخلوقًا؟".(١)

١٠-**يزيد بن هارون-رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ٢٠٦ هـ)** (من كبار أئمَّةِ الحَديثِ):

قال:"مَنْ قالَ: القرآنُ مخلوقٌ فهو كافرٌ".(٢)

١١-**عبد الله بن إدريس-رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ١٩٢ هـ)** (ثِقَةٌ ثَبْتٌ):

قال:"القرآنُ كلامُ الله، ومنَ الله، وما كانَ مِنَ الله عَزَّ وجَلَّ فليسَ بمخلوقٍ".(٣)

١٢-**أبو الوليد الطَّيالِسي: هشامُ بن عبد الملك-رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ٢٢٧ هـ)** (ثِقَةٌ حافِظٌ):

قال:"القرآنُ كلامُ الله، وكلامُ الله ليسَ بمَخلوقٍ"(٤)

١٣-**سليمان بن حَرْبٍ-رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ٢٢٤ هـ)** (ثِقَةٌ جَبَلٌ صاحبُ سُنَّة):

**قال عباسُ بن عبد العظيم-رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ٢٤٦ هـ)**، -وكان ثِقَةً- سمعتُ سُليمانَ بن حَرْبٍ قال:"القرآنُ ليسَ بمَخلوقٍ".

فقلت له: إنَّكَ كنتَ لا تقولُ هذا، فما بَدا لكَ؟

قالَ:"استَخْرَجْتُهُ من كتاب الله عَز وجَل: ﴿لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ [آل عمران: الآية: ٧٧] فالكلام والنظرُ واحدٌ".(٥)

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم (١٥٧) بسند صحيح.وكذا أخرجه البخاري في "خلق أفعال العباد" رقم (٣٠) عن الطيالسي نحوه.

(٢) رواه أبو داود في "المسائل" (ص: ٢٦٨)، بسند صحيح.

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم (١٦١) بسند صحيح.

(٤) رواه أبو داود في "المسائل" (ص: ٢٦٦)، بسند صحيح.

(٥) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم (١٦٩) عن عباس عنه به.

**١٤-الإمام أحمدُ بن حَنبل-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٢٤١ هـ)** إمام أهل السُّنَّة:

النَّقْلُ عنه في ذلك متواترٌ، والناقلونَ عنه لا يُحصيهم العدُّ، وكَفى ما كان منه في المِحْنَةِ مع الجهميةِ المعتزلةِ القائلين بخلقِ القرآن، وقد تقدَّم ذكرُ بعضِ النقلِ عنه، وسيأتي بعض ذلك متناثِراً.

وممَّا يَحْسُنُ ذكرُهُ هنا ما قالَه الإمام أحمدُ جواباً لسؤالِ المتوكّلِ عن مسألة القرآنِ:

"وقد رُويَ عن غير واحدٍ ممَّن مَضى من سَلَفِنا رحمهم الله أنَّهم كانوا يقولون: القرآنُ كلام الله عَزَّ وجَلَّ، وليس بمخلوقٍ، وهو الذي أذْهَبُ إلَيهِ، ولسْتُ بصاحبِ كلامٍ، ولا أرى الكلامَ في شَيْءٍ من هذا، إلاَّ ما كانَ في كتابِ الله عَزَّ وجَلَّ، أو في حديثٍ عن النبي -ﷺ-، أو عن أصحابِهِ، أو عنِ التابعينَ، فأمَّا غير ذلك فإنَّ الكلامَ فيه غيرُ مَحْمودٍ".(١)

وقال حنبلٌ: سمعتُ أبا عبد الله يقولُ:

"لم يَزَل الله-عَزَّ وَجَلَّ-متكلِّماً، والقرآنُ كلامُ الله-عَزَّ وَجَلَّ-غيرُ مخلوقٍ، وعلى كلِّ جِهَةٍ، ولا يوصَفُ الله بشَيْءٍ أكثرَ ممَّا وصَفَ به نَفْسَهُ-عَزَّ وَجَلَّ-".(٢)

١٥ -يحيى بن مَعين-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٢٣٣ هـ) (إمامُ الجَرْحِ والتَّعديلِ) وأبو خيثمة زُهَيْر بن حَرْب-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٢٧٩ هـ) (حافظٌ إمامٌ ناقِدٌ):

قالا: "القرآنُ كلام الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وهو غيرُ مَخْلوقٍ".(٣)

١٦-أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٢٣٥ هـ) (حافظٌ إمامٌ مُصَنِّفٌ):

قال له رجُلٌ من أصحابِهِ: القرآنُ كَلامُ الله وليسَ بمَخلوقٍ، فقال أبو بكر:

"مَنْ لَمْ يَقُلْ هذا فهو ضالٌّ مُضِلٌّ مُبْتَدِعٌ".(١)

---

(١) رواه صالح في "المحنة" (ص: ١٢٢)، وعبد الله في "السنة" رقم (١٠٨) عن أبيهما.

(٢) رواه حنبل في "المحنة" (ص: ٦٨)، وانظر (ص: ٧٤).

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم (١٧٣) بسند صحيح، وانظر "تاريخ يحيى" رواية الدوري (٣/ ٣٣٥).

١٧-**عثمان بن أبي شَيْبَةَ-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٢٣٩ هـ)** (ثِقَةٌ حافِظٌ):

قال: "القرآنُ كلامُ الله وليسَ بمَخلوقٍ".(٢)

١٨-**جماعةٌ من شُيوخ أبي داودَ السِّجِستاني صاحب "السُّنن":**

**قال أبو داود-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٢٧٥ هـ)**: سمعتُ إسحاقَ بن إبراهيمَ بن راهُوَيهِ-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٢٣٨ هـ)، وهَنَّادَ بن السَّريّ-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٢٤٣ هـ)، وعبدَ الأعلي بنَ حمَّادٍ-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٢٣٧ هـ)، وعُبيدَ الله بن عُمَر بنِ مَيسرةَ القواريريَّ-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٢٣٥ هـ)، وحكِيم بن سيفٍ الرَّقيّ-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٢٣٥ هـ)، وأيوبَ بن محمَّدٍ-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٢٤٦ هـ)، وسَوّارَ بنَ عبد الله-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٢٤٥ هـ)، والرَّبيعَ بن سليمان-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٢٧٠ هـ)-صاحبَ الشَّافعيّ-، وعبدَ الوهّابِ بن الحَكَم-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٢٥١ هـ)، ومحمَّدَ بن الصَبّاح بنِ سُفيانَ-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٢٤٠ هـ)، وعُثمانَ بن أبي شَيْبَة-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٢٣٩ هـ)، ومحمَّدَ بنَ بَكّارِ بنِ الرَّيَّانِ-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٢٣٨ هـ)، وأحمدَ بن جَوَّاس الحنفيَّ-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٢٣٨ هـ)، ووَهْبَ بن بَقِيَّةَ-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٢٣٩ هـ)، ومَن لا أُحْصيهم من عُلمائِنا، كلُّ هؤلاءِ سَمِعْتُهم يقولونَ: "القُرْآنُ كلامُ الله ليسَ بمَخلوقٍ". وبعضهُم [قال: "القرآنُ] غيرُ مخلوقٍ".(٣)

قلتُ: وجميعُ هؤلاءِ الشيوخِ من أئمَّة الحديثِ، وكلُّهم ثِقاتٌ، سِوى حَكيم بن سَيْف فإنَّه صالحٌ لا بأس به.

١٩-**عليُّ بن المديني-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٢٣٤ هـ)** (صَيْرفيّ الحَديثِ وأهلِه).

قال محمَّدُ بن عثمانَ بن أبي شَيْبة-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٢٩٧ هـ): سمعتُ عليَّ بن المَديني يقولُ

=

(١) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم (١٦٢) عنه به.

(٢) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم (١٦٣) عنه به.

(٣) "المسائل" لأبي داود (ص: ٢٦٦).

قبلَ أن يموتَ بشَهرين: "القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ، ومَن قالَ: مخلوقٌ، فهو كافرٌ".(١)

٢٠-**أبو يعقوب البُوَيْطيِّ** -رَحِمَهُ اللَّهُ- **(ت: ٢٣١ هـ)** (تلميذُ الشافعي وخرّيجُهـ):

قال:"مَنْ قالَ: القرآنُ مخلوقٌ، فهو كافرٌ".(٢)

٢١-**المُزَنِيُّ: إسماعيل بن يحيى** -رَحِمَهُ اللَّهُ- **(ت: ٢٦٤ هـ)** (إمامٌ فَقيهٌ، من أخَصّ أصحابِ الشافعي رحمه الله):

قال:"القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ، ومَن قالَ: إنَّ القرآنَ مخلوقٌ، فهو كافرٌ".(٣)

٢٢-**البخاريّ: محمَّد بن إسماعيل** -رَحِمَهُ اللَّهُ- **(ت: ٢٥٦ هـ)** (إمامُ المحدّثين):

قال:"القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ".(٤).

٢٣-**أبو حاتِمٍ** -رَحِمَهُ اللَّهُ- **(ت: ٢٧٧ هـ) وأبو زُرْعَة** -رَحِمَهُ اللَّهُ- **(ت: ٢٨٩ هـ)** الرّازيانِ (عالمانِ حافظانِ، من كبارِ أئمَّةِ الحديثِ):

قال عبدُ الرَّحمن بن أبي حاتِمٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ٣٢٧ هـ):

سألتُ أبي وأبا زُرْعةَ عن مَذاهبِ أهل السُّنَّة في أصولِ الدّينِ، وما أدركا عليه العلماءَ في جميع الأمصارِ، وما يَعْتَقِدان من ذلك؟

فقالا:"أدْرَكْنَا العُلَماءَ في جَميع الأمصار: حِجازاً، وعِراقًا، وشامًا، ويَمَنًا، فكان من مذهبهم: الإيمان قولٌ وعَمَلٌ يَزيدُ وينقصُ، والقرآنُ كلامُ الله غير مخلوقٍ بجميع جهاتِهِ".(٥)

فهؤلاءِ بِضْعةٌ وثلاثونَ من الأئمَّةِ، قد سمِّيناهم، عامَّتهم ممَّن يُقْتَدى بهم، وجميعهم من

---

(١) أخرجه ابن الطبري في "السنة" رقم (٤٥٣) والخطيب في "تاريخ بغداد" (١١/ ٤٧٢)، بسند صحيح، وانظر "مسائل ابن أبي شيبة لابن المديني" (ص: ١١٣).

(٢) رواه أبو داود في "المسائل" (ص: ٢٦٨)، بسند صحيح عنه.

(٣) رواه البيهقي في "الأسماء والصفات" (ص: ٢٥٢)، بسند صحيح، ورواه هو وابن الطبري بإسنادين آخرين عنه.

(٤) "خلق أفعال العباد" (ص: ٣٧).

(٥) أخرجه ابن الطبري في "السنة" (١/ ١٧٦)، بسند صحيح.

أهلِ القُرونِ المُفَضَّلَة التي هي خيرُ القرون.

**٢٤-قال الإمام أبو عثمانَ الصابونيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٤٤٩ هـ):** "ويشهَد أصحابُ الحديث، ويعتقدونَ: أنَّ القرآنَ كلام الله وكتابُه، وخِطابُه، ووحيُهُ، وتنزيلُهُ، غيرُ مخلوقٍ، ومَنْ قالَ بِخَلْقِهِ واعتقدَه فهو كافرٌ عندهم".[(١)]

ولو أَرَدْنا استيعاب ما بلَغنا من أقوالهم في إثباتِ هذه العقيدةِ (القرآنُ كلامُ الله غيرُ مَخْلوقٍ) لاحتاجَ ذلك إلى تصنيفٍ مُستقلٍّ.

**وقد ساقَ الإمامُ أبو القاسِم هبةُ الله بن الحَسَن الطَّبريُّ اللّالكائي-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٤١٨ هـ)** في كتابه العَظيم (شرحِ أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة) أو (كتاب السنة) القولَ بذلك عن خَمْسِ مِئَةٍ وخَمسينَ نَفْسًا من علماءِ الأمَّةِ وسَلَفِها، كلُّهُم يقولونَ:"القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ، ومَن قال: مخلوقٌ، فهو كافرٌ".

قال-رَحِمَهُ اللَّهُ-:"فهؤلاء خَمْسُ مِئَةٍ وخمسونَ نَفْسًا أو أكثر، من التَّابعينَ، وأتباع التَّابعينَ، والأئمةِ المَرْضيينَ، سوى الصحابة الخيّرين، على اختلاف الأعصارِ، ومُضِيّ السّنين والأعوامِ، وفيهم نحوٌ من مِئة إمامٍ، ممَّن أخذَ الناسُ بقَوْلهم، وتَديَّنوا بمَذاهبهم، ولو اشتغلتُ بنقلِ قولِ المُحَدِّثينَ لبلَغتْ أسماؤهم ألوفًا كثيرةً".[(٢)].

وفيما ذُكر كفايةٌ لإثباتِ الحَقِّ البيّن الصَّريحِ الذي أطبقَ على اعتقادهِ سادةُ علماءِ الأمَّة، فهو إجماعُ أهلِ السُّنَّة الَّذي لا يقعُ فيهِ امتراءٌ، والله أعلم.

**مسألة القائلين بالتوقف.**

أما مَسْألة السُّكوتُ عن القولِ: القرآنُ مَخلوقٌ، أو غيرُ مَخلوقٍ، والاكتفاء بالقول: إنَّه كلامُ الله.

---

(١) "رسالته في السُّنَّة" (ص: ٦).

(٢) كتاب "السنة" رقم (٤٩٣).

**فقد سُئِلَ الإمامُ أحمدُ-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٢٤١ هـ)**: هَلْ لهم رُخْصَةٌ أنْ يقولَ الرجلُ: القرآن كلام الله تعالى ثمَّ يَسْكت؟ فقالَ:"ولِمَ يسكُت؟ لولا ما وقَعَ فيه الناس كان يسَعُهُ السُّكوتُ، ولكن حيثُ تكلَّموا فيما تكلَّموا لأيِّ شيءٍ لا يتكلَّمون؟".[١]

**قال الحافظ أبو بكر الآجُريُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٣٦٠ هـ)**:"معنى قول أحمدَ بن حنبل في هذا المعنى، يقول: لم يختلفْ أهلُ الإيمان أنَّ القرآنَ كلامُ الله عَزَّ وجَلَّ، فلمَّا جاءَ جَهْمٌ فأحْدَثَ الكُفْرَ بقولِهِ: إنَّ القرآن مخلوقٌ، لم يسَع العلماءَ إلاَّ الرَّدُّ عليه بأنَّ القرآنَ كلامُ الله عَزَّ وجَلَّ غيرُ مخلوقٍ بلا شكٍّ ولا تَوقُّفٍ فيهِ، فمَنْ لم يَقُلْ: غيرُ مخلوقٍ، سُمّيَ واقفيّاً شاكاً في دينه".[٢]

**وقال أحمدُ أيضاً**:"كنا نرى السُّكوتَ عن هذا قبلَ أن يخوضَ فيه هؤلاء، فلمَّا أظهروهُ لم نَجِدْ بُدّاً من مُخالفتهم والرَّدِّ عليهم".[٣]

والأئمةُ جميعاً على إنكارِ مَسْلَكِ هؤلاءِ، والتَّشديد عليهم، وتَبْدِيعهم، وأبو عبد الله أحمد بن حنبل أشدُّهم إنكاراً.

**قال أبو داود السِّجِستانيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٢٧٥ هـ)**: سمعتُ أحمدَ ذَكَرَ رَجُلينِ كانا وَقَفا في القرآنِ، ودَعَوَا إليه، فجعَلَ يَدعو علَيْهما، وقالَ لي: هذا لأحدِهما فِتْنةٌ، وجعَلَ يذكرهما بالمَكْروهِ.[٤]

وقالَ: رأيتُ أحمدَ سلَّمَ عليه رجلُ من أهْلِ بغداد ممَّن وقَفَ-فيما بلَغني-فقال:"اغْرُبْ، لا أرَيَنَّكَ تَجِيءُ إلى بابي-في كلام غَليظ-" ولَمْ يرُدَّ عليه السَّلامَ، وقالَ لَهُ:

---

(١) رواه أبو داود في "المسائل" (ص: ٢٦٣-٢٦٤)، ومن طريقه: الآجري (ص: ٨٧)، وإسماعيل بن الفضل (ق ١١٤/أ).

(٢) "الشريعة" للآجري (ص: ٨٧).

(٣) ذكره عنه عثمان الدارمي في "النقض على المريسي" (ص: ١١٠).

(٤) رواه أبو داود في "المسائل" (ص: ٢٦٤) ومن طريقه الآجري (ص: ٨٧).

"ما أحوَجَكَ إلى أنْ يُصْنَعَ بك ما صنَعَ عُمَرُ بصَبِيغٍ".

قال أبو داودَ: فهَّمَني بصَبيغ بعضُ ولَد أحمدَ - [فدخَلَ بيتَه وردَّ البابَ].(١)

وقالَ أبو طالب: سألتُ أبا عبد الله عمَّن أمسكَ، فقال: لا أقولُ ليسَ هو مخلوقًا، إذا لَقِيَني بالطريقِ وسلَّمَ عليَّ، أسَلِّمُ عليه؟

قال:"لا تُسَلِّمْ عليه، ولا تكلِّمْهُ، كيفَ يعرفُه الناسُ إذا سلَّمتَ عليْهِ؟ وكيفَ يعرفُ هو أنَّك مُنكرٌ عليه، فإذا لَمْ تُسَلِّم عليه عَرَفَ الذّلَّ، وعرفَ أنك أنكرتَ عليه، وعرفهُ النَّاسُ".(٢)

وقال أبو داودَ: سمعتُ أحمدَ وقيلَ له: ما تَرى في الصَّلاةِ خَلْفَ من يقولُ في القرآنِ: كلامُ الله، ويَقِفُ؟ قال:"يُعْجِبُني أنْ يُجْفَوا".(٣)

**وقال الإمامُ أحمدُ-رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ٢٤١ هـ):**"افترقَت الجَهميَّةُ على ثَلاثِ فِرَق: فِرْقَةٍ قالوا: القرآنُ مخلوقٌ، وفرقةٍ قالوا: كلامُ الله وتسْكُتُ، وفرقةٍ قالوا: لفظُنا بالقرآنِ مخلوقٌ".(٤)

ومقالاتُ الإمام أحمدَ فيهم كثيرةٌ مُستفيضةٌ، وكذا عن غيرِه من أئمَّةِ السُّنَّة، فمِنْ ذلك:

١ - **قال مُهَنّا أبو عبد الله السُّلَميّ-رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ٢٦٠ ه تقريبًا) (وكان من خيار أصحاب أحمد)**: سألتُ أحمدَ بن حنبل بعدَ ما أخْرجَ من السِّجنِ بسنتين: ما تقول في القرآنِ؟ فقَالَ:"كلامُ الله غيرُ مخلوق" وقال:"مَن رَوى عنّي غيرَ هذا القولَ فهو مُبْطِل" قلتُ له: إنَّ بعضَ مَن ذكَرَ عنك أنَّك قلتَ له: هو كلام الله، لا مَخلوق ولا غيرُ مخلوق، ولكن هو كلام

---

(١) رواه أبو داود في "المسائل" (ص: ٢٦٤)، ومن طريقه: الآجري (ص: ٨٧).وصَبيغ هذا بصريٌّ قَدِم على عُمَر فكان يجادل في متشابه القرآن، فجلَده عمر-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-لذلك، وقصته صحيحة مشهورة، رويت موصولةً بسند صحيح عند ابن عساكر (٨/ ١١٧) وغيره، ورويت مرسلةً من وجوه متعددة..

(٢) رواه الآجري (ص: ٨٨)، بسند صحيح.

(٣) رواه أبو داود في "المسائل" (ص: ٢٦٤).

(٤) رواه صالح في "المحنة" (ص ٧٢) عن أبيه به.

الله، فقال أحمد:"أبْطَلَ، ما قلتُ هذا، ولكنَّه هو كلامُ الله غير مخلوقٍ".[١]

٢ - **وقالَ سلَمةُ بن شَبيب-رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ٢٤٦ هـ)**: دخلتُ على أحمد بن حنبل فقلتُ: ما تقول فيمن يقول: القرآن كلامُ الله؟ فقال أحمد:"مَنْ لـم يَقُلْ: القـرآن كـلامُ الله غيـرُ مخلـوق فهو كافرٌ".

ثمَّ قالَ:"لا تَشُكَّنَّ في كُفْرِهم، فإنَّ مَن لم يَقُلِ: القـرآنُ كـلامُ الله غيـرُ مخلـوق فهـو يقـول: مخلوقٌ، ومَن قال: هو مخلوقٌ، فهو كافر بالله عزَّ وجَلَّ".

قال سلمَةُ: وقلتُ لأحمدَ: الواقفة كفّارٌ؟ فقال:"كفّارٌ".[٢]

٣ - **وقال عبد الله بن أحمدَ-رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ٢٩٠ هـ)**: سـمعتُ أبي -وسُئلَ عـن الواقفـة- فقال أبي: "مَن كانَ يُخاصِمُ ويُعرَفُ بالكلام فهو جَهْميٌّ، ومن لم يُعرَف بالكلام يُجانَب حتى يَرْجِعَ، ومَن لم يكن له عِلمٌ يَسأل".[٣]

وقالَ مرَّةً في الواقِفَةِ:"هُمْ شَرٌّ مِن الجهميَّةِ".[٤]

قلتُ: لخَفاءِ أمرِهم.

٤ - **وقال إسحاقُ بن راهُوَيْهِ-رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ٢٣٨ هـ)** (الإمامُ الفقيهُ الحافِظُ):

"مَنْ قالَ: لا أقولُ: القرآنُ مخلوقٌ، ولا غيرُ مخلوقٍ، فهو جَهميٌّ".[٥]

٥ - **وقال قُتَيبةُ بن سعيد-رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ٢٤٠ هـ)** (وهو ثِقَةٌ ثَبْتُ حافِظٌ):

"هؤلاءِ -يعني الواقفة- شَرٌّ مِنْهم، ممَّن قالَ: القرآنُ مخلوقٌ".[٦]

---

(١) رواه عبد الله في "السنة" رقم (٥٢٩) عن مهنّا عن أحمد.

(٢) رواه ابن الجوزي في "مناقب الإمام أحمد" (ص: ١٥٧)، بسند جيد.

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم (٢٢٣).

(٤) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم (٢٢٥).

(٥) رواه أبو داود في "المسائل" (ص: ٢٧٠)، ومن طريقه الآجري في "الشريعة" (ص: ٨٨).

(٦) رواه أبو داود في "المسائل" (ص:٢٧٠) ومن طريقه الآجري (ص: ٨٨).

**٦ - وقال الحافظُ الإمامُ أبو الوليد الطَّيالِسيُّ -رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ٢٢٧ هـ):**

"مَن لم يَعْقِدْ قلبَه على أنَّ القرآنَ ليسَ بمخلوقٍ فهو خارجٌ من الإسلام".[١]

**٧ - وقال عثمانُ بن أبي شيبة -رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ٢٣٩ ه) (ثِقَةٌ حافِظٌ):**

"هؤلاء الذين يقولونَ: كلامُ الله ويسكُتونَ، شَرٌّ من هؤلاء -يعني ممن قالَ: القرآنُ مخلوقٌ".[٢]

**٨ - وقال أبو داودَ: سألتُ أحمدَ بن صالح المِصْريَّ -رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ٢٤٨ هـ)** (الحافظ الإمام) عمَّن يقول: القرآن كلامُ الله، ولا يقول: مخلوقٌ، ولا غيرُ مخلوقٍ؟ قال:"لهذا شاكٌّ".[٣]

**٩ - وقال أبو خَيْثَمة -رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ٢٧٩ هـ) (ثِقَةٌ حافِظٌ) -وسأل يَحيى بن مَعِين -رَحِمَهُ اللهُ- (ت: ٢٣٣ هـ)**، فقال:

إنَّهم يقولون: إنّكَ تقولُ: القرآنُ كلامُ الله، وتَسْكُت، ولا تقولُ: مخلوقٌ، ولا غيرُ مَخلوقٍ، قال:"لا" فعاوَدتهُ، فقال:"مَعاذَ الله، القرآنُ كلامُ الله غيرُ مَخْلوقٍ، ومَن قالَ غير لهذا فعليه لعنةُ الله".[٤]

١٠ - وقالَ أبو حاتِمٍ -رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ٢٧٧ هـ)، وأبو زُرْعةَ -رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ٢٨٩ هـ) الرّازيان الحافظان: "ومَن شَكَّ في كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، فوقَفَ شاكّاً فيه، يقولُ: لا أدْري، مَخْلوقٌ أو غير مَخلوقٍ، فهو جَهميّ، ومَن وقَفَ جاهلاً عُلِّمَ، ويُدّعَ ولَم يُكَفَّر".[٥]

(١) رواه أبو داود في "المسائل" (ص: ٢٦٦)، بسند صحيح.

(٢) رواه أبو داود في "المسائل" (ص: ٢٧١)، ومن طريقه الآجري (ص: ٨٨).

(٣) رواه أبو داود (ص: ٢٧١)، وعنه الآجري (ص: ٨٨).

(٤) رواه ابن الطبري في "السنة" رقم (٤٥٦) بسند صحيح.

(٥) رواه ابن الطبري (١/ ١٧٨) بسند صحيح.

وكذا ذكَر الإمامُ هِبَةُ الله ابنُ الطَّبريّ -رَحِمَهُ اللهُ- (ت: ٤١٨ هـ) نحوَ ما ذُكِرَ من الإنكار عن نَحْوِ مِئَةٍ من المحدِّثينَ والفُقَهاء.[١][٢]

**خامسًا: مسألة أنه منه بدأ وإليه يعود.[٣].**

**الجانب الأول: (منه بدأ).**

يَعْتَقِدُ السَّلَفُ أنَّ القرآنَ كلامُ الله تعالى، منه خرجَ وبدأ، تكلَّمَ به بحُروفِهِ ومَعانيهِ، فأسمَعَهُ جبريلَ عليه السَّلام، ونَزل به جبريلُ على قلبِ نبيِّنا ﷺ، وهو هذا اللِّسانُ العربيُّ المُبينُ، النّازلُ بلغةِ قُرَيْشٍ.

**الأدلة على ذلك:**

وهذا مُبَيَّن في غيرِ مَوْضع من كتاب الله تعالى، فمِنْ ذلك:

١ - قولُه تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: الآية: ١].

٢ - وقولُه -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾ [طه: الآية: ٤].

٣ - وقولُهُ تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: الآية: ٦].

٤ - وقولُه تعالى: ﴿الم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ [السجدة: الآيات: ١ - ٣].

٥ - وقولُه جلَّ وَعَلا: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ...﴾ [الزمر: الآيات: ١ - ٢].

٦ - وقولُه تعالى: ﴿حم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [فصّلت: الآيات: ١ - ٤].

---

(١) كتاب "السنة" (٢/ ٣٢٣-٣٢٩).

(٢) المصدر: كتاب العقيدة السلفية في كلام رب البرية لعبد الله بن يوسف الجديع.

(٣) المصدر: كتاب العقيدة السلفية في كلام رب البرية لعبد الله بن يوسف الجديع.

٧ - وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: الآيات: ٤١ - ٤٢].

فأخبرَ تعالى في هذه الآيات وما يشبهُها أنَّ القرآنَ العربيَّ الذي هو كلامهُ، إنَّما هو تنزيلُه، نَزلَ منهُ، فمنه بدَأ وَخَرَجَ لا مِنْ سِواه.

٨ - وقولُه تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ * وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: الآيات: ١٠١ - ١٠٣].

فأنبأ تعالى في هذه الآياتِ أنَّ القرآنَ العربيَّ نـزَلَ بـه رُوحُ القُدُس منه، ورُوحُ القُدُس هـو جبريلُ عليه السَّلام، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: الآية: ٩٧].

فليسَ هو كلامَ محمَّدٍ -ﷺ- كما زعَمَ الكفَّارُ- ولا كلامَ جبريلَ عليه السَّلام -كما زعمَه بعضُ أهلِ البِدَع- وإنَّما هو كلامُ الله تعالى، منه بدأ وخَرَجَ، وهو الذي أنزلَه بواسطةِ رسولهِ الملَك جبريلَ، فمن قال غير هذا فقدْ كَفَرَ، لأنَّه كذَّبَ الله في قولِه، وجَحَدَ ما أنبأتْ به رسلُه، وإنِ ادّعى الإِسلامَ وانتسبَ إليه، فالإِسلامُ يَبْرأ منه.

والله تعالى لم يُضِف شيئًا ممَّا أنزله إلى نفسِهِ غيرَ كلامِهِ، وذلك لأنَّه صفتُهُ.

**تنبيه:**

ويجب أن يُعلَمَ أنَّه ليسَ معنى قولهم (منه خَرَجَ) أنَّ صفةَ الكلام فارَقَتْهُ تعالى، وحلَّتْ في غيرِهِ، وأنَّ ما تكلَّم به نُسِبَ إلى غيرِه، وصارَ وصفًا لذلك الغَيْر -كما قد وَسْوَسَ به بعضُ أهل البدَع- فإنَّ هذا المعنى لا يُعقَل في حَقّ الإِنسانِ المَخلوقِ الضَّعيفِ، إذا تكلَّمَ بكلام تزولُ عنهُ صفةُ الكَلام بذلك وتفارقُه إلى غيرِهِ، فإنَّ من كانَ كذلكَ لم يمكِنْه الكلامُ إلاَّ مرّةً

واحدةً، فإذا تكلَّمَ هذه المرَّة فارقَتْهُ صفتُهُ، لأنَّ الكلامَ خرَجَ منه وفارقَهُ، وبمفارقته زالتْ عنه الصّفة ولَحِقتْ غيرَهُ، هذا كلامٌ لا يقوله مَن يَدري ما يقولُ، فإنَّ مَنْ وُصِفَ بالكلام على هذا المعنى موصوفٌ بالعَجْز عنه، وهو غيرُ متصوَّرٍ في حقّ الناطق المَخلوق على ضَعْفه، فكيف تصوَّرَهُ هؤلاء الضُّلاَّلُ في حقّ الله الذي ليسَ كمثلِهِ شيءٌ، فإنَّه تعالى وصفَ نفسَه بأنَّه متكلمٌ بكلامٍ متعلقٍ بمَشيئتهِ وقُدْرتهِ، يُسْمِعُه من شاءَ من خلقهِ، متى شاءَ، وأنَّ كلماتِهِ تعالى لا تَنْفَدُ، ومن كان هذا وصْفُهُ لم تفارقْهُ صفَتُهُ بتكلّمهِ مرَّةً أو مرَّاتٍ، وكانَ كلُّ ما تكلَّمَ به منسوباً إليه لا إلى غيرِهِ.

**قالَ الإمام الحافظُ أبو الوليد الطَّيالِسيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٢٢٧ هـ)**:"القُرْآنُ كلامُ الله ليسَ ببائنٍ من الله". (١)

**وقال ابن تيمية -رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٧٢٨ هـ)**:"وإنَّ قولَ السَّلَف: (منه بدأ) لم يُريدوا به أنه فارقَ ذاتَهُ، وحَلَّ في غيره، فإنَّ كلامَ المخلوقِ، بل وسائرَ صفاتهِ لا تفارقُه وتَنْتَقِلُ إلى غيرِهِ، فكيفَ يجوزُ أنْ يفارقَ ذاتَ الله كلامُه أو غيرُهُ من صفاتِهِ". (٢)

قالَ الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ﴾ [التوبة: الآية: ٦] فالَّذي يسمَعُهُ المُشْرك المستجيرُ من القارئ إنَّما هو كلامُ الله المضافُ إليه لا إلى غيرِهِ، فلو أن كلامَه بانَ منه وفارقَه لَما صَحَّتْ إضافَتُهُ إليه إضافةَ الصِّفَةِ إلى الموصوفِ.

وهذا الكلامُ بعَيْنِهِ هو الذي في مَصاحفِ المُسلمينَ بلا شَكٍّ ولا ريبٍ، خِلافاً لِلَّفظيةِ من الأشعريةِ وغيرهم القائلينَ بأنَّ ما في المَصاحفِ دلالةٌ على كلام الله، وليسَ هو كلامَ الله، وقد قالَ الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الواقعة: الآيات: ٧٧-٨٠]، فأبان أنَّ كلامَه الذي هو وحيُهُ وتنزيلُهُ يكونُ في

(١) رواه أبو داود في "المسائل" (ص: ٢٦٦)، بسند صحيح عنه.

(٢) "مجموع الفتاوى" (١٢/ ٢٧٤)، وانظر: (١٢/ ٥١٧-٥١٨، ٥٦١، ٥٥٠).

الكتاب المكنونِ، فكذلك كونُه في المَصاحفِ، ونحنُ لا نعلَمُ القرآنَ إلاَّ هذا العربيَّ المنزَلَ، وهو الذي سمَّاه الله تعالى كلامَه.

وقَدْ قالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: «لا تُسافِروا بالقرآن إلى أرْضِ العَدُوّ، فإنِّي أخافُ أن ينالَهُ العدوُّ».(١)

ولا خِلافَ في أنَّ النَّهيَ عن السَّفر بالقرآن، إنَّما هو النَّهْيُ عن السَّفَرِ بالمَصاحفِ، لأنَّ القرآنَ إنَّما يكونُ فيها، وهي التي تُحْمَلُ وتُنْقَلُ، ولا نعلَمُ القرآنَ إلاَّ كلامَ الله المنزَلَ على الحقيقةِ.

**قال ابن تيمية -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ٧٢٨ هـ):** "وممَّا كانَ أحمدُ أنكرَه من قولِ الجهميَّةِ قولُ من زعَمَ أنَّ القرآنَ ليسَ في الصُّدورِ، ولا في المَصاحفِ".(٢)

**الجانب الثاني: (إليه يعود)**

وقد اختلف العلماء في تفسير معنى قوله: وإليه يعود.

**القول الأول:** وقد تأوَّلَهُ بعضُ أهلِ السُّنَّة بعَودِ تلاوته وقراءته التي هي كَسْبُ العبدِ.

وهذا المعنى حَق، فإنَّه تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: الآية: ١٠]

**القول الثاني:** يعود إليه نسبة.

أي أنه يعود إلى الله تعالى وصفا، فهو الموصوف به سبحانه وتعالى لا يوصف به أحد

---

(١) أخرجه مالك (٢/ ٤٤٦)، والشافعي رقم (١١٤٩، ١١٥٠)، وأحمد رقم (٤٥٠٧، ٤٥٢٥، ٤٥٧٦، ٥١٧٠، ٥٢٩٣)، والبخاري (٦/ ١٣٣)، ومسلم رقم (١٨٦٩)، وأبو داود رقم (٢٦١٠)، والنسائي في "فضائل القرآن" - من "الكبرى" - رقم (٨٥)، وابن ماجة رقم (٢٨٧٩، ٢٨٨٠)، من طرق عن نافع عن ابن عمر به مرفوعًا.

وتابع نافعاً عليه عبد الله بن دينار، أخرجه أحمد رقم (٦١٢٤) وابن أبي داود في "المصاحف" (ص: ١٨٣) بسند صحيح عنه وكذا تابعه سالم عن أبيه، أخرجه ابن أبي داود (ص: ١٧٩ - ١٨٠)، بسند صالح في المتابعات.

(٢) المصدر: كتاب العقيدة السلفية في كلام رب البرية لعبد الله بن يوسف الجديع.

سوى الرب سبحانه وتعالى.

**قال ابن النجار الفتوحي-رَحِمَهُ اللهُ-(ت ٩٧٢ هـ):**"قال أحمد: كلام الله من الله ليس ببائن منه.وقد جاء في الأحاديث والآثار "أنه منه بدأ، ومنه خرج، وإليه يعود" نصا منه، ومن غيره عليه.

ومعنى ذلك: أنه هو المتكلم به، أو الذي يخرج منه، ولا يقتضي ذلك أنه يباينه وانتقل عنه.[١]

وقال: ومعلوم أن كلام المخلوق لا يباين محله.[٢] قال أحمد: منه بدأ وإليه يعود.[٣]

وقال: منه بدأ علمه، وإليه يعود حكمه.[٤]

وقال تارة: منه خرج، وهو المتكلم به، وإليه يعود، وهو القرآن".[٥]

**القول الثالث:** يُسرى به من الأرض في آخر الزمان، كما روي في بعض الآثار أنه إذا لم يعمل الناس بالقرآن، أي: أطبقت الأرض على عدم العمل به، ينزه الله كتابه فيرفعه من صدور الناس ومن مدادهم.

وبهذا جاء الخبرُ عن رسولِ الله ﷺ وغيرِه من أصحابه.

فأمَّا الخبر عن رسول الله ﷺ

١-عن حذيفة بن اليمان (ت: ٣٦ هـ)، وأبي هريرة-(ت: ٥٧ هـ)-رضي الله عنهما-، قالا: قال رسول الله-ﷺ-: «يسرى على كتاب الله ليلا، فيصبح الناس ليس في الأرض ولا

(١) ينظر: فتاوى ابن تيمية (١٢/ ٥٢)، مجموعة الرسائل والمسائل (٣/ ٣٥).

(٢) ينظر: مسائل الإمام أحمد (ص: ٢٦٦).

(٣) ينظر: فتاوى ابن تيمية (٢/ ٥١٧).

(٤) ينظر: ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة (٢/ ٥١٨).

(٥) ينظر: الفتوحي، شرح الكوكب المنير شرح مختصر التحرير (٢/ ٨٨).

في جوف مسلم منه آية».[١]

٢ - عن أبي هريرة-رضي الله عنه-(ت: ٥٧ هـ)، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-أنه قال: (يسرى على كتاب الله عز وجل فيرفع إلى السماء؛ فلا يصبح في الأرض آية من القرآن ولا من التوراة والإنجيل ولا الزبور، وينتزع من قلوب الرجال فيصبحون ولا يدرون ما هو).[٢]

ومما ورد من الآثار [٣]:

١ -**وعن شَدَّاد بن مَعْقِل-رحمه الله-أنَّ عبد الله بن مسعودٍ-رضي الله عنه-(ت: ٣٢ هـ)**، قال: «لَيُنْتَزَعَنَّ هذا القرآنُ من بين أظْهُرِكُمْ».

قال: قلتُ: يا أبا عبد الرَّحمن! كيفَ يُنْتَزَعُ وقد أثْبَتْنَاهُ في صُدورِنا، وأثبتناهُ في مَصاحِفنا؟ قالَ:"يُسْرى عليهِ في ليلةٍ، فلا يَبقى في قَلْبِ عَبْدٍ منه، ولا مُصحَفٍ منه شَيْءٌ، ويُصْبِحُ الناسُ فُقَراءَ كالبَهائم".

ثمَّ قرأ عبد الله: ﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ [الإسراء: الآية: ٨٦]".[٤]

٢ -**عن عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-(ت: ٣٢ هـ)**، من طريق زر بن حبيش- قال:"ليسرين على القرآن في ليلة، فلا تترك آية في قلب رجل ولا مصحف إلا رفعت".[٥]

(١) أورده الديلمي في الفردوس (٥/ ٤٨٨) (٨٨٤٨) عن أبي هريرة.وعزاه السيوطي إلى أبي الشيخ، وابن مردويه.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك برقم: (٨٥٤٤)، وقال الإمام الذهبي في التلخيص: صحيح على شرط الإمام مسلم.

(٣) كما ورد عن ابن مسعود-رضي الله عنه-، موقوفًا، أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٣/ ٣٦٢)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٠/ ٥٣٤)، والبخاري في خلق أفعال العباد، رقم (٣٨١، ٣٨٢)، وسعيد بن منصور في السنن (٢/ ٣٣٥)، وابن جرير الطبري في التفسير (١٥/ ١٥٨)، والبيهقي في السنن (٦/ ٢٨٩).

(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٨٥٣٨) وصحَّحه، وأخرجه الطبراني (٨٧٠٠)، وله طُرُقٌ مرفوعةٌ وموقوفةٌ، ذَكَرَ تخريجَها الشوكانيُّ في فتح القدير (٣/ ٣٥٨-٣٥٩).

(٥) أخرجه يحيى بن سلام (١/ ١٦١).وعزاه السيوطي إلى ابن أبي داود في المصاحف.

٣-**عن عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-(ت: ٣٢ هـ)**، من طريق عبد الله بن عتبة بن مسعود- قال:"اقرءوا القرآن قبل أن يرفع، فإنه لا تقوم الساعة حتى يرفع.قالوا: هذه المصاحف ترفع، فكيف بما في صدور الناس؟ قال: يعدى عليه ليلا فيرفع من صدورهم، فيصبحون فيقولون: لكأنا كنا نعلم شيئا.ثم يقعون في الشعر".(١)

٤-**عن حذيفة بن اليمان-رضي الله عنه-(ت: ٣٦ هـ)**، من طريق ربعي بن حراش- قال:"يوشك أن يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب، ويقرأ الناس القرآن لا يجدون له حلاوة، فيبيتون ليلة ويصبحون وقد أسري بالقرآن وما قبله من كتاب، حتى ينتزع من قلب شيخ كبير وعجوز كبيرة، فلا يعرفون وقت صلاة ولا صيام ولا نسك، حتى يقول القائل منهم: إنا سمعنا الناس يقولون: لا إله إلا الله.فنحن نقول: لا إله إلا الله".(٢)

٥-**عن أبي هريرة-رضي الله عنه-(ت: ٥٧ هـ)**، من طريق أبي حازم- قال:"يسرى على كتاب الله، فيرفع إلى السماء، فلا يبقى في الأرض آية من القرآن ولا من التوراة والإنجيل والزبور، فينزع من قلوب الرجال، فيصبحون في الضلالة، لا يدرون ما هم فيه".(٣)

٦-**عن عبد الله بن عمرو بن العاص-رضي الله عنهما-(ت: ٦٥ هـ)**، قال:"لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث نزل، له دوي حول العرش كدوي النحل، يقول: أتلى ولا يعمل بي".(٤)

٧-**عن علي بن أبي طالب-رضي الله عنه-(ت: ٤٠ هـ)**:"يذهب الناس حتى لا يبقى أحد يقول لا إله إلا الله، فإذا فعلوا ذلك ضرب يعسوب الدين ذنبه فيجتمعون إليه من أطراف الأرض كما

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٠٢٦).

(٢) أخرجه الخطيب في تاريخه (١/ ٤٠٠).

(٣) أخرجه الحاكم (٤/ ٥٠٦).وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.

(٤) عزاه السيوطي إلى محمد بن نصر في كتاب الصلاة.

يجمع قرع الخريف.ثم قال علي: إني لأعرف اسم أميرهم ومناخ ركابهم، يقولون: القرآن مخلوق.وليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله، منه بدأ وإليه يعود".(١)

٨-**عن عكرمة-رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ١٠٥ هـ) قال: كان ابن عباس-رضي الله عنهما-(ت: ٦٨ هـ)**، في جنازة، فلما وضع الميت في لحده قام رجل فقال:"اللهم رب القرآن اغفر له.فوثب إليه ابن عباس فقال:"مه، القرآن منه" زاد الصهبي في حديثه فقال ابن عباس:"القرآن كلام الله ليس بمربوب، منه خرج وإليه يعود".(٢)

٩-**عن شمر بن عطية-رَحِمَهُ اللهُ-(ت: في ولاية خالد القسري)**، قال:"يسرى على القران في ليلة، فيقوم المتهجدون في ساعاتهم فلا يقدرون على شيء، فيفزعون إلى مصاحفهم فلا يقدرون عليها، فيخرج بعضهم إلى بعض فيلتقون، فيخبر بعضهم بعضا بما قد لقوا".(٣)

١٠-**عن عمرو بن دينار-رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ١٢٦ هـ)**، يقول:"أدركت مشايخنا والناس منذ سبعين سنة يقولون: القرآن كلام الله، منه بدأ وإليه يعود".(٤)

١١- **سفيان الثَّوْري-رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ١٦١ هـ)**.

قال:"القرآنُ كلامُ الله غيرُ مَخلوقٍ، منه بَدَأ وإليه يعودُ، مَنْ قال غيرَ هذا فهو كُفْرٌ".

١٢- **أبو بكر بن عيَّاش (ت: ١٩٣ هـ)**.

قال:"القرآنُ كلامُ الله، ألقاه إلى جبرائيلَ، وألقاهُ جِبرائيلُ إلى محمَّدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، منه بدَأ،

(١) أخرجه اللالكائي في أصول الاعتقاد (٢/ ٢٥٤)، عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ موقوفًا.

(٢) أخرجه اللالكائي في أصول الاعتقاد (٢/ ٢٥٦).

(٣) عزاه السيوطي إلى ابن أبي داود، وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه اللالكائي في أصول الاعتقاد (٢/ ٢٦٠).وذكر الحافظ ضياء الدين المقدسي في "اختصاص القرآن" فقرة [٦] عشرة أنفس من الصحابة أدركهم عمرو بن دينار فيهم: عبد الله بن عمر، وابن عباس، وابن الزبير، وجابر بن عبد الله، وغيرهم.

وإليه يعودُ".[١]

**١٣-سفيان بن عُيَيْنَة -رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ١٩٨ هـ).**

سأله رجُلٌ: يا أبا محمَّدٍ، ما تقولُ في القرآنِ؟ فقال:"كَلامُ الله، مِنْهُ خَرجَ وإليه يَعودُ".

**١٤- الإمام أحمدُ بن حنبل -رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٢٤١ هـ).**

قال:"لقيتُ الرِّجالَ، والعُلَماءَ، والفُقَهاءَ، بمكَّةَ، والمَدينةِ، والكُوفةِ، والبَصْرةِ، والشامِ، والثُّغورِ، وخُراسانَ، فرأيتُهم على السُّنَّة والجَماعَة، وسألتُ عنها -يعني هذه اللفظة- الفُقَهاءَ؟ فكلٌّ يقولُ: القرآنُ كلامُ الله غيرُ مَخْلوق، منه بدَأ، وإليه يعودُ".[٢]

وقالَ:"لم يَزَلِ الله عالماً متكلّماً، نعبُدُ الله لِصفاتهِ، غير محدودَةٍ ولا مَعلومةٍ إلَّا بما وصَفَ به نفسه، ونردُّ القرآن إلى عالمهِ تبارك وتعالى، إلى الله، فهو أعلَمُ به، منه بَدَأ وإليه يَعودُ".[٣]

**١٥- أبو جعفر أحمد بن سِنان الواسطي (ت: ٢٥٦ هـ).**

قال:"مَن زَعَمَ أنَّ القرآنَ شَيْئَين أو أنَّ القرآنَ حِكايةٌ، فهو والله الذي لا إله إلاَّ هو، زِنديقٌ كافرٌ بالله، هذا القُرْآنُ هو القُرآنُ الذي أنزله الله على لسانِ جبريلَ على محمَّد -ﷺ-، لا يغيَّر ولا يُبَدَّل: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: الآية: ٤٢]، كَما قالَ الله عزَّ وجَلَّ: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ...﴾ [الإسراء: الآية: ٨٨]، ولو أنَّ رجلاً حلفَ لا يتكلَّمُ اليومَ، ثمَّ قرأ القرآنَ، أو صلَّى وقرأ القرآنَ، أو سلَّمَ في الصَّلاةِ، لم يحنَثْ، لا يُقاسُ بكَلام الله شَيْءٌ، القرآنُ كلامُ الله، منه بَدَأ وإليه يَعودُ، ليس من الله تعالى شَيْءٌ مخلوقٌ، ولا صِفاتُهُ، ولا أسماؤُهُ، ولا

---

(١) جميع هذه الآثار الأربعة صحيحة، انظر تخريجها في التعليق على "اختصاص القرآن" وأثر عمرو قد سبق ذكره.

(٢) ذكر هذا النص الحافظ الضياء في "اختصاص القرآن" عن المرّوذي عن أحمد، فقرة (٩).

(٣) رواه حنبل في "المحنة" (ص: ٤٥)، عنه به.

عِلْمُهُ".(١)

**وقال ابن قدامة-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٦٢٠ هـ):**"من كلام الله سبحانه القرآن العظيم، وهو كتاب الله المبين، وحبله المتين، وصراطه المستقيم، وتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين بلسان عربي مبين، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود".(٢)

ونقلَ ابن تيمية-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٧٢٨ هـ)، اتّفاقَ السَّلَفِ والأئمَّةِ على ذلك في غيرِ موضع من كلامه(٣)

فبهذا يظهرُ لكَ معنى قولِ من قال من السَّلَفِ:"القرآنُ كلامُ الله، مُنْزَلٌ غيرُ مَخْلوقٍ، منه بدّأ وإليه يَعودُ".

**وقال ابن تيمية-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٧٢٨ هـ):**"فقالوا: (منه بدأ) ردّاً على الجَهْميةِ الذين يقولون: بدأ من غيرِه، ومقصودُهُم أنَّه هو المتكلِّمُ به، كما قالَ تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر: الآية: ١]، وقالَ تعالى: ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي...﴾ [السجدة: الآية: ١٣]، وأمثال ذلك".(٤)

**قال ابن تيمية-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٧٢٨ هـ):**"وأمَّا (إليه يَعودُ) فإنه يُسْرى به في آخِرِ الزَّمانِ، من المَصاحفِ والصُّدور، فلا يبقى في الصُّدور منه كلمةٌ، ولا في المصاحف منه حرفٌ".(٥)

**وقال ابن تيمية-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٧٢٨ هـ):**"وَالَّذِي اتَّفَقَ عَلَيْهِ السَّلَفُ وَالأَئِمَّةُ: أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَإِنَّمَا قَالَ السَّلَفُ: «مِنْهُ بَدَأَ» لِأَنَّ الجَهْمِيَّةَ-مِن المُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ-كَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّهُ خَلَقَ الكَلَامَ فِي المَحَلِّ.فَقَالَ السَّلَفُ: «مِنْهُ بَدَأَ».أَيْ: هُوَ

(١) أخرجه الضياء في "اختصاص القرآن" رقم (١٦).

(٢) لمعة الاعتقاد (ص: ١٨).

(٣) انظر: "مجموع الفتاوى": (٦/ ٥٢٨)، (١٢/ ١٦٤).

(٤) "درء التعارض" (٢/ ١١٣).

(٥) "مجموع الفتاوى" (٣/ ١٧٤-١٧٥)، عن المناظرة في الواسطية.

الْمُتَكَلِّمُ بِهِ؛ فَمِنْهُ بَدَأَ، لَا مِنْ بَعْضِ الْمَخْلُوقَاتِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر: الآية:١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: الآية: ١٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سبأ: الآية: ٦]، وقَالَ تعَالَى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: الآية: ١٠٢].

وَمَعْنَى قَوْلِهِمْ: «إِلَيْهِ يَعُودُ»: أَنَّهُ يُرْفَعُ مِنَ الصُّدُورِ وَالْمَصَاحِفِ؛ فَلَا يَبْقَى فِي الصُّدُورِ مِنْهُ آيَةٌ وَلَا مِنْهُ حَرْفٌ، كَمَا جَاءَ فِي عِدَّةِ آثَارٍ".(١)

**سادسًا: أن الله تكلم بالقرآن بحرف وصوت مسموعين.(٢)**

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٥٢٨، ٥٢٩).

(٢) ممن ألف في مسألة الحرف والصوت: ١- : رسالة في إثبات الاستواء والفوقية ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد لعبد الله بن يوسف بن محمد الجويني-رحمه الله-(ت: ٤٣٨ هـ). ٢-رسالة عبيد الله السجزي (ت: ٤٤٤ هـ)، إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت، وهي رسالة مطبوعة. ٣-كتب أبو يعلى-رحمه الله-(ت: ٤٥٨ هـ)، جزءا سماه ايضاح البيان في مسألة القرآن، وهو مفقود، وهذا الكتاب نقل منه شيخ الإسلام في عدة مواطن من كتبه انظر: شرح العقيدة الأصفهانية ص ٣٢، مجموع الفتاوى ٦/ ١٥٨، درء تعارض العقل والنقل ٢/ ٧٤. ٤-كما ألف ابن عقيل (ت: ٥١٣ هـ)، كتابا في مسألة الحرف والصوت وقد طبع بعنوان جزء في الأصول أصول الدين مسألة القرآن أو الرد على الأشاعرة العزال وإثبات الحرف والصوت في كلام الكبير المتعال أما ابن قدامه-رحمه الله-(ت: ٦٢٠ هـ)، فله ثلاثة كتب لهذا الغرض وهي مطبوعة: ٥-الصراط المستقيم في إثبات الحرف القديم. ٦-والبرهان في بيان القرآن. ٧-وكتاب حكاية المناظرة في القرآن. ٨-كما جمع محمد بن عبد الواحد المقدسي-رحمه الله-(ت: ٦٤٣ هـ) جزء في الأحاديث الواردة في هذه المسألة سماه جزء أحاديث الحرف والصوت وهو مفقود. ٩-كتاب "غاية المرام في مسألة الكلام" للشيخ أبي العباس أحمد بن الحسن الأرموي الشافعي.وقد طبعت رسالة بعنوان "جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحروف والأصوات" ونسبت للنووي، ولكن جاء في (ص: ٦٩) عبارة: "وهذا الذي ذكرناه جميعه من كلام الشيخ أبي العباس الأرموي-رحمه الله-". ١٠-
=

**أولًا: إثبات الحرف.**

ومن اعتقادِ السَّلَف في كلامِ الله تعالى أنَّ كلامَه جَلَّ وعَزَّ مؤلَّفٌ من الحُروفِ، إنْ شاءَ جَعَلَها عَربيَّةً، وإن شاءَ جعَلَها عِبْرانِيَّةً، وإن شاء جَعَلها غيرَ ذلك، فهو المتكلِّمُ بحرُوفِ القرآنِ، والتَّوراةِ، والإنجيلِ، وغيرِها من كلامِهِ.

قالَ تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: الآية: ٤].

وقال تعالى: ﴿الم * اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [آل عمران: الآيات:١ - ٤].

فأخْبَرَ تعالى أنه أنْزَل الكُتُبَ: القرآنَ، والتَّوراةَ والإنجيلَ، وإنَّما ذلك بلُغاتِ الرُّسل الذين أنْزَل عَلَيهم، وبلُغات أقوامِهم، لأجْلِ أن تقومَ الحُجَّةُ عليهم به، إذ لوكانَ بغيرِ لُغتهم ما فَقِهُوهُ.

قال تعالى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: الآيات: ١ - ٢]

وقالَ تعالى: ﴿حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: الآيات: ١ - ٤]

وقالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: الآية: ١٠٣].

وقال جَلَّ وَعَزَّ ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ * وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ * أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ

=
كتاب طرف الطرف في مسألة الصوت والحرف تأليف الشيخ أبي العباس أحمد ابن يحيى الحنبلي -رحمه الله- (ت: ٩٤٨ هـ) وهو مطبوع..

عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ * وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ * فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: الآيات: ١٩٢ - ١٩٩]

وقالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٧ - ٢٨].

وقالَ سُبحانه: ﴿حم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [فصلت: الآيات: ١ - ٤].

وقالَ تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى...﴾ [فصلت: الآية: ٤٤].

فأخبرَ تعالى أنَّ القرآنَ الذي نزلَ به جِبريلُ عليه السَّلامُ منهُ تبارك وتعالى وحيُهُ وتنزيلُهُ، وهو هذا القرآنُ العربيُّ الذي أنْزلَ على محمَّد -ﷺ- بلغةِ قومِهِ، ليفقَهوهُ ويَعْقِلُوهُ ويعْلَمُوهُ.

وقولُه: ﴿لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ أي: بلغةِ العربِ.

فالله تعالى تكلَّمَ به كذلك، بحروفِهِ العربيَّةِ، كالألفِ والباءِ والتَّاءِ، ليسَ شَيْءٌ من ذلك قولَ أحَدٍ سِواهُ، وإنّما بلَّغَهُ جبريلُ عليه السَّلامُ عنه، وبلَّغَهُ محمَّدٌ -ﷺ- عن جبريل، وهو الذي أعجزَ الكفَّارَ أنْ يأتوا بمثله، بَلْ تحدَّى الله تعالى الإنسَ والجنَّ أنْ يأتوا بمثلِهِ، كما قالَ تعالى: ﴿قُل لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: الآية: ٨٨].

فكونُهُ مؤلّفًا من الحُروفِ ظاهرٌ لا يَحْتاجُ إلى استدلالٍ، إذْ أنَّ كُلَّ أحَدٍ يعلَم أنَّ ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ آيةٌ، وهي أربَعُ كَلِمَاتٍ، كلُّ كلمةٍ مؤلَّفةٌ من حَرْفيْنِ أو أكثر، وهي كَلِماتٌ عَرَبيَّةٌ، وحروفٌ عربيَّةٌ.

ولكنَّ بعضَ أهْلِ البدَعِ نازعَ في إطلاقِ لفظِ (الحَرْف) وأنَّه يَحتاجُ إطلاقُهُ إلى دليلٍ.

وهذا المُنازع لا يَخْلو من أحَدِ حالَيْن:

إمّا أنْ يكونَ مُكابِرًا -كما هي سِمَة أهلِ البِدَعِ-.

وإمَّا أنْ يكونَ غَبيّا جاهلًا.

وذلك أنَّ كُلَّ أحَدٍ يُبصرُ (آلمَ.آلمر.كهيعص.حم.طه.يس) لا يخطرُ ببالهِ غيرُ أنَّها حُروفٌ، وليسَ لها تسميةٌ إلاَّ هذهِ.

ونحن معَ ذلك نزيدُهُ حُجَجًا على صِحَّةِ إطلاقِ لهذه التَّسْميةِ من السُّنَّة وآثارِ السَّلَفِ، لنكْسِرَ أنفَ كِبْرِهِ، أو نَمْحُو جَهْلَ فِكْرِهِ، فمِنْ ذلك:

١ - حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- (ت: ٦٨ هـ)، قال: بينَما جِبريلُ قاعِدٌ عندَ النَّبيِّ -ﷺ- سَمِعَ نقيضًا مِنْ فَوْقهِ، فرفَعَ رأسَه فقال:

(هذا بابٌ منَ السَّماءِ فُتِحَ اليومَ لم يُفْتَح قطّ إلاَّ اليوم، فَنَزَلَ منه مَلَكٌ، فقال: هذا مَلَكٌ نَزَلَ إلى الأرضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إلاَّ اليَوْم، فسَلَّمَ وقالَ: أَبْشِرْ بنورَين أوتيتَهما لم يؤتَهُما نبيٌّ قبلَكَ: فاتحةِ الكتابِ، وخَواتيمِ سُورَةِ البقرَةِ، لَنْ تَقْرَأ بحَرْفٍ منهما إلاَّ أعْطِيتَه).[١]

٢ - حديث عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- (ت: ٣٢ هـ)، قال:

(تعلَّموا القرآنَ، فإنَّه يُكْتَبُ بكلِّ حرفٍ منه عشرُ حسناتٍ، ويُكَفَّرُ به عَشْرُ سيِّئاتٍ، أمَا إني لا أقول: ﴿الم﴾ ولكن أقولُ: ألفٌ عَشْرٌ، ولامٌ عَشْرٌ، وميمٌ عَشْرٌ).[٢]

٣ - وقول ابن عبَّاس -رضي الله عنهما- (ت: ٦٨ هـ):

"ما يمنَعُ أحدَكُم إذا رَجَعَ من سُوقِهِ، أو منْ حاجَتِهِ، إلى أهْلِهِ، أنْ يَقْرأ القرآنَ فيكونَ لَه بكلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَناتٍ".[٣]

٤ - وقالَ شُعَيْبُ بن الحَبْحاب -رحمه الله- (ت: ١٣٠ أو ١٣١ هـ) (ثِقَةٌ منْ صِغار التَّابعينَ):

(١) أخرجه مسلم رقم (٨٠٦).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٤٦١).

(٣) رواه ابن المبارك في "الزهد" رقم (٨٠٧) وسنده جيد.

كانَ أبو العاليةِ -رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٩٠ هـ)، إذا قَرَأ عنده رَجُلٌ لم يَقُلْ: ليس كما يَقرأ، وإنَّما يَقولُ: أمَّا أنا فأقرأ كَذا وكَذا، قال: فذكَرْتُ ذلك لإبراهيمَ النَّخَعيّ، فقالَ: أرى صاحِبَك قَدْ سَمِعَ: "أنَّ مَنْ كَفَرَ بحَرْفٍ منهُ، فقد كَفَرَ به كُلِّه".(١)

**مسألة الفرق بين الحروف التي يتكلم بها الله، والحروف التي يتكلم بها المخلوق.**

الأول: الفَرْقُ بين الحُروفِ التي يتكلَّمُ الله بها، والحُروفِ التي يتكلَّمُ بها المخلوق.

تنازع الناسُ في حُروف المعجم: هَلْ هي مخلوقةٌ؟ أو غيرُ مخلوقة؟

وليس في تحقيق ذلك كبيرُ فائدةٍ، وليس فيه نصٌّ عن معصومٍ يُصار إليه، وإنَّما يَجِبُ الكَفُّ عن إطلاقِ القَوْلِ بالخَلْقِ لئلاَّ يتوهّم متوهّمٌ أنَّ الحروفَ التي تكلَّم الله بها مخلوقةٌ.

**وذكرَ ابن تيمية -رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٧٢٨ هـ) في غير مَوْضِعٍ أنَّ الإمامَ أحمدَ -رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٢٤١ هـ)**، أنكرَ الإطلاقَ، لأنَّهُ مَسْلَكٌ إلى البِدْعَةِ، وإلى القَوْلِ بأنَّ القرآنَ مخلوقٌ(٢)

وكما يُمْنَع مِن إطلاق القَوْلِ بأنَّ الحروفَ مخلوقةٌ، يُمْنَع أيضًا إطلاقُ القَوْل بأنَّ الحُروفَ غيرُ مخلوقةٍ، لئلا يتوهَّمَ متوهِّم أنَّ الحُروفَ التي هي مَباني كَلام الناس غيرُ مخلوقةٍ، والذي يجرُّ إلى القول بأنَّ ما يتكلَّمُ به العبادُ مِن كلام أنفُسهم هو نفسُه كلامُ الله، فيتحقَّقُ حينئذ للمَلاحِدَة كابن عربي الطائي وأمثاله صِحَّةُ قولِهم:

وكلُّ كَلامٍ في الوجودِ كلامُهُ...سَواء علينا نَثْرُه ونِظامُهُ

وهذا القولُ من أفحَش الباطِل، وأكفَر الكُفْرِ، إذ مَعْناه أنَّ كلَّ ما تلفِظُ به الخَلائق من الصِّدْق والكَذِبِ، والزُّورِ، والبُهْتان، وألفاظِ الخَنا والفُجور والكُفْر، كلامُ الله.

وحينئذ لا يتميَّزُ حَقٌّ من باطلٍ، ولا صِدْقٌ من كَذبٍ ولا كفرٌ من إيمانٍ.

وإنَّما الحَقُّ والصَّوابُ أن يُقالَ:

---

(١) رواه ابن أبي شيبة (١٠/ ٥١٣-٥١٤)، وابن جرير في "التفسير" رقم (٥٦) وسنده صحيح.

(٢) انظر: "مجموع الفتاوى" (١٢/ ٤١، ٨٤-٨٥، ٤٤٢).

إنَّ الحَرْفَ المجرَّد الَّذي هو جزءٌ من اللفظ، مثل: (ز) من كلمة: (زيد) لا يُقالُ فيه مخلوقٌ ولا غيرُ مخلوق، لأنَّ الحرْفَ المجرَّدَ ليس كَلامـًا، وإنَّما يقَع الكلام فيما ألّفَ من الحروفِ فأفادَ مَعنًى، ككلمةِ (زيد) اسمُ عَلَمٍ مَعْروفٌ.(١)

والكلامُ المؤلَّفُ من الحُروف الذي يُفيد معنًى يُفَصَّل فيه: فإنْ كانَ كلامـًا لله تعالى كانَ غيرَ مخلوقٍ، وإنْ كان كلامـًا للعبد يُنْشِئُهُ من تِلقاء نفسهِ، ولا يُريدُ به قِراءةَ كلام الله فهو مَخلوقٌ، فقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا....﴾ [الأحزاب: الآية: ٣٧] غيرُ مخلوق، وقولك: (جاءَني زيدٌ فأكرمتُه) مخلوقٌ، لأنَّ الأوَّل كلامُ الله تعالى نظمه وحروفه، والثانيَ كلامُكَ نظمه وحروفه.

ولو قالَ قائلٌ: (محمَّدٌ رسولُ الله) أو: (ألف، لام، ميم) لم يصحّ فيه إطلاق أنَّه مخلوقٌ، أو غيرُ مخلوق، حتى يُسْتَفْصَل منه، فإنْ أرادَ بهِ قِراءةَ كلامِ اللهِ كانَ غيرَ مخلوقٍ، وإنْ كان أنشأهُ مبتدِئـًا مِن نفسهِ، أو يُبَلِّغُهُ عن غيرهِ، وهو من إنشاءِ ذلكَ الغيرِ سِوى الله تعالى، كانَ مخلوقـًا.

وقد سألَ **الحافظُ الثِّقَةُ أحمدُ بن الحَسن الترمذيُّ -رَحِمَهُ اللهُ-(ت: غير معروف)** الإمامَ أحمَدَ فقال:

قلتُ لأحمدَ بن حنبل: إنَّ الناسَ قد وقَعوا في أمرِ القرآنِ، فكيف أقولُ؟

قال: "أليسَ أنت مخلوق؟".

(١) فإن اعترض معترض بقوله تعالى: (الم)، (الر)، (ص)، (ن)، وما يشبهها مما جاء في أوائل بعض السور، وقال: إنَّها حروف، ونطلق أنَّها غيرُ مخلوقة لأنَّها كلام الله، فالجواب: أنَّ هذه ليست حروفـًا مجردة، كحروف كلمة (زيد) وغيرها من الكلام المؤلف، وإنَّما هي أسماء للحروف، ألا ترى أنَّك تقرؤها: (ألف، لام، ميم...)؟ فلو كان حرفـًا مجرداً لقلت: (أ.لْ.مْ) فهي على ما تُلْفَظ وتُسْمَع لا على ما تُكْتب وترسم، وقد نقل شيخ الإسلام أنَّ الخليل بن أحمد -إمام العربية- سأل أصحابَه: كيف تنطقون بالزاء مِن (زيد)؟ قالوا: نقول: (زا) قال: جئتم بالاسم، وإنَّما يقال: (زه) - "مجموع الفتاوى" (١٢/ ٤٤٨).

قلتُ: نعَمْ.

قال: "فكلامُكَ منك مخلوقٌ؟".

**قلت: نعم.**

قال: "أوَلَيسَ القرآنُ من كلامِ الله؟".

قلت: نعم.

قال: "وكلامُ الله؟".

قلت: نعم.

قال: "فيكون من الله شيءٌ مَخلوق؟".(١).

فتأمَّل هذا القولَ الموجَز فإنَّه من أسَدِّ الكلام وأحسَنِهِ، فرَّق الإمامُ أحمدُ فيه بَيْنَ كلامِ الله وكلامِ المَخلوق، بأنَّ كلامَ الله هو الذي قالَه مبتدئًا، وكلامَ المخلوق هو الذي قالَه مبتدئًا، فلمَّا كان كلامُ الله ابتدأ منه كانَ غيرَ مخلوقٍ، لأنَّه ليسَ من الله شيءٌ مخلوق، ولمَّا كانَ كلامُ المخلوقِ ابتدأ منه -بمعنى أنه هو الذي أنشَأه- كانَ مخلوقًا، لأنَّ العبدَ بأفعاله جميعًا مخلوقٌ.

**ثانيًا: إثبات الصوت.**

**حد الصوت.**

قال المرداوي: "وحد الصوت: ما يتحقق سماعه، فكل متحقق سماعه صوت، وكل ما لا يتأتى سماعه البتة ليس بصوت، وحجة الحد كونه مطردًا منعكسًا.

وقول من قال: إن الصوت هو الخارج من هواء بين جرمين، فغير صحيح، لأنه يوجد سماع الصوت من غير ذلك، كتسليم الأحجار، وتسبيح الطعام والجبال، وشهادة الأيدي والأرجل، وحنين الجذع،

(١) رواه اللالكائي في "السُّنَّة" رقم (٤٥١) بسند صحيح.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: الآية: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: الآية: ٣٠]، وما لشيء من ذلك منخرق بين جرمين".[١]

## ب-الأدلة على إثبات الصوت

وأمَّا كلامُهُ تعالى بصَوْتٍ، فقد قامت الدَّلائلُ القَواطِعُ على إثباتِهِ، وهو كسائِرِ صفاتِهِ تعالي، كلما أنَّها لا تَشْبَهُ صفاتِ المَخلوقينَ، فصوتُهُ تعالى لا يشبَهُ أصواتَهم، وقياسُ الخالِقِ على المَخلوقِ تَشْبيهٌ، والله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: الآية: ١١]، في ذاتِهِ، وجَميعِ صفاتِهِ.

والأدلَّةُ على إثباتِ كلامِ الله تعالى بصَوْتٍ كثيرةٌ، منها:

### أولًا: الأدلة من القرآن:

١ - تكليمُهُ تعالى لموسى عليه السَّلام، فإنَّه قالَ له: ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾ [طه: الآية: ١٣].

فَدَلَّ هذا على أنَّهُ سَمعٍ كلامَ الله تعالى، ولا يُسْمَعُ إلاَّ الصَّوْتُ، وربُّنا تعالى قَدْ خاطَبَنا باللِّسانِ العَرَبيِّ الذي نفْهَمُهُ، وليسَ فيه سَماعٌ بحصَل من غير صَوْتٍ.[٢]

وسبق أنْ بيَّنّا أنَّ كلامَ الله لمُوسى كانَ أعلى درجاتِ التَّكليمِ، وليس هو من جنسْ الإلهاماتِ، وإنَّما هو كلامٌ مسموعٌ بالآذانِ.

**وقد قالَ عبد الله بن أحمدَ بن حَنْبل-(ت: ٢٩٠ هـ)**: سألْتُ أبي رَحِمَهُ اللهُ عن قومٍ يقولونَ: لمَّا كلَّمَ الله موسى لم يتكلَّمْ بصَوْتٍ؟ فقال أبي:

(١) التحرير شرح التحبير (٣/ ١٣٤٦-١٣٤٥).

(٢) انظر: "درء تعارض العقل والنقل" (٢/ ٩٣).

"بَلَى، إنَّ ربَّكَ -عَزَّ وَجَلَّ- تَكَلَّمَ بصَوْتٍ، هذه الأحاديثُ نَرْويها كما جاءت".[١]

واحتجَّ لذلكَ بحديث ابن مَسعودٍ الآتي.

**وقالَ الإمام أبو بكر المَرُّوذِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- (ت: ٢٧٥ هـ)** صاحبُ الإمام أحمدَ: سمعتُ أبا عبد الله -يعني أحمدَ- وقيل له: إنَّ عبْدَ الوهّاب قَدْ تكلَّم وقالَ: مَنْ زعَمَ أنَّ الله كلَّمَ موسى بلا صَوْتٍ فهو جَهميٌّ عدُوُّ الله وعدوُّ الإسلام، فتبسَّمَ أبو عبد الله وقال: "ما أحسَنَ ما قال، عافاه الله".[٢]

**وقال عبدُ الله بن أحمدَ -رَحِمَهُ اللهُ- (ت: ٢٩٠ هـ)** أيضًا: قلتُ لأبي: إنَّ ههُنا مَنْ يقولُ: إنَّ الله لا يتكلَّمُ بصوْتٍ، فقال: "يا بُنيَّ، هؤلاء جَهْميَّةٌ زنادِقَةٌ، إنَّما يَدوُرونَ على التَّعطيل" وذكرَ الآثارَ في خِلاف قَوْلهم.[٣]

٢ - إخبارُه تعالى عن ندائِهِ لمُوسى عليه السَّلام، ولعبادهِ يومَ القيامةِ.

وذلك في عدَّةِ مَواضِعَ مِن كتابِهِ، منها:

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [النازعات: الآيات: ١٥، ١٦]

وقوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: الآية: ٥٢].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى﴾ [طه: الآية: ١١].

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: الآية: ٦٥].

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص:

(١) رواه عبد الله في "السنة" رقم (٥٣٣) عنه.

(٢) رواه الخلاّل عن المرّوزي به -كما في "درء التعارض (٢/ ٣٨ - ٣٩).

(٣) ذكر هذا النَّص شيخ الإسلام -كما في "مجموع الفتاوى" (١٢/ ٣٦٨)- ونسبه إلى "كتاب السنة" لعبد الله، ولم أقف عليه فيه، فلعله وقع له في نسخة.

الآيات: ٦٢، ٧٤].

والنِّداءُ: **قال الجوهَريّ -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ٣٩٣ هـ)**: "الصَّوْتُ، وقد يُضَمّ، مثل: الدُّعاء، والرُّغاء، وناداه مُناداةً، ونِداءً، أي: صاحَ به".(١)

وفي "اللسان": النِّداءُ -ممدودٌ- الدُّعاءُ بأرفَع الصَّوْت، وقد نادَيْتُه.(٢)

**وقال ابن تيمية -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ٧٢٨ هـ)**: "والنِّداء في لغة العَرَب: هو صوتٌ رَفيعٌ، لا يُطلَق النِّداء على ما ليسَ بصوتٍ، لا حَقيقةً ولا مَجازًا".(٣)

وما قالَه ابن تيمية مُوافق لِما ذكر عن أهلِ اللغةِ من أنَّ النداءَ الصَّوتُ الرَّفيعُ.

فإذا عُلِمَ هذا ثَبَتَ أنَّ الله تعالى نادى موسى بصَوْتٍ، ويُنادِي بصَوتٍ عبادَه يومَ القيامةِ.

**ثانيًا: الأدلة من السنة.**

١ - **حديثُ عبد الله بن أُنَيسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- (ت: ٥٤ هـ)**، قال: سمعتُ رسولَ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: **(يَحْشُرُ الله العبادَ -أو الناسَ- عُراةً غُرْلًا بُهْمًا".**

**قلنا: ما بُهْمًا؟ قال: "ليسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، فَيُناديهم بصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ -أحسَبُه قالَ: كما يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ-: أنا المَلِكُ، أنا الدَّيَّانُ...)**.الحديث.(٤)

وهذا الحديثُ صَريحٌ في إثْباتِ كلامِ الرَّبِّ تعالى بصَوْتٍ، وقَد احْتجَّ به على ذلك **إمامُ أهل الحديث محمَّدُ بن إسماعيل البُخاريُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ٢٥٦ هـ)**، فقال:

"وإنَّ الله -عَزَّ وَجَلَّ- ينادي بِصَوْتٍ، يَسْمَعُه مَنْ بَعُدَ كَما يَسْمَعه من قَرُبَ، فليسَ هذا لغير الله جَلَّ ذكرُه، وفي هذا دليلٌ أنَّ صوتَ الله لا يشبَهُ أصواتَ الخَلْقِ، لأنَّ صوتَ الله جلَّ ذكرُهُ

(١) "الصحاح" مادة (ندا).نِداءً" (٣٠).(١).

(٢) "اللسان" مادة (ندي).

(٣) "مجموع الفتاوى" (٦/ ٥٣١).

(٤) أخرجه البخاري معلقا بصيغة التمريض مختصراً قبل حديث (٧٤٨١)، وأخرجه موصولًا أحمد (١٦٠٤٢) مطولا باختلاف يسير.

يُسْمَع من بُعْدٍ كما يُسْمَع من قُرْبٍ..." ثُمَّ أسنَدَ الحديثَ.[١]

٢- **حديث أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- (ت: ٥٧ هـ)**، أنَّ نبيَّ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: **(إذا قَضى الله الأمرَ في السَّماءِ ضَرَبَتِ المَلائِكَةُ بأجْنِحَتِها خُضْعانًا لقولِهِ، كأنَّه سلْسِلةٌ على صَفْوانٍ، فإذا فُزِّعَ عن قُلوبِهم قالوا: ماذا قالَ)**.[٢]

ولقد أبى بعضُ أهل البدع الاحتجاجَ بهذا الحديث على إثبات الصوت لله تعالى، وأوَّلَه بأنَّه من مَجاز الحذف، والتقدير: يأمر من ينادي.

**- وهذا باطلٌ من أوجهٍ:**

الأول: أنَّ الأصلَ في الإطلاق الحقيقة، وهذا ربَّما وافقنا فيه المبتدع في مواضع أُخرى.

والثاني: أنَّ التقدير إنَّما يُصار إله في أحد حالين:

- دلالة القرينة.

- عدم استقامة السياق.

وكلاهما منتفٍ هُنا، فلا قرينةَ تدعو إلى هذا التقدير سِوى التنزيه في دعوى المبتدع، وهو عندنا غير مُنتفٍ، وشأنها كسائر صفات الباري تعالى، نُثْبِتُها مع التنزيه.

وأمَّا السياق فهو مستقيمُ لا اضطرابَ فيه، ويؤكّده الوجهُ الآتي.

والثالث: أنَّه خُروجٌ عن الظاهر بغير برهان، بلْ إنَّ البرهانَ ضِدُّه، ألا تَراه قال: "أنا المَلِكُ، أنا الديّان..."؟ فهل يُناسبُ أن يكون هذا كلامـًا لغير الله مِن مَلَكٍ أو غيرِه؟ ربُّكُم؟ قالوا للَّذي قال: الحَقَّ، وهو العليُّ الكبيرُ".[٣]

وفي لفظ: **(إنَّ الله إذا قضى أمْراً في السَّماءِ، ضَرَبَتِ الملائكةُ بأجْنِحتِها جَميعـًا، ولقولِهِ**

(١) "خلق أفعال العباد" (ص: ١٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٠٠).

(٣) أخرجه البخاري (٨/ ٣٨٠، ٥٣٧) و (١٣/ ٤٥٣).

**صَوْتٌ كصَوْتِ السِّلْسِلةِ على الصَّفا الصَّفوانِ، فذلكَ قوله:** ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: الآية: ٢٣].(١)

ووجه الاستدلال بهذا اللَّفظ ظاهرٌ، وذلكَ أنَّ قولَه:"ولقوله صوتٌ كصوتِ السِّلْسِلَة" صَريحٌ في أنَّ قولَه تعالى وكلامَه يكون بصوتٍ.

وأمَّا اللفظُ الأوَّل فإنَّ الضَّميرَ في قوله:"كأنَّه سِلْسِلة" عائدٌ إلى أقرب مذكورٍ، وهو قوله:"لقولِه" فقوله:"سِلْسِلَة على صَفْوان" تضمَّنَ إثباتَ الصَّوتِ للمُخْبَرِ عنه الذي هو القولُ، فيظهرُ بهذا إثباتُ قولِهِ تعالى وكلامِهِ بصَوْتٍ.

ولكنَّ بعضَ أهل البِدَع أبَوْا ذلك من أجْلِ أنْ يُبْطلوا تَكَلُّمَ الرَّبِّ تعالى بصَوْتٍ، فقالوا: الضَّميرُ في قوله:"كأنَّه" عائدٌ على أجنحةِ الملائكةِ، فالصَّوتُ صَوْتُ أجْنِحةِ الملائكةِ.

ولهذا ظاهرُ البُطلانِ لوَجهينِ:

الأول: أنَّ الضَّميرَ في الأصْل يعودُ إلى أقرَب مذكورٍ.

والثاني: أنَّه ضميرُ مذكَّرٍ، ولو كان عائداً على أجنحةِ الملائكة لكانَ مؤنَّثًا.

فإن قيلَ: هذان الوجهان تصرفهُما القَرائن!

قلنا: نعَمْ، إن وُجِدتْ، لكنَّها هنا مُنْتفية، يؤكِّدُ نفْيَها اللَّفظُ الثاني لحَديث أبي هُرَيْرَة كما تَراه.

والحديثُ مِمَّا احتجَّ به البخاريُّ -رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ٢٥٦ هـ)، لإثباتِ تَكَلُّم الرَّبِّ تعالى بصَوْتٍ.(٢)

**٣- حديث عبد الله بن مسعود-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-(ت: ٣٢ هـ)** قال:

"إنَّ الله إذا تكلَّمَ بالوَحْي، سَمِعَ أهلُ السماواتِ للسَّماءِ صَلْصَلَةً كَجَرِّ السِّلْسلةِ على

(١) أخرجه ابن جرير في "التفسير" (٢٢/ ٩١).

(٢) "خلق أفعال العباد" (ص: ١٥١).

الصَّفا، فيُصْعَقونَ، فلا يزالونَ كذلك حتى يأتيَهم جِبريلُ، فإذا جاءَهم جِبْريلُ فُزِّعَ عن قُلوبهم، قال: فيقولونَ: يا جبريلُ، ماذَا قالَ رَبُّكَ؟ قال: الحَقَّ ".(١)

وفي لفظٍ عن عبد الله قال:

"إذا تكلَّمَ الله -عَزَّ وَجَلَّ- بالوحْيِ سَمِعَ صوتَهُ أهلُ السَّماءِ، فَيَخِرُّونَ سُجْداً ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ [سبأ: الآية: ٢٣]، قال: سُكِّنَ عنْ قُلُوبِهم -نادى أهلُ السَّماءِ: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: الْحَقَّ...﴾ [سبأ: الآية: ٢٣]، قال: كَذا وكَذا".(٢)

وهذا الحديث مما احتجّ به الإمامُ أحمد لإثبات كلام الربّ تعالى بصوتٍ.

قال ابنُه عبد الله، قال أبي رَحِمَهُ اللهُ:

"**حديث ابن مسعود-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-(ت: ٣٢ هـ)**: إذا تكلَّم الله عَزَّ وَجَلَّ سُمِعَ له صَوْتٌ كَجَرِّ السِّلْسِلة على الصَّفْوان".

قال أبي:"وهذا الجهمية تُنْكِرُهُ".

وقال أبي: هؤلاء كُفَّارٌ، يُريدونَ أن يُمَوِّهوا على النَّاسِ، مَنْ زَعَمَ أنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ لم يتكلَّمْ فهو كافرٌ، إلاَّ أنَّا نروي هذه الأحاديث كما جاءَت".(٣)

**ثالثًا: أقوال العلماء في إثبات الصوت.**

**قال البخاري-رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ٢٥٦ هـ)**، في إثبات الصوت:"وأن الله عز وجل ينادي بصوت يسمعه من بعُد كما يسمعه من قرب، فليس هذا لغير الله جل ذكره.

قال أبو عبد الله: وفي هذا دليل على أن صوت الله لا يشبه أصوات الخلق؛ لأن صوته جل

(١) أخرجه ابن خزيمة في "التوحيد" (ص: ١٤٦، ١٤٧)، وابن جرير (٢٢/ ٩٠)، وعبد الله بن أحمد في "السُّنَّة" رقم (٥٣٧) والبيهقي في "الأسماء والصفات".

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في "السُّنَّة" رقم (٥٣٦) والخَلاَّل -كما في "درء التعارض" (٢/ ٣٨)، عن الإمام أحمد.

(٣) رواه عبد الله بن أحمد فى "السُّنَّة" رقم (٥٣٤)، ونحوه روى الخلاَّلُ عن يعقوب بن بختان -أحد الثقات من أصحاب أحمد-عن أحمد-كما في "درء التعارض" (٢/ ٣٨).

ذكره يسمع من بعد كما يسمع من قرب وأن الملائكة يصعقون من صوته، فإذا تنادى الملائكة لم يَصعقوا".(١)

**وقال الحافظُ أبو نَصْرٍ السِّجْزيُّ-رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ٤٤٤ هـ):**"وليسَ في وجود الصَّوْتِ من الله تعالى تَشبيهٌ بمَنْ يوجَد الصَّوْتُ منه من الخَلْق، كما لَم يكنْ في إثباتِ الكلامِ له تشبيهٌ بمنْ له كلامٌ من خلقِهِ".(٢)

**وقال الإمام ابن قدامة-رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ٦٢٠ هـ):**"ومن صفات الله تعالى أنه متكلم بكلام قديم يسمعه منه من شاء من خلقه، سمعه موسى عليه السلام منه من غير واسطة، وسمعه جبريل عليه السلام، ومن أذن له من ملائكته ورسله، وأنه سبحانه يكلم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه، ويأذن لهم فيزورونه، قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: الآية: ١٦٤] وقال سبحانه: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٤] وقال سبحانه: ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٣] وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: الآية: ٥١] وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى - إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: الآية: ١١ – ١٢] وقال سبحانه: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: الآية: ١٤] وغير جائز أن يقول هذا أحد غير الله.

**وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-(ت: ٣٢ هـ):**" إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء"، روى ذلك عن النبي ﷺ، وروى عبد الله بن أنيس عن النبي-ﷺ-أنه قال: **(يحشر الله الخلائق يوم القيامة عراة حفاة غرلا بهما فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من**

(١) "خلق أفعال العباد"، للبخاري، (ص: ١٤٩).

(٢) "درء تعارض العقل والنقل" (٢/ ٩٣).

**قرب: أنا الملك أنا الديان)**، رواه الأئمة واستشهد به البخاري".[١]

قال ابن تيمية -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ٧٢٨ هـ):"واستفاضت الآثار عن النبيّ -ﷺ-، والصَّحابةِ، والتابعين، ومَن بعدَهم من أئمَّةِ السُّنَّة، أنَّه سبحانه يُنادي بصَوْتٍ، نادى موسى، ويُنادي عِبادَه يومَ القيامةِ بصَوْتٍ، ويتكلَّمُ بالوحي بصَوتٍ، ولم يُنْقَل عن أحدٍ من السَّلَفِ أنه قال: إنَّ الله يتكلَّمُ بلا صَوْتٍ، أو بِلا حَرْفٍ، ولا أنَّهُ أنْكَرَ أنْ يَتَكَلَّمَ الله بصَوْتٍ، أو بحَرْفٍ".[٢]

**وقال ابن تيمية -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ٧٢٨ هـ)**:"وليسَ في الأئمَّة والسَّلَف من قالَ: إنَّ الله لا يتكلَّمُ بصَوْتٍ، بل قَدْ ثبَتَ عن غير واحدٍ من السَّلَفِ والأئمَّة أنَّ الله يتكلَّمُ بصَوْتٍ، وجاءَ ذلك في آثارٍ مشهورةٍ عن السَّلَفِ والأئمَّةِ، وكانَ السَّلَفُ والأئمةُ يذكرونَ الآثارَ التي فيها ذكرُ تَكلُّمِ الله بالصَّوْتِ ولا يُنْكِرُها منهم أحدٌ".[٣]

**وقال ابن تيمية -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ٧٢٨ هـ)**:" قول الجمهور وأهل الحديث وأئمتهم: إن الله تعالى لم يزل متكلما إذا شاء وأنه يتكلم بصوت كما جاءت به الآثار، والقرآن وغيره من الكتب الإلهية كلام الله تكلم الله به بمشيئته وقدرته ليس ببائن عنه مخلوقا.ولا يقولون إنه صار متكلما بعد أن لم يكن متكلما".[٤]

**وقال ابن أبي العز الحنفي -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ٧٩٢ هـ)**:" أنه تعالى لم يزل متكلما إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلم به بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديما، وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة".[٥]

**الأقوال في مسألة الصوت.**

(١) "لمعة الاعتقاد" (ص: ١٥)."خلق أفعال العباد"، للبخاري، (ص: ١٤٩).

(٢) "مجموع الفتاوى" (١٢/ ٣٠٤ – ٣٠٥).

(٣) "مجموع الفتاوى" (٦/ ٥٢٧، وانظر: ٢٤٤).

(٤) "مجموع الفتاوى" (١٢/ ١٧٣).

(٥) "شرح الطحاوية" (١/ ١٧٤).

والذين قالوا: إن الله يتكلم بصوت أربع فرق:

فرقة قالت: يتكلم بصوت مخلوق منفصل عنه، وهم المعتزلة.

وفرقة قالت: يتكلم بصوت قديم لم يزل ولا يزال، وهم السالمية والاقترانية.

وفرقة قالت: يتكلم بصوت قديم حادث في ذاته بعد أن لم يكن، وهم الكرامية.

وقال أهل السنة والحديث: لم يزل الله متكلما بصوته إذا شاء.

والذين قالوا: لا يتكلم بصوت فرقتان:

١-أصحاب الفيض،

٢-والقائلون إن الكلام معنى قائم بالنفس".[١]

**أصل الخلاف في مسألة الصوت:**

**قال ابن تيمية-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٧٢٨ هـ):**"أول ما ظهر إنكار أن الله سبحانه يتكلم بصوت في أثناء المائة الثالثة، فإنه لما ظهرت الجهمية المعطلة في إمارة أبي العباس المأمون (ت: ٢١٨ هـ)، وأدخلته في آرائها بعد أن كانوا أذلاء مقموعين، وهؤلاء كان عندهم أن الله لا يتكلم أصلا بحرف، ولا صوت ولا معنى ولا يرى، ولا هو مستو على عرشه، ولا علم ولا حياة ولا إرادة ولا حكمة تقوم به فلما وقعت المحنة وثبت الله خلفاء الرسل وورثة الأنبياء على ما ورثوه عن الأنبياء والمرسلين، وعلموا أن باطل أولئك هو نفاق مشتق من أقوال المشركين والصابئين الذين هم أعداء الرسول وسوس الملك، وظهر للأمة سوء مذاهب الجهمية وما فيها من التعطيل ظهر حينئذ عبد الله بن سعيد بن كلاب البصري (ت: ٢٤١ هـ) وأثبت الصفات موافقة لأهل السنة، ونفى عنها الخلق ردا على الجهمية والمعتزلة، ولم يفهم لنفي الخلق عنها معنى إلا كونها قديمة قائمة بذاته سبحانه، فأثبت قدم العلم والسمع والبصر والكلام وغيرها، ورأى أن القديم لا يتصور أن يكون حروفا وأصواتا لما فيها من التعاقب

(١) مختصر الصواعق المرسلة (ص: ٥٢٨-٥٢٩).

وسبق بعضها بعضا، فجعل كلام الله القديم الذي ليس بمخلوق هو مجرد معنى أو معان محصورة، وسلك طريقة خالف فيها المعتزلة، ولم يوافق فيها أهل الحديث في كل ما هم عليه، فلزم من ذلك أن يقول إن الله لم يتكلم بصوت وحرف وتبعه طائفة من الناس.

وأنكر ذلك الإمام أحمد وأصحابه كلهم، والبخاري صاحب الصحيح، فقال عبد الله بن أحمد في كتاب السنة: قلت لأبي: يا أبت إن قوما يقولون إن الله لم يتكلم بصوت، فقال: يا بني هؤلاء الجهمية إنما يدورون على التعطيل يريدون أن يلبسوا على الناس، بلى تكلم بصوت"(١)

**مسألة الصوت المسموع من القارئ.**

الصَّوْتُ المسموعُ من القارئ وهو يتلو كلامَ الله، هو صَوْتُ القارئ، لا صَوْت الله تعالى، كما نصَّ عليه الأئمَّةُ كأحمدَ وغيرِهِ.(٢)

وذلكَ أنَّ صوتَ العبْدِ إنَّما هو فعلُه القائمُ به، وأفعاله جميعـًا مضافة إليه مخلوقةٌ كخَلقهِ، لكنَّ المسموعَ بصَوْتِهِ، الذي نطَقَ به لسانُهُ، وتحرَّكَتْ به شفَتاهُ، كلامُ الله تعالى.

والدَّليلُ على ذلكَ قولُ النَّبيِّ -ﷺ-:"زيّنوا القرآنَ بأصواتِكم".(٣)

فأضافَ النَّبيُّ -ﷺ- الأصواتَ إلى القُرّاء، لأنَّها اكْتِسابُهُمْ وفعلهُمْ، وفرَّقَ بينها وبينَ القرآن الذي هو كلامُ الله ووحيُهُ وتنزيلُهُ، الذي لا يكونُ من التالي سِوى قراءتِه وأدائِه وتبليغهِ.

فالقرآنُ كلامُ الله مُضافٌ إليه تعالى لأنَّه منهُ، لا يُضافُ للتالي لأنَّه أدّاه بصَوتِهِ وحَرَكَتهِ،

(١) مختصر الصواعق المرسلة (ص: ٥٢٥-٥٢٦).

(٢) ذكر ذلك شيخ الإسلام في "درء التعارض" (٢/ ٤٠).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٩٦، ٣٠٤)، وأبو داود رقم (١٤٦٨)، والنَّسائي (٢/ ١٧٩)، وفي "فضائل القرآن" -من "الكبرى"- رقم (٧٥)، وابن ماجة رقم (١٣٤٢)، والبخاري في "خلق أفعال العباد" رقم (٢٥٠ - ٢٥٤، ٢٥٦) والدارمي رقم (٣٥٠٣)، وابن حبان رقم (٧٣٧)، والحاكم (١/ ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٥, ٥٧٤).

شأن كلّ كلامٍ سواه يُبلِّغهُ الواحدُ مِنَّا، فإنَّهُ إنَّما يُضافُ إلى مَن قالَه مُبتدئـًا.

فقولُـكَ: "إنَّمَـا الأعمـالُ بالنّيـاتِ، وإنَّمـا لكـلّ امـرئٍ مـا نَـوى" (١) تُبلّغُـه أنـتَ بصَـوْتِكَ وحَرَكَتِكَ، وليسَ لك من نظْمِهِ شيْءٌ، إنَّما هو كلامُ النَّبي -ﷺ- بلفظِهِ ومعناه، ولو قلتَ: هو كَلامي، لكذّبكَ مَن يسمَعُك، إذ ليسَ لك من ذلك إلاَّ التبليغُ والأداءُ.

فكذلكَ كلامُ الله تعالى إذا تلاه التالي، وقرأه القارئ.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ...﴾ [التوبة: الآية: ٦] فأضافَ الكلام إلى نفسِهِ، لأنَّه هو الذي ابتدأ نَظْمَهُ بحُروفِهِ ومعانيهِ، يسمَعُه المُشرك بأذُنَيْهِ بصَوْتِ القارئ، فإنَّه إنَّما يسمَع كلامَ الله مِنَ القارئ.

**سابعًا: أن الله سبحانه وتعالى أسمعه جبريل، وجبريل أبلغه محمد-ﷺ-.**

**وقالَ ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ٧٢٨ هـ)**:"وَمَذْهَبُ سَلَفِ الأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا وَخَلَفِهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَ الْقُرْآنَ مِنْ جِبْرِيلَ، وَجِبْرِيلُ سَمِعَهُ مِن اللهِ عز وجل". (٢)

يؤمنُ أهل السنة بأن القرآن كلامُ الله عز وجل، منه بدأ وإليه يعود، وأن هذا كلام الله بحرفٍ وصوتٍ مسموعين وأن الله سبحانه وتعالى أسمعه جبريل، وجبريل أبلغه محمد ﷺ، وأن الكلام هو كلام الله عز وجل.

ومذهب أئمَّة الحديث والسنَّة: أن الله تعالى لم يَزل متكلِّمًا، إذا شاء، ومتى شاء، وكيف شاء، وهو يتكلَّمُ بصوت يُسمَع، وأن نوع الكلام قديم، وإن لم يكن الصوت المعين قديمًا.

ثم قال:"الآثار مُتواترة عنهم-أي: عن الصحابة والتابعين-بأنهم كانوا يقولون: القرآن كلام الله، ولمَّا ظهر مَن قال: إنه مخلوق، قالوا ردًّا لكلامه: إنه غير مخلوق، ولم يريدوا بذلك أنه مُفترى، كما ظنه بعض الناس؛ فإن أحدًا من المسلمين لم يَقل: إنه مفترى، بل هذا

(١) خرجه الشيخان في "صحيحيهما" من حديث عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ٢٣٣).

كفر ظاهر يَعلمه كل مسلم، وإنَّما قالوا: إنه مخلوق خلقه الله في غيره، فرَدَّ السلف هذا القول، كما تواترت الآثار عنهم بذلك، وصنفوا في ذلك مصنفات متعددة، وقالوا: «منه بدأ وإليه يعود».

ونصوصُ القرآن واضحة بأنه كلامه سبحانه وتعالى ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ﴾ [التوبة: الآية:٦] فهذا الكلام كلامه سبحانه وتعالى، منه بدأ، تكلم به حقيقةً، ونثبتُ صفة الكلام لله عز وجل كما أثبتها لنفسه وكما أثبتها له رسوله ﷺ، وأن الله سبحانه وتعالى لكلامه صوت كما جاءَ في النصوص، وأنه بحرف وصوت مسموعين، وأنه سبحانه وتعالى يتكلم بما شاء متى شاء كيف شاء سبحانه وتعالى، وأن القرآن كلامُ الله تعالى غيرُ مخلوق.

فالقرآن كلام الله، ليس ككلام البشر، وقد توعَّد الله من وصَف القرآن بأنه ككلام البشر، توعَّده بالنار فقال تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: الآيات: ٢٥، ٢٦]، فإن كان كلام البشر مخلوقًا لهم، فكلام الله ليس مخلوقًا له، إنما هو صفةٌ من صفاته سبحانه.

**الأقوال في سماع كلام الله**

**قال ابن القيم -رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٧٥١ هـ)**:"واختلفت الفرق هل يسمع كلام الله على الحقيقة؟

فقالت فرقة: لا يسمع كلامه على الحقيقة إنما يسمع حكايته والعبارة عنه، وهذا قول الكلابية ومن تبعهم،

وقالت بقية الطوائف، بل يسمع كلامه حقيقة، ثم اختلفوا

فقالت فرقة: يسمعه كل أحد من الله، وهذا قول الاتحادية،

وقالت فرقة: بل لا يسمع إلا من غيره، وعندهم يسمع كلام الله منه، فهذا قول الجهمية والمعتزلة.

وقال أهل السنة والحديث يسمع كلامه سبحانه منه تارة بلا واسطة كما سمعه موسى وجبرائيل وغيره، وكما يكلم عباده يوم القيامة، ويكلم أهل الجنة، ويكلم الأنبياء في الموقف، ويسمع من المبلغ عنه كما سمع الأنبياء الوحي من جبرائيل تبليغا عنه، وكما سمع الصحابة القرآن من الرسول ﷺ عن الله، فسمعوا كلام الله بواسطة المبلغ، وكذلك نسمع نحن بواسطة التالي.

فإذا قيل: المسموع مخلوق أو غير مخلوق؟ قيل إن أردت المسموع عن الله فهو كلامه غير مخلوق،

وإن أردت المسموع من المبلغ ففيه تفصيل، فإن سألت عن الصوت الذي روي به كلام الله فهو مخلوق،

وإن سألت عن الكلام المؤدى بالصوت فهو غير مخلوق".[١]

**مسألة: هل اللفظ بالقرآن مخلوق أو لا؟**

وهل يجوز أن يقول القائل: لفظي بالقرآن مخلوق؟

واللفظ يأتي بمعنى: التلفظ، ويأتي بمعنى الملفوظ؛ هل هو الملفوظ الخارج، أو حركة اللسان التلفظ؟

فمعلوم أنه إن أريد الأول وهو التلفظ: فالتلفظ من أفعال العبد، وأفعال العباد مخلوقة.

وإن عُني باللفظ الملفوظ فالملفوظ هو القرآن.

لهذا صارت الكلمة محتملة، واستعمال المحتملات في العقيدة بدعة؛ فإنه لا يجوز أن تستعمل مثل هذه العبارة التي قد تحتمل شيئًا آخر؛ فيفهم الناس منها فهمًا غير سليم.

ولهذا كان **الإمام أحمد**-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-**(ت: ٢٤١ هـ)** يقول:"مَن قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتدع، ومن قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع أيضًا"؛ لأنها تحتمل هذه وهذه، وقد

(١) مختصر الصواعق المرسلة (ص: ٥٢٨).

سكت السلف عن الإطلاق؛ لأنَّ الألفاظ المحتملة فيما يتصل بذات الله جل وعلا أو صفاته أو أفعاله أو أمور العقيدة والغيبيات لا يجوز استعمالها، وينهى عنها.

**وقال ابن تيمية-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٧٢٨ هـ)**:"أئمة أهل السنة وأهل الحديث من أصحاب الإمام أحمد بن حنبل وغيرهم ينكرون على من يجعل لفظ العبد بالقرآن أو صوته به أو غير ذلك من صفات العباد المتعلقة بالقرآن- غير مخلوقة، ويأمرون بعقوبته بالهجر وغيره، وقد جمع بعض كلامهم في ذلك أبو بكر الخلال في (كتاب السنة)، ومن المشهور في (كتاب صريح السنة) لمحمد بن جرير الطبري وهو متواتر عنه، لما ذكر الكلام في أبواب السنة قال: وأما القول في ألفاظ العباد بالقرآن، فلا أثر فيه نعلمه عن صحابي مضى، ولا عن تابعي قفا إلا عمن في قوله الشفاء والغناء، وفي اتباعه الرشد والهدى، ومن يقوم لدينا مقام الأئمة الأولى: أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، فإن أبا إسماعيل الترمذي حدثني قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل يقول: اللفظية جهمية، يقول الله: ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ﴾ [التوبة: الآية: ٦]، ممن يسمع؟! **قال ابن جرير-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٣١٠ هـ)**: وسمعت جماعة من أصحابنا -لا أحفظ أسماءهم- يحكون عنه أنه كان يقول: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو جهمي، ومن قال: غير مخلوق، فهو مبتدع.قال ابن جرير: ولا قول في ذلك عندنا يجوز أن نقوله غير قوله؛ إذ لم يكن لنا إمام نأتم به سواه، وفيه الكفاية والمقنع، وهو الإمام المتبع" (١)

ولهذا **قال ابن القيم-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٧٥١ هـ)**:

وَعَلَيْكَ بِالتَّفْصِيلِ وَالتَّبْيِينِ فَالْ *** إِطْلاَقُ وَالإِجْمَالُ دُونَ بَيَانِ
قَدْ أَفْسَدَا هَذَا الوُجُودَ وَخَبَّطَا الـ *** أَذْهَانَ وَالآرَاءَ كُلَّ زَمَانِ".(٢)

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٢٢-٤٢٣).

(٢) انظر: «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» لابن القيم.

وقد رأي الإمام أحمد وبعض الأئمة أنه لا يُقال: اللفظ بالقرآن مخلوق، ولا يقال: غير مخلوق؛ لأن الكلام هنا محتمل، فعندما يقول القائل: لفظي بالقرآن مخلوق، فهل يقصد به القرآن الذي هو كلام الله تعالى، أو يقصد فعل المخلوق؟

فإن قال: اللفظ بالقرآن غير مخلوق، فقد لا يقصد هنا كلام الله تعالى، وإنما يقصد كلامه هو، وهذا خطأ؛ لأن نطق الإنسان مخلوق، فالمسألة تكون محتملة، فمن هذا الباب باب منع الإمام أحمد والأئمة من أهل السنة أن يُقال: لفظي القرآن مخلوق أو غير مخلوق؛ لأن هذا اللفظ محتمل.

**قال أبو القاسم التيمي الأصبهاني-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٥٣٥ هـ)**:"وأول من قال باللفظ، وقال: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة: حسين الكرابيسي (ت: ٢٥٦ هـ).فبدعه أحمد بن حنبل، ووافقه على تبديعه علماء الأمصار...." ثم سمّى طائفة كثيرة من علماء الأمصار، ثم قال:"فمذهبهم ومذهب أهل السنة جميعاً أن القرآن كلام الله آية آية، وكلمة كلمة، وحرفاً حرفاً في جميع أحواله، حيث قرئ وكتب وسمع".(١)

بينما ينص الإمام البخاري وبعض أهل السنة على أن اللفظ بالقرآن الذي هو نطق الإنسان مخلوق، فإذاً فَصَّلوا وبيَّنوا أنه إذا قصد النطق فهذا مخلوق، وإذا قصد الأصل الذي هو كلام الله سبحانه وتعالى الملفوظ، فهذا غير مخلوق.

وحدثت في هذه المسألة فتنة للبخاري، أثارها عليه شيخه محمد بن يحيى الذهلي-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٢٥٨ هـ)، ودافع عنه ابن القيم-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٧٥١ هـ) في كتابه «الصواعق»، وقال: «إن البخاري في هذه المسألة أقعد وبيَّن ووضَّح وفصَّل في هذه المسألة، وتشنيع الذهلي عليه هذا من باب الغيرة والحسد الذي بين الشيخ وتلميذه؛ لأن البخاريَّ تفوق عليه.

فالمسألة محل خلاف، مثل مسألة الاسم والمسمَّى؛ لأن المخرج فيهما واحد؛ لأن كِلا

(١) الحجة في بيان المحجة (١/ ٣٧٠).

المسألتين تعودان إلى صفة الكلام، والكلام: صفة من صفات الله سبحانه وتعالى غير مخلوق، وبناء على ذلك ترتَّب خلاف في مسألة اللفظ وفي مسألة الاسم والمسمى؛ لأن أسماء الله تعالى من كلامه، والقرآن من كلامه عز وجل، فحصل خلاف في هذه المسألة بناءً على ذلك.

**أصل النزاع في المسألة**:

مسألة خلق القرآن حدثت في زمن محنة الجهمية والفتنة المشهورة فهي وليدة هذه الفتنة ومنها نشأ النزاع فيها هل الإيمان مخلوق أم لا؟

**قال ابن تيمية -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ٧٢٨ هـ)** لما سئل: هل الإيمان مخلوق أم غير مخلوق؟

"فالجواب أن هذه المسألة نشأ النزاع فيها لما ظهرت محنة الجهمية في القرآن هل هو مخلوق أم غير مخلوق؟ وهي محنة الإمام أحمد وغيره من علماء المسلمين، وقد جرت بها أمور يطول وصفها هنا، لكن لما ظهر القول بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأطفأ الله نار الجهمية المعطلة.

**صارت طائفة يقولون:** إن كلام الله الذي أنزله مخلوق، ويعبرون عن ذلك باللفظ، فصاروا يقولون ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، أو تلاوتنا أو قراءتنا مخلوقة، وليس مقصودهم مجرد كلامهم وحركاتهم، بل يدخلون فيه نفس كلام الله الذي نقرؤه بأصواتنا وحركاتنا.

**وعارضهم طائفة أخرى فقالوا:** ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة.

فرد الإمام أحمد على الطائفتين وقال: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع. وتكلم الناس حينئذ بالإيمان فقالت طائفة: الإيمان مخلوق وأدرجوا في ذلك ما تكلم الله به من الإيمان مثل (قول لا إله إلا اللهـ)، فصار مقتضى قولهم إن هذه الكلمة مخلوقة، ولم يتكلم الله بها، فبدع الإمام أحمد هؤلاء، وقال: قال النبي -ﷺ-

: )**الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها: قول لا إله إلا اللهـ)**.[١] أفيكون قول لا إله إلا الله مخلوقا؟

ومراده أن من قال: إن ألفاظنا وتلاوتنا وقراءتنا للقرآن مخلوقة، كان مقتضى كلامه أن الله لم يتكلم بالقرآن الذي أنزله.وأن القرآن المنزل ليس هو كلام الله".[٢]

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:"وإذا قال: الإيمان مخلوق أو غير مخلوق؟ قيل له: ما تريد (بالإيمان)؟ أتريد شيئا من صفات الله وكلامه، كقول (لا إله إلا الله) و(إيمانهـ) الذي دل عليه اسمه المؤمن، فهو غير مخلوق.أو تريد شيئا من أفعال العباد وصفاتهم فالعباد كلهم مخلوقون، وجميع أفعالهم وصفاتهم مخلوقة، ولا يكون للعبد المحدث المخلوق صفة قديمة غير مخلوقة، ولا يقول هذا من يتصور ما يقول، فإذا حصل الاستفسار والتفصيل ظهر الهدى وبان السبيل، وقد قيل أكثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الأسماء، وأمثالها مما كثر فيه تنازع الناس بالنفي والإثبات إذا فصل فيها الخطاب، ظهر الخطأ من الصواب.

والواجب على الخلق أن ما أثبته الكتاب والسنة أثبتوه، وما نفاه الكتاب والسنة نفوه، وما لم ينطق به الكتاب والسنة لا بنفي ولا إثبات استفصلوا فيه قول القائل: فمن أثبت ما أثبته الله ورسوله، فقد أصاب، ومن نفى ما نفاه الله ورسوله فقد أصاب، ومن أثبت ما نفاه الله أو نفى ما أثبته الله فقد لبس دين الحق بالباطل، فيجب أن يفصل ما في كلامه من حق أو باطل، فيتبع الحق ويترك الباطل، وكل من خالف الكتاب والسنة فإنه مخالف أيضا لصريح المعقول، فإن العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح، كما أن المنقول عن الأنبياء عليهم السلام لا يخالف بعضه بعضا، ولكن كثيرا من الناس يظن تناقض ذلك، وهؤلاء من الذين اختلفوا في الكتاب ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ**

(١) رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٥٥).

بَعِيدٍ﴾ [البقرة الآية: ١٧٦]، ونسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا".(١)

قال الإمام أحمد-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-(ت: ٢٤١ هـ):"من قال: الإيمان مخلوق كفر، ومن قال: غير مخلوق ابتدع.فقيل: بالوقف مطلقا، وقيل: أقواله قديمة وأفعاله مخلوقة.

قال ابن حمدان-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-(ت: ٦٩٥ هـ) في نهاية المبتدئين: وهو أصح، ونقله عن ابن أبي موسى وغيره.ونقل الإمام الحافظ ابن رجب-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-(ت: ٧٩٥ هـ) في طبقات الأصحاب في ترجمة الحافظ عبد الغني المقدسي-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-(ت: ٦٠٠ هـ)، ما لفظه قال: روي عن إمامنا أحمد-رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ-(ت: ٢٤١ هـ)، أنه قال: من قال: الإيمان مخلوق فهو كافر، ومن قال: قديم فهو مبتدع.

قال الحافظ عبد الغني-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-(ت: ٦٠٠ هـ):"وإنما كفر من قال بخلقه؛ لأن الصلاة من الإيمان، وهي تشتمل على قراءة وتسبيح وذكر الله-عز وجل-ومن قال بخلق ذلك كفر، وتشتمل على قيام وقعود وحركة وسكون ومن قال بقدم ذلك ابتدع.انتهى بحروفه، والله-تعالى-الموفق".(٢)

قال الإمام أحمد-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-(ت: ٢٤١ هـ):"لسنا نشك أن أسماء الله عز وجل غير مخلوقة، لسنا نشك أن علم الله عز وجل غير مخلوق، فالقرآن من علم الله وفيه أسماء الله فلا نشك أنه غير مخلوق، وهو كلام الله عز وجل ولم يزل به متكلما".(٣)

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٦٤).
(٢) لوامع الأنوار البهية (١/ ٤٤٦).
(٣) نقله عنه الأشعري في كتاب الإبانة عن أصول الديانة (ص: ٨٨)

وقال الإمام أحمد-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-(ت: ٢٤١ هـ):"من زعم أن أسماء الله مخلوقة فهو كافر".[١]

قال ابن القيم-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-(ت: ٧٥١ هـ):"وأما مسألة تكلم العباد بالقرآن فقد اشتبهت على كثير من الناس،

فقالت طائفة: إن الله يخلق كلامه عند تلاوة كل تال، فيجري كلامه المخلوق على لسان التالي، وفعل التالي هو حركة اللسان فقط وهي القراءة: فالقراءة صنع العبد عندهم، والمقروء صنع الله وخلقه، فالمسموع عندهم مخلوق بين صنعين: صنع الرب وصنع العبد، وهذا قول أبي هذيل والإسكافي وأصحابه.

وقالت فرقة أخرى: إن العبد هو المحدث لأفعاله وتلاوته، والله تعالى خلقه في مكان واحد لا ينتقل عنه ولا يفارقه إلى غيره، فهذا المسموع هو صنع التالي ألفاظه وتلاوته، وهذا قول أكثر البغداديين من المعتزلة، وقول جعفر بن حرب.

وقالت فرقة: إن القرآن لم يخلقه الله تعالى في الحقيقة ولا هو فعله، فإنه عرض وهم يحيلون أن تكون الأعراض فعلا لله، قالوا فهو فعل المحل الذي قام به، وهذا قول معمر وأصحابه من المعتزلة.

وقالت فرقة: إن الله سبحانه خلق كلامه في اللوح المحفوظ ثم مكن جبرائيل أن يأخذه منه نقلا ويعلمه رسوله ﷺ، فجبرائيل إذا نطق به كان نطقه بمنزلة من يقرأ كتاب غيره، لكن الحروف والأصوات في الحقيقة لجبرائيل لم تقم بذات الرب حروف القرآن ولا ألفاظه، ولا سمعه جبرائيل من الله تعالى، وإنما نزل به من المحل الذي خلق فيه، وهذا قول كثير من الكلابية، فعندهم أن المسموع قول الرسول الملكي حقيقة سمعه منه الرسول البشري فأداه كما سمعه، فالرسول الملكي ناقل لما في اللوح المحفوظ غير سامع له من الله، والرسول البشري ناقل له عن جبرائيل قوله وألفاظه.

انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٢/ ٢١٤).

ومن هؤلاء من يقول: بل الله تعالى ألهم جبرائيل معانيه، فعبر عنها جبرائيل بعبارته، فهذه الألفاظ كلام جبرائيل في الحقيقة لا كلام الله.

ومنهم من يقول: جبرائيل علم رسول الله نص معانيه وألقاها في روعه، ومحمد رسول الله ﷺ أنشأ ألفاظها وعبر بها من عنده دلالة على ذلك المعنى الذي ألقاه إليه الملك، فالقرآن العربي على قولهم قول محمد -ﷺ- أو قول جبرائيل -عليه السلام-، وهذا قول من لا نسميهم لشهرتهم، وإن حرفوا العبارة وزينوا له الألفاظ، فهو قولهم الذي يناظرون عليه ويكفرون من خالفهم فيه يقولون فيه: قال أهل الحق كذا، وقالت سائر فرق أهل الزيغ بخلافه.

وقالت فرقة أخرى: بل لسان التالي مظهر للكلام القديم، فيسمع منه عند التلاوة كما سمع موسى كلام الله من الشجرة، فلسان التالي كالشجرة محل ومظهر للكلام، فإذا قال التالي ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: الآية: ٢] كان المسموع كله حروفه وأصواته غير كلام الله القائم به من غير حلول في القارئ ولا اتحاد به، كما أن الله سبحانه لم يحل في الشجرة ولا اتحد بها، وسمع موسى كلامه منها.

واختلفت هذه الفرقة في الصوت الذي يسمع من القارئ على قولين:

**أحدهما:** إنه عين صوت الله بالقرآن ظهر عند تلاوة التالي، فكانت التلاوة مظهرة له.

**وقالت فرقة أخرى منهم**: ما لا بد منه من الصوت في الأداء ولا يتأدى الكلام بدونه، فهو الصوت القديم، وما زاد عليه من قوة الاعتماد والرفع فمحدث.

قالوا: وقد اقترن القديم بالمحدث على وجه معسر التمييز بينهما جدا، فلما ورد عليهم أن الحس شاهد بأن هذا الصوت موجود بعد أن كان معدوما ومعدوما بعد وجوده وهذا مستحيل على القديم، أجابوا بأن الذي وجد بعد عدمه ثم عدم بعد وجوده هو ظهور الصوت القديم لا نفسه، فالمحدث وقع على الإدراك لا على المدرك، كما إذا سمع كلامه سبحانه منه بعد أن لم يسمع، ثم عدم السمع فالحدوث واقع على السمع لا على المسموع، وهذا

قول جماعة ممن ينسب إلى الإمام أحمد-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-(ت: ٢٤١ هـ).

وأصحابه المتقدمون بريئون من هذا المذهب المخالف للحس والعقل والفطرة، ونصوص أحمد إنما تدل على خلافه، فقد نص في رواية جماعة من أصحابه على أن الصوت صوت العبد، فقال في قول النبي-ﷺ- **(ليس منا من لم يتغن بالقرآن)**.[١]، قال يجهر به ويحسنه بصوته ما استطاع، وقد نص على ذلك الأئمة كالبخاري وغيره.

**قال البخاري-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-(ت: ٢٥٦ هـ)** في صحيحه: باب قول النبي ﷺ: **(الماهر بالقرآن مع الكرام البررة)**.[٢]، **(وزينوا القرآن بأصواتكم)**.[٣] ثم احتج بحديث **أبي هريرة-رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ-(ت: ٥٧ هـ)**، عن النبي-ﷺ- **(ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به)**.[٤]، فأضاف الصوت إلى النبي ﷺ؛ ثم ساق حديث **البراء-رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ-(ت: ٧٢ هـ)**، **(أن النبي ﷺ قرأ في العشاء بالتين والزيتون، ما سمعت صوتا أحسن منه)**.[٥]، فأضاف الصوت إليه ثم ذكر حديث **ابن عباس-رضي الله عنهما-(ت: ٦٨ هـ)**، **(أن النبي ﷺ كان متواريا بمكة وكان يرفع صوته بالقرآن، فإذا سمع المشركون سبوا القرآن ومن جاء به، فأنزل الله تعالى:** ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: الآية: ١١٠]).[٦] ثم قال: باب

(١) أخرجه البخاري (٧٥٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٣٧) بلفظ مقارب، ومسلم (٧٩٨) باختلاف يسير.

(٣) رواه الإمام أحمد (٤/ ٨٣)، وأبو داود (١٤٦٨)، وابن ماجه (١٣٤٢)، والنسائي (٢/ ١٧٩)، وصححه ابن حبان (٣/ ٢٥) (٧٤٩)، والحاكم (١/ ٥٧١).وعلقه البخاري قبل حديث (٧٥٤٤) كلهم من حديث البراء بن عازب وصححه الألباني في "صحيح أبي داود" (١٣٢٥) وقال: هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين، غير عبد الرحمن بن عوسجة وهو ثقة.

(٤) أخرجه البخاري (٧٥٥٤)، ومسلم (٧٩٢).

(٥) أخرجه البخاري (٧٥٤٦)، ومسلم (٤٦٤).

(٦) أخرجه البخاري (٤٧٢٢)، ومسلم (٤٤٦) باختلاف يسير.

قراءة الفاجر والمنافق وأصواتهم وتلاوتهم لا تجاوز تراقيهم، وذكر في الباب حديث **أبي سعيد الخدري**-ﷺ-**(ت: ٧٤ هـ) (يخرج أناس من قبل المشرق يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم)**.[(١)]، ومعلوم أن المراد التلاوة والأداء وما قام بهم من الأصوات، وأنها لم تجاوز حناجرهم، وكان البخاري قد امتحن بهذه الفرقة، فتجرد للرد عليهم وبالغ في ذلك في كتاب (خلق أفعال العباد) فإنه بناه على ذلك وأن أصوات العباد من أفعالهم أو متولدة عن أفعالهم فهي من أفعالهم، فالصوت صوت العبد حقيقة، والكلام كلام الله حقيقة، أداه العبد بصوته كما يؤدي كلام الرسول وغيره بصوته، فالعبد مخلوق وصفاته مخلوقة وأفعاله مخلوقة وصوته وتلاوته مخلوقة، والمتلو المؤدى بالصوت غير مخلوق.

واحتج البخاري في الصحيح في (خلق أفعال العباد) على ذلك بنصوص التبليغ، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: الآية: ٦٧] وقوله: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى: الآية: ٤٨] وقوله: ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي﴾ [الأعراف: الآية: ٧٩] وهذا من رسوخه في العلم، فإن ذلك يتضمن أصلين ضل فيهما أهل الزيغ:

**أحدهما:** أن الرسول ليس له من الكلام إلا مجرد تبليغه، فلو كان هو قد أنشأ ألفاظه لم يكن مبلغا، بل منشئا مبتدئا، ولا تعقل الأمم كلها من التبليغ سوى تأدية كلام الغير بألفاظه ومعانيه ولهذا يضاف الكلام إلى المبلغ عنه لا إلى المبلغ.

وأيضا فالتبليغ والبلاغ هو الإيصال، وهو معدى من بلغ إذا وصل، والإيصال حقيقة أن يورد إلى الموصل إليه ما حمله إياه غيره، فله مجرد إيصاله.

**الأصل الثاني:** أن التبليغ فعل المبلغ وهو مأمور به مقدور له، وتبليغه هو تلاوته بصوت نفسه، فلو كان الصوت والتلاوة وصوت المتكلم به أزليا وتلاوته لم يكن فعلا مأمورا به مضافا إلى المأمور، وبالجملة فالتبليغ هو صوت المبلغ القائم به.

(١) أخرجه البخاري (٧٥٦٢).

**قال البخاري-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٢٥٦ هـ)**: باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: الآية: ٦٧]، وقول النبي ﷺ:" (بلغوا عني ولو آية وليبلغ الشاهد الغائب وأن الوحي قد انقطع).[١]، فتأمل مقصوده بقوله: وإن الوحي قد انقطع فلو كانت أصواتنا بالقرآن هي نفس الصوت القديم الذي تكلم الله تعالى به لم يكن الوحي قد انقطع، بل هو متصل ما دامت أصوات العباد مسموعة بالتلاوة، فالقائلون إن هذا الصوت القديم ظهر عند تلاوة التالي، وهو الصوت الذي أوحى الله به الوحي إلى رسوله، وهو غير منقطع لزمه لزوما بينا أن الوحي متصل غير منقطع.

**قال البخاري-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٢٥٦ هـ)**: في كتاب (خلق أفعال العباد) ويذكر عن النبي ﷺ أنه كان يحب أن يكون الرجل خفت الصوت، ويكره أن يكون رفيع الصوت، وأن الله سبحانه ينادي بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، فليس هذا لغير الله تعالى.

قال أبو عبد الله: وفي الدليل أن صوت الله لا يشبه أصوات الخلق؛ لأن صوت الله يسمع من بعد كما يسمع من قرب، وأن الملائكة يصعقون من صوته، فإذا نادى جبرائيل الملائكة لم يصعقوا، ثم ساق في الباب أحاديث تكلم الله بالصوت محتجا بها.[٢]

**قال البخاري-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٢٥٦ هـ)**: وقد كتب النبي-ﷺ-كتابا فيه (بسم الله الرحمن الرحيم) [٣].فقرأه ترجمان قيصر على قيصر وأصحابه، ولا يشك في قراءة الكفار أهل الكتاب أنها أعمالهم، وأما المقروء فهو كلام العليم المنان ليس بخلق، فمن حلف بأصوات قيصر أو بنداء المشركين الذين يقرون بالله لم تكن عليه يمين دون الحلف بالله لقول النبي-

(١) خلق أفعال العباد (ص: ٨٨).

(٢) خلق أفعال العباد (ص: ٩٨).

(٣) خلق أفعال العباد (ص: ٩٨).

ﷺ- (لا تحلفوا بغير اللهـ).[١].وليس للعبد أن يحلف بالخواتيم والدراهم البيض وألواح الصبيان التي يكتبونها ثم يمحونها المرة بعد المرة، وإن حلف فلا يمين عليه لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: الآية: ٢٢].[٢]

**قال البخاري-رحمه الله-(ت: ٢٥٦ هـ)**: وقال النبي-ﷺ-: (بينا أنا في الجنة سمعت صوت رجل بالقرآن) [٣].فبين أن الصوت غير القرآن.

قلت: ونظيره إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن.

قال أبو عبد الله: ويقال له صفة الله وكلامه، وعلمه وأسمائه وعزه وقدرته بائنة من الله أم لا، وقولك وكلامك بائن من الله أم لا.

قال أبو عبد الله: قال الله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ [النجم: الآيات: ٣٩-٤٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ﴾ [نوح: الآية: ١] والإنذار من نوح وهو نذير مبين يأمرهم بطاعة الله، وأما الغفران فإنه من الله يقول ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [نوح: الآية: ٤]، ثم قال: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ [نوح: الأية: ٥] فذكر الدعاء سرا وعلانية من نوح، وقال ابن مسعود-رضي الله عنه-(ت: ٣٢ هـ)، قال النبي ﷺ لقوم كانوا يقرءون القرآن فيجهرون به **(خلطتم علي القرآن يقول علت أصواتكم صوتي)** [٤]، فنهى النبي ﷺ أن يرفع بعضهم على بعض صوته، ولم ينه عن القرآن ولا عن كلام الله.

**قال البخاري-رحمه الله-(ت: ٢٥٦ هـ)**: واعتل بعضهم فقال حتى يسمع كلام الله، قيل له

---

(١) خلق أفعال العباد (ص: ٩٨).

(٢) خلق أفعال العباد (ص: ١٠٢).

(٣) خلق أفعال العباد (ص: ١٠٩).

(٤) أخرجه البخاري في "القراءة خلف الإمام " (٢٥٤)، وفي خلق أفعال العباد (ص: ١١١).

إنما قال حتى يسمع كلام الله لا كلامك ونغمتك وصوتك، إن الله فضل موسى بكلامه، ولو كان يسمع الخلق كلهم كلام الله كما سمع موسى لم يكن لموسى عليك فضل، ومعنى هذا أن هذا الصوت المسموع من القارئ لو كان هو الصوت الذي سمعه موسى لكان كل من سمع القرآن بمنزلة موسى في ذلك".[١]

(١) مختصر الصواعق المرسلة ٥٠٣-٥٠٨.

# الإيمان قول وعمل ونية

## وفيه مسألتان

المسألة الأولى: تعريف الإيمان

المسألة الثانية: زيادة الإيمان ونقصانه

المسألة الثالثة: دخول العمل في مسمى الإيمان

## [٢]-قال المصنف-رَحِمَهُ اللَّهُ-:"والإيمانُ: قولٌ وعملٌ ونية".

**الشرح**

## تعريف الإيمان

تنوعت عبارات السلف في تعريف الإيمان:

١-فتارة يقولون: الإيمان قول وعمل.

٢-وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية.

٣-وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية واتباع سنة.[(١)]

٤- وتارة يقولون:"قول وعمل ومعرفة".كما ذكر المصنف هنا.

٥- وتارة يقولون: الإيمان: قول اللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[(٢)].

**قال ابن تيمية-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٧٢٨ هـ)** -بعد أن أورد التعريفات الثلاثة الأول-:"وكل هذا صحيح"[(٣)] وعلل ذلك بقوله[(٤)]:

"فمن قال إن الإيمان قول وعمل فمرداه قول اللسان والقلب وعمل القلب والجوارح".

وقول اللسان وعمل الجوارح معروفان.

وأما المقصود من قول القلب: فهو إقراره ومعرفته وتصديقه.

وأما عمله: فهو انقياده لما صدق به.

---

(١) هذه التعريفات الثلاثة أوردها شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الإيمان.انظر (ص: ١٦٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٤٢).

(٣) كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص: ١٦٢).

(٤) كلام شيخ الإسلام نقلته بتصرف من كتابه الإيمان (ص: ١٦٢-١٦٣).

ومن عبر عن الإيمان بهذا التعريف ليس مراده كل قول أو عمل وإنما المراد ما كان مشروعا من الأقوال والأعمال.

كما أن تعبير بعض السلف بهذه العبارة في تعريف الإيمان إنما جاء في معرض الرد على المرجئة.[١] الذين جعلوه قولا فقط، فقال بعض السلف ردا عليهم: بل قول وعمل.[٢]

وأما من عرفه بقوله هو قول وعمل ونية، فمقصوده بزيادة لفظ "ونية": أن القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان.

وأما العمل فقد لا يفهم منه النية فزاد ذلك.[٣]

وأما من عرفه بأنه قول وعمل ونية واتباع سنة، فقد زاد لفظة "واتباع سنة" لأن ذلك كله لا يكون محبوبا لله إلا باتباع السنة.[٤]

**قال ابن تيمية -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ٧٢٨ هـ):** "وقد سئل **سهل بن عبد الله التستري -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ٢٨٣ هـ)** عن الإيمان ما هو؟، فقال: قول وعمل ونية واتباع سنة.

لأن الإيمان إذا كان قولا بلا عمل فهو كفر. وإذا كان قولا وعملا بلا نية فهو نفاق.

(١) المرجئة هم الذين أرجأوا العمل عن مسمى الإيمان وهم خمس طوائف سيأتي ذكرهم.

(٢) قال ابن تيمية -رحمه الله- (ت: ٧٢٨ ه): "الناس لهم في مسمى الكلام والقول عند الإطلاق أربعة أقوال:

١-فالذي عليه السلف والفقهاء والجمهور أنه يتناول اللفظ والمعنى جميعا.

٢-وقيل: بل مسماه اللفظ، والمعنى ليس جزء مسماه، بل هو مدلول مسماه، وهذا قول كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم وطائفة من المنتسبين الى السنة، وهو قول النحاة لأن صناعتهم متعلقة بالألفاظ.

٣-وقيل: مسماه هو المعنى وإطلاق الكلام على اللفظ مجاز لأنه دال عليه وهذا قول ابن كلاب ومن اتبعه.

٤-وقيل: بل هو مشترك بين اللفظ والمعنى وهو قول بعض المتأخرين من الكلابية ولهم قول ثالث يروى عن أبي الحسن أنه مجاز في كلام الله حقيقة في كلام الآدميين". كتاب الإيمان (ص: ١٦٢).

(٣) كتاب الإيمان (ص: ١٦٣).

(٤) كتاب الإيمان (ص: ١٦٣).

وإذا كان قولا وعملا ونية بلا سنة فهو بدعة".[١]

وأجمع التعاريف الواردة وأشملها هو: أن الإيمان قول اللسان واعتقاد بالجنان وعمل الجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

وهذا التعريف هو الذي يميز قول السلف في مسمى الإيمان عن قول غيرهم من الفرق.[٢]

ولهذا كان هذا التعريف هو أجمع التعاريف الواردة عن السلف وأكثرها دقة في بيان قولهم.

فإن الناظر إلى هذا الإنسان باعتبار ما يجب عليه تجاه ما أخبر الله به وما أمر الله تعالى به؛ فنصوص الشرع لا تخرج عن أمرين: إما أخبارٌ وإما أوامر، فالأخبار حقها التصديق بأن

---

(١) كتاب الإيمان (ص: ١٦٣).

(٢) الذين خالفوا السلف في مسمى الإيمان هم:

أ-المرجئة بطوائفهم الخمس:

١-الجهمية: وقالوا الإيمان هو معرفة القلب فقط: أى المعرفة الفطرية التي هي المعرفة بربوبية الله.

٢-الأشاعرة: وقالوا الإيمان هو التصديق فقط أي التصديق بما جاء به النبي ﷺ من عند الله.

٣-الماتريدية: وقولهم في الإيمان مثل قول الأشاعرة.

٤-الكرامية: قالوا الإيمان قول باللسان فقط.

٥-مرجئة الأحناف (أو مرجئة الفقهاء) قالوا: الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان.وهو قول الكلابية.وكل هذه الطوائف الخمسة أخرجت العمل عن الإيمان.

ب-الخوارج: قالوا الإيمان قول واعتقاد وعمل، ولكنهم يكفرون من أخل بشيء من هذه الثلاثة ويقولون بأنه كافر في الدنيا وفي الآخرة خالد في النار.

ج-المعتزلة: وقالوا بقول الخوارج إلا أنهم يقولون إنه في الدنيا في منزلة بين منزلتين بمعنى أنه ليس بمؤمن ولا كافر، واتفقوا معهم في باقي الأمور.

انظر تفاصيل هذه الأقوال: في كتاب الإيمان لابن تيمية، والجزء السابع من مجموع الفتاوى، وشرح العقيدة الطحاوية (ص: ٣٧٣-٣٩٢) وكتاب النبوات (ص: ١٩٩).

تُصدق بها، والأوامر حقها أن تعمل بها، كما جاء في الحديث"إذا أمرتكم بأمرٍ فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن نهيٍ فانتهوا".(١)

فأنت مأمور بأن تتبع، وأن تعمل بهذه الأوامر بحسب ما يأتي من حكمٍ عليها، فهذه الأمور أي الوحي تأتي لهذا الإنسان، وأول ما تأتي إليه في باطنه؛ لأنه لابد وأن يعلم أن الصلاة مثلاً ركنٌ من أركان الإسلام، ثم إذا جئت إلى الصلاة تجد أن منها فرائض ومنها نوافل، ثم أن هذه النوافل منها سنن رواتب ومنها غير ذلك، فهذا أول ما يقابله بالعلم.

فإذاً هذا الإيمان سيخاطب هذا الباطن في الإنسان، وأول ما يخاطب أن يصدق بما أخبر الله به.

والثاني: أن ينقاد لأمر الله، فلابد أن يحصل الانقياد والتسليم لأوامر الله، فليس لك حق الاعتراض أن تقول: لا بدل خمس صلوات نجعلها ثلاثة أو نجعلها ستة، فهي خمس صلوات في اليوم الليلة لابد من أدائها في أوقاتها، فأصبح عليه أن يصدق وعليه أن ينقاد.

ومعلوم أن هنا ثلاثة أحوال:

القلب، والقلب يشمل أمرين:

يشمل جانب العلم، ويشمل جانب الإرادة هذا القلب.

والجانب الثاني: جانب اللسان.

والجانب الثالث: جانب الجوارح.

فهناك قول القلب، وعمل القلب، وقول اللسان، وعمل اللسان، وهناك عمل الجوارح فهذه خمسة، فإذا جئت إلى قول القلب فهذا هو العلم الذي هو التصديق فعليه أن يعلم هذه الأشياء ويصدق بها، هذا الواجب الأول على القلب، والقلب هو الباطن، والباطن مجموع الأمرين وهذه هي العقيدة.

---

(١) رواه البخاري (٤/ ٤٢٢) ومسلم (٧/ ٩١) وأحمد (٢/ ٢٥٨).

لذلك قال المصنف: "الإيمان قولٌ وعمل"، فالقول هنا هو العلم والتصديق، تعلم وتصدق، هذا واجبٌ على الإنسان لكي يكون مؤمنًا، وهذا وحده لا يكفي فلو قال قائل: أنا أعلم أن الصلوات خمس وهي كذا وكذا وهيئتها كذا لكن لن أصلي، فهو بهذا لا يكون مؤمنًا إذ لابد من الجانب الثاني.

والجانب الثاني: هو انقياد القلب، فهذه الإرادة لابد أن تنقاد لهذه الأخبار وهذه الأوامر، ولذلك يأتي عمل القلب، والقلب أعماله كثيرة، منها مثلاً الإخلاص، والمحبة، والخوف، والرجاء، والتوكل، والإنابة، والخشية، والتقوى، ولذلك النبي ﷺ لما ذكر التقوى قال: **(التقوى هاهنا التقوى هاهنا التقوى هاهنا وأشار بيده على صدره)**.[1]، فهذه أعمال القلوب، وهي التي تنطلق إلى سائر الجوارح

وأما قول اللسان وعمل اللسان، فقول اللسان جعله العلماء النطق بالشهادتين لأن هذا هو الفيصل بين الإسلام والكفر، **(أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله)**.[2]، فأول ما يدخل الإنسان في الإسلام يُطالب بعد تطهره يطالب بالنطق بالشهادتين، فهذا يسميه العلماء: قول اللسان، فجعلوه في النطق بالشهادتين.

وأما عمل اللسان: فمنه قراءة القرآن وتلاوته، وذكر الله عز وجل، والتسبيح، والتهليل هذا كله عمل اللسان.

وأما أعمال الجوارح، فمنها الركوع والسجود والصوم والجهاد وغض البصر وغيرها فهذه أعمال الجوارح، وهذا بكله هو الذي يُسمى إيمانًا عند أهل السنة.

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٥)، وأحمد (٧٦٧٠).

(٢) رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٥).

**[٣]- قال المصنف -رَحِمَهُ اللَّهُ-: "يزيدُ وينقصُ؛ يزيدُ بالطَّاعة، وينقصُ بالمعصية".**

**الشرح**

## زيادة الإيمان ونقصانه

أهل السنة يؤمنون أن الإيمان يزيد وينقص، ومن الأدلة على ذلك:

**أولًا: أدلة زيادة الإيمان ونقصانه من القرآن.**(١)

لقد جاء في كتاب الله عز وجل نصوص كثيرة تدل على زيادة الإيمان ونقصانه وأن أهله متفاضلون فيه بعضهم أكمل إيمانًا من بعض، فمنهم السابق بالخيرات، ومنهم المقتصد، ومنهم الظالم لنفسه، منهم المحسن، ومنهم المؤمن، ومنهم المسلم، ليسوا في الدين سواء في مرتبة واحدة، بل فضل الله بعضهم على بعض ورفع بعضهم فوق بعض درجات.

وقبل الشروع في ذكر هذه الأدلة القرآنية الدالة على زيادة الإيمان ونقصانه أودّ التنبيه على نقطة هامة، وهي:

أن كل دليل دلّ على زيادة الإيمان فهو يدل على نقصانه، وكذا العكس، فما دل على نقصان الإيمان فهو يدل على زيادته، فالآيات التي أوردها هنا وظاهرها الدلالة على زيادة الإيمان فقط، فهي تدل على نقص الإيمان باللزوم، وذلك لأن الزيادة تستلزم النقص، ولأن ما جاز عليه الزيادة جاز عليه النقص، ولأن الزيادة لا تكون إلا عن نقص.

ولهذا فإنا نجد أهل العلم كثيراً ما يستشهدون بأدلة زيادة الإيمان على نقصانه وكذا العكس للأسباب المتقدمة، وتأمل -مثالاً على ذلك- صنيع البخاري في صحيحه فقد أورد بعض الآيات المصرحة بزيادة الإيمان في باب زيادة الإيمان ونقصانه مستدلاً بها على الزيادة

(١) المصدر: كتاب زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه للدكتور عبد الرزاق البدر (ص: ٣٥)

والنقصان معـًا.

**قال الإمام أحمد-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٢٤١ هـ):**"إن كان قبل زيادته-أي الإيمان-تامـًا فكما يزيد كذا ينقص".(١)

فمن الأدلة:

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانـًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: الآية: ١٧٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانـًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: الآية: ٢].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانـًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانـًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: الآية: ١٢٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلا إِيمَانـًا وَتَسْلِيمـًا﴾ [الأحزاب: ٢٢ ].

وقوله تعالى :﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ [الفتح: الآية: ٤].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانـًا﴾ [المدثر: الآية: ٣١].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ﴾ [محمد: الآية: ١٧].

**ثانيـًا: الأدلة من السنة على زيادة الإيمان ونقصانه:**

حديث **أبي هريـرة-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-(ت: ٥٧ أو ٥٨ هـ)**، أن رسـول الله ﷺ قـال: **(لا يـزني الـزاني**

(١) رواه الخلال في السنة (٢/ ٦٨٨، ح: ١٠٣٠).

**حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن).**(١)

حديث **أبي هريرة-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-(ت: ٥٧ أو ٥٨ هـ)**، قال: قال رسول الله ﷺ: **(الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان).**(٢)

ففي هذا الحديث "بيان أن الإيمان الشرعي اسم لمعنى ذي شعب وأجزاء، له أعلى وأدنى، فالاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق -بكلها، والحقيقة تقتضي جميع شعبها وتستوفي جملة أجزائها، كالصلاة الشرعية لها شعب وأجزاء، والاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها، والحقيقة تقتضي جميع أجزائها وتستوفيها".(٣)

وهذه الشعب متفاوتة ليست على درجة واحدة في الفضل، بل بعضها أفضل من بعض، كما هو ظاهر لفظ الحديث في قوله:"أعلاها"وقوله:"أدناها"، فشعب الإيمان منها ما يزول الإيمان بزوالها إجماعًا كشعبة الشهادتين، ومنها ما لا يزول بزوالها إجماعًا كترك إماطة الأذى عن الطريق، وبينهما شعب متفاوتة تفاوتًا عظيمًا منها ما يقرب من شعبة الشهادتين، ومنها ما يقرب من شعبة إماطة الأذى".(٤)

**وقال ابن سعدي-رحمة الله-(ت: ١٣٧٦ هـ)** -بعد ذكره لحديث أبي هريرة-:"وهذا صريح في أن الإيمان يزيد وينقص بحسب زيادة هذه الشرائع والشعب، واتصاف العبد بها أو عدمه، ومن المعلوم أن الناس يتفاوتون فيها تفاوتًا كثيرًا، فمن زعم أن الإيمان لا يزيد ولا

(١) أخرجه البخاري (٥/ ١١٩، ١٠/ ٣٠، ١٢/ ٥٨، ١٢/ ١٤ فتح)، ومسلم (٢/ ٤١ نووي).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٥١ فتح) ومسلم (٢/ ٦ نووي) وهذا لفظ مسلم.

(٣) معالم السنن للخطابي (٧/ ٤٣، ٤٤).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص: ٣٢٢).

ينقص فقد خالف الحس، مع مخالفته لنصوص الشرع كما ترى".[١]

حديث **أنس بن مالك-رضي الله عنه-(ت: ٩٠ وقيل ٩٣ هـ)،** قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: **(لا إيمان لمن لا أمانة له).**[٢]

فهذا الحديث دليل على أن من لا أمانة له، فقد نقص فيه شيء من واجبات هذا الدين، فيذهب عنه كمال الإيمان الواجب وتمامه، ويكون بذلك مؤمناً ناقص الإيمان.[٣]

يوضح الاستدلال بهذا الحديث ويبينه ما جاء **عن عروة بن الزبير-رحمه الله-(ت: ٩٤ هـ)،** أنه قال:"ما نقصت أمانة عبد قط إلا نقص إيمانه".[٤]، فنقص الأمانة في العبد دليل على نقص الإيمان وضعفه فيه

ولهذا لما سئل الإمام أحمد-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ) مرة عن نقصان الإيمان احتج بهذا، قال الفضل بن زياد سمعت أبا عبد الله وسئل عن نقص الإيمان فقال: حدثنا وكيع عن سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه قال:"ما انتقصت أمانة رجل إلا نقص إيمانه"[٥].

حديث **أبي سعيد الخدري-رضي الله عنه-(ت: ٧٤ هـ)،** أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف**

---

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان (ص: ١٤).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ١٣٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١١/ ١١) وفي الإيمان (ص: ٥)، وابن حبان في صحيحه (١/ ٢٠٨ الإحسان)، والبغوي في شرح السنة (١/ ٧٥)؛ وقال البغوي: "هذا حديث حسن"؛ وصححه الألباني في تحقيقه للإيمان لابن أبي شيبة.

(٣) انظر الفتاوى (١١/ ٦٥٣).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١١/ ١٢)، وفي الإيمان (ص: ٦)، وعبد الله في السنة (١/ ٣٦٨) والخلال في السنة (ق: ١٥٩/ ب) والآجري في الشريعة (ص: ١١٨) والبيهقي في الشعب (١/ ١٩٧)، وابن بطة في الإبانة (برقم:١١٤١).

(٥) رواه الخلال في السنة (برقم: ٧٨٩)، والآجري في الشريعة (ص: ١١٨)، وابن بطة في الإبانة (برقم: ١١٤٨).

**الإيمان).**[١]

فبين النبي -ﷺ- في هذا الحديث مراتب إنكار المنكر، وأنه حسب الاستطاعة فإما أن يغير باليد أو باللسان أو بالقلب، بمعنى يكرهه بقلبه، وهذه المراتب الثلاث للإنكار يقوم بها المكلف على قدر استطاعته، ولا شك أن المرتبة الأخيرة باستطاعة جميع المكلفين، فمن رأى المنكر ولم يكرهه بقلبه وهو يعلم أنه منكر فإن هذا يكون علامة على ضعف إيمانه.

وقد احتج بهذا الحديث على زيادة الإيمان ونقصانه وتفاضل أهله فيه النسائيُ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- (٣٠٣ هـ)، في سننه فبوب له بـ"باب تفاضل أهل الإيمان"[٢].

وابن منده -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- (ت: ٣٩٦ هـ) في كتابه الإيمان فقال: "ذكر خبر يدل على أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالأركان يزيد وينقص"[٣] ثم ذكر حديث أبي سعيد -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ-.

وبوب له النووي في شرحه لمسلم بـ"باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص..."[٤].

**ثانيًا: أقوال السلف الصالح في زيادة الإيمان ونقصانه**[٥]

لقد جاء عن السلف الصالح آثار كثيرة قرروا فيها ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله -ﷺ- من حجج ودلالات على زيادة الإيمان ونقصانه، فبينوا رحمهم الله أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وكثرة العبادة والمداومة عليها، وينقص باللهو والغفلة والمعصية

---

(١) رواه مسلم (٢/ ٢٢ نووي).

(٢) سنن النسائي (٨/ ١١).

(٣) الإيمان لابن منده (٢/ ٣٤١).

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي (٢/ ٢١) وانظر مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (٣/ ٣٤٣).

(٥) المصدر: ت: كتاب زيادة الإيمان ونقصانه (ص: ١٠٦ ـ ١٠٧).

والتقصير في فعل الطاعة، بل لقد حكى إجماعهم واتفاقهم على ذلك غير واحد من أهل العلم.

**عن عمير بن حبيب الخطمي** -رضي الله عنه- قال:"الإيمان يزيد وينقص، فقيل: وما زيادته ونقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله عز وجل وحمدناه وسبحناه فذلك زيادته، وإذا غفلنا وضيعنا ونسينا، فذلك نقصانه".[١]

**قال ابن القيم** -رحمه الله- **(ت: ٧٥١ هـ)**:"وأقدم من روي عنه زيادة الإيمان ونقصانه من الصحابة عمير بن حبيب الخطمي".[٢]

**وعن أبي الدرداء عويمر الأنصاري** -رضي الله عنه- **(ت: ٣٢ هـ)**، أنه قال:"الإيمان يزداد وينقص".[٣]

وروي عنه رضي الله عنه أنه قال:"من فقه العبد أن يعلم أمزداد هو أو منتقص، وإن من فقه العبد أن يعلم نزغات الشيطان أنى تأتيه".[٤]

**وعن علقمة بن قيس النخعي** -رحمه الله- **(ت: ٦٢ هـ)**، أنه كان يقول لأصحابه:"امشوا بنا نزدد إيمانا".[٥]

---

(١) رواه عبدا الله بن أحمد في السنة (١/ ٣٣٠) (٦٨٠)، والآجري في الشريعة (ص: ١٠٨)، والخطابي في الغنية (ص: ٤٥)، وأبو أحمد الحاكم في شعار أصحاب الحديث (ص: ٨).

(٢) تهذيب السنن (٧/ ٥٦).

(٣) رواه ابن ماجه بعد حديث رقم: (٧٢)، والبيهقي في الشعب (١/ ٧٦) (٥٤).وقال الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه: ضعيف.

(٤) رواه ابن بطة في الإبانة (٢/ ٨٤٩) (١١٤٠)، وذكره شيخ الإسلام في كتاب الإيمان (ص: ٢١١).وإسناده ضعيف لإبهام شيخ حريز.

(٥) رواه ابن أبي شيبة (١١/ ٢٥) وفي الإيمان (ص: ٣٤) وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٩٩) والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٧٧) (٥٧).وحسن الألباني إسناده في الإيمان لابن أبي شيبة.

١٢ - وكتب عمر بن عبد العزيز -رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ١٠١ هـ)، إلى عدي بن عدي-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ١٢٠ هـ)، -أحد عماله على الجزيرة-:"أما بعد: فإن للإيمان حدودًا وشرائع وفرائض، من استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان".

علقه البخاري-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٢٥٦ هـ) في كتاب الإيمان من صحيحه [١]، وقال ابن حجر مبينا سبب ذكر البخاري له:"والغرض من هذا الأثر أن عمر بن عبد العزيز كان ممن يقول بأن الإيمان يزيد وينقص، حيث قال: استكمل ولم يستكمل" [٢].

**قال الإمام الأوزاعي-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ١٥٧ هـ):**"الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص". [٣]

**قال الإمام مالك-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ١٧٩ هـ):**"الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية". [٤]

**قال يحيى بن سعيد القطان-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ١٩٨ هـ):**"ما أدركت أحداً من أصحابنا، إلا على سنتنا في الإيمان، ويقولون: الإيمان يزيد وينقص [٥].

**قال الإمام الشافعي (ت: ٢٠٤ هـ):**"الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية". [٦]

---

(١) البخاري معلقا بصيغة الجزم قبل حديث (٨)، ووصله ابن أبي شيبة (١١/ ٤٨)، وفي (الإيمان) (ص: ٤٥) والبيهقي في (شعب الإيمان) (١/ ١٩٧) والبغوي في (شرح السنة) (١/ ٤٠).قال ابن الملقن في شرح البخاري (٢/ ٤٤٠): إسناده صحيح.

(٢) فتح الباري (١/ ٤٧)..

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، (٤/ ٧٥١).

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر، (٩/ ٢٣٨).

(٥) رواه ابن هاني في مسائل الإمام أحمد (٢/ ١٦٢) وذكر نحوه الذهبي في السير (٩/ ١٧٩) في ترجمة يحيى بن سعيد.

(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، (٤/ ٧٤٩).

**وقال الإمام عبد الرزاق الصنعاني-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٢١١ هـ):**"لقيت اثنين وستين شيخًا، ...فذكر عددًا منهم ثم قال: كلهم يقولون:"الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص".[١]

**وقال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٢٢٤ هـ):**"هذه تسمية من كان يقول الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، ...فسمى أكثر من مائة وثلاثين رجلًا من أهل العلم من الصحابة وغيرهم..ثم قال: هؤلاء كلهم يقولون الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، وهو قول أهل السنة، والمعمول به عندنا".[٢]

**قال الإمام أحمد بن حنبل-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٢٤١ هـ):**"الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية".[٣].

**وقال إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٢٤١ هـ):**"أجمع سبعون رجلاً من التابعين وأئمة المسلمين وفقهاء الأمصار على أن السنة التي توفي عليها رسول الله ﷺ.فذكر أموراً منها: الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية".[٤]

**وقال أمير المؤمنين في الحديث أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٢٥٦ هـ):**"لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحدًا يختلف في أن الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص".[٥]

(١) رواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٥/ ٩٥٨ ح: ١٧٣٧).

(٢) رواه ابن بطة في الإبانة (٢/ ٨١٤ برقم: ١١١٧) وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب الإيمان (ص: ٢٩٣-٢٩٥).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، (٤/ ٧٥٠).

(٤) رواه ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد (ص: ٢٢٨) وابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (١/ ١٣٠) بلفظ أجمع تسعون...إلخ.

(٥) ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (١/ ٤٧)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٢/ ٢٥٦) وعزواه للالكائي في السنة، وصححا إسناده، قلت: وهو في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي "المطبوع" (٥/ ٨٨٩
=

**وقال الإمام البخاري-رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ٢٥٦ هـ)** في صحيحه:"الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص".[١]

**وقال عبد الله بن المبارك-رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ١٨١ هـ):**"الإيمان قول وعمل، والإيمان يتفاضل".[٢]

**قال ابن تيمية-رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ٧٢٨ هـ):**"وبعضهم أي: السلف عدل عن لفظ الزيادة والنقصان إلى لفظ التفاضل.فقال أقول: الإيمان يتفاضل ويتفاوت، ويروى هذا عن ابن المبارك، وكان مقصوده الإعراض عن لفظ وقع فيه النزاع إلى معنى لا ريب في ثبوته".[٣]

وعن **محمد بن أبان-رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ٢٤٤ أو ٢٤٥ هـ)**، قال قلت **لعبد الرحمن بن مهدي-رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ١٩٨ هـ)**: الإيمان قول وعمل؟ قال: نعم.قلت: يزيد وينقص؟ قال يتفاضل كلمة أحسن من كلمة".[٤]

**الأقوال المخالفة لقول أهل السنة والجماعة في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه.**

**القول الأول: قول من قال الإيمان يزيد وتوقف في النقصان.**

جاء عن **الإمام مالك-رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ١٧٩ هـ)** في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه روايتان، قال في إحداهما: إن الإيمان يزيد أما النقصان فتوقف فيه وطلب من السائل أن يكف عن السؤال عنه، لأنه لم يجد عليه دليلاً من كتاب الله.

=

رقم: ١٥٩٧) بنحوه، وليس فيه "ويزيد وينقص"، فلعل هذه اللفظة سقطت من المطبوع، أو أن الحافظ والزبيدي اطلعا على نسخة اشتملت على ما حكياه.

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه.

(٢) رواه عبد الله في السنة (١/ ٣١٦) (٦٣١)، واللالكائي في شرح الاعتقاد (٥/ ٩٦١) (١٧٤٦).

(٣) الفتاوى (٧/ ٥٠٦).

(٤) السنة (٣/ ٥٨٠) (١٠٠٥).

أما الرواية الأخرى: فقد جاءت عنه من طرق متعددة صحيحة، قال فيها: إن الإيمان يزيد وينقص، كقول أهل السنة والجماعة سواء[١].

**قال ابن تيمية -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ٧٢٨ هـ):**"وكان بعض الفقهاء من أتباع التابعين لم يوافقوا في إطلاق النقصان عليه. لأنهم وجدوا ذكر الزيادة في القران، ولم يجدوا ذكر النقص، وهذا إحدى الروايتين عن مالك".[٢]

**القول الثاني: قول من قال الإيمان يزيد ولا ينقص.**

وهذا قول طائفة من الأشاعرة، رواية **عن أبي حنيفة -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ١٥٠ هـ)**، والغسانية، النجارية، الإباضية.

أما قول الطائفة من الأشاعرة: فقد أشار إليه البغدادي في "أصول الدين" فقال: "وأما من قال: إنه التصديق [٣] بالقلب فقد منعوا من النقصان فيه، واختلفوا في زيادته فمنهم من منعها ومنهم من أجازها".[٤]

وأما الرواية عن أبي حنيفة -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ١٥٠ هـ): أن الإيمان يزيد ولا ينقص، فقد ذكرها غير واحد ممن كتب في المقالات، من طريق غسان وغيره عن أبي حنيفة -رَحِمَهُ اللَّهُ-.

**قال الأشعري -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ٣٢٤ هـ):**"فأما غسان وأكثر أصحاب أبي حنيفة فإنهم يحكون عن أسلافهم أن الإيمان هو الإقرار والمحبة لله والتعظيم له والهيبة منه وترك الاستخفاف بحقه وأنه يزيد ولا ينقص"[٥].

**وقال الزبيدي -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ١٢٠٥ هـ):**"وحكى غسان وجماعة من أصحاب أبي حنيفة

---

(١) انظر: كتاب زيادة الإيمان ونقصانه (ص: ٢٧٧-٢٩٠) وقد ناقش هذا القول بالتفصيل.

(٢) الفتاوى (٧/ ٥٠٦).

(٣) القول بأن الإيمان هو التصديق هو قول الأشاعرة.

(٤) أصول الدين (ص: ٢٥٢).

(٥) مقالات الإسلاميين (ص: ١٣٩).

أنه يزيد ولا ينقص".[١]

وأما الغسانية: فقد ذكر **البغدادي**-رَحِمَهُ اللَّهُ-**(ت: ٤٢٩ هـ)** عن الغسانية، وهم أتباع غسان المرجئ أن من أقوالهم إن الإيمان يزيد ولا ينقص، ثم قال:"وزعم غسان هذا في كتابه أن قوله في هذا الكتاب كقول أبي حنيفة".[٢]

وأما النجارية: فلهم أصول باطلة جانبوا فيها الحق وفارقوه منها: قولهم إن الإيمان يزيد ولا ينقص، وقد حكى ذلك عنهم غير واحد ممن كتب في مقالات الفرق كالأشعري والإسفرايني والبغدادي وغيرهم.[٣]

وأما الأباضيه: فقد ذكر أبو محمد عبد الله بن حميد السالمي (ت: ١٣٣٢ هـ) من الأباضية في كتابه مشارق أنوار العقول:"الإيمان بالمعنى الشرعي الذي هو أداء الواجبات مطلقاً ليس ينقص نظراً إلى إيمان كل مؤمن، فإنه في ذاته غير متفاوت بالنسبة إلى إيمان غيره".[٤]

**القول الثالث: قول من قال الإيمان لا يزيد ولا ينقص.**

لقد قال بهذا القول طوائف كثيرة من أهل الكلام والإرجاء، والتجهم، وممن نسب له هذا القول:

أبو حنيفة وأصحابه:

لقد اشتهر عن الإمام أبي حنيفة-رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى وغفر له-أنه يقول بأن الإيمان لا يزيد ولا

(١) إتحاف السادة المتقين (٢/ ٢٥٦).

(٢) الفرق بين الفرق (ص: ٢٠٣).وانظر: انظر مقالات الإسلاميين للأشعري (ص: ١٣٩)، والتبصير في الدين للإسفراييني (ص: ٩٨)، والفرق بين الفرق للبغدادي (ص: ٢٠٣).

(٣) انظر مقالات الإسلاميين (ص: ١٣٦) والتبصير في الدين (ص: ١٠١)، والفرق بين الفرق (ص: ٢٠٨) والفتاوى لابن تيمية (٧/ ٥٤٦).

(٤) مشارق الأنوار (ص: ٣٥-٣٦).

ينقص، واستفاض هذا عنه، بحيث لا يدع مجالاً للشك أو التردد في نسبته إليه، ويمكن أن أبرز أهم الأسباب المؤكدة لصحة نسبة هذا القول إليه في النقاط التالية:

١-إن عامة كتب الفرق والمقالات تنسب هذا القول إليه، كالمقالات لأبي الحسن الأشعري، والفَرْق بين الفِرَق للبغدادي، والمِلَلْ والنِحَلْ للشهرستاني، وغيرها.(١)

٢-إن الكتب المؤلفة في العقيدة والمنسوبة إلى أبي حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ تذكر هذا القول، كالفقه الأكبر، وكتاب العالم والمتعلم، والوسيطين الصغير والكبير والوصية ورسالته إلى البتي.(٢)

وهذه الكتب إن لم يصح نسبتها جميعاً إليه، فلا بد أن يصح نسبة بعضها أو واحد منها على أقل تقدير إليه، وعلى كل إن لم يصح لا هذا ولا ذاك فإن هذه الكتب مطبوعة متداولة، وقد احتفى بها الأحناف شرحاً ونشراً ونقلاً، فهي عند عامتهم مسلم بما فيها، وقد شرح بعضها شروح مطولة عديدة، ونقل منها نقولٌ متكاثرة، واعتمد على ما فيها من عقائد.(٣)

وممن قال بهذا القول: الجهمية.

ومن مقولاتهم الفاسدة وآرائهم المنحرفة زعمهم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ولا يتفاضل أهله فيه.

**قال الأشعري-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٣٢٤ هـ):**"وزعمت الجهمية أن الإيمان لا يتبعض ولا يتفاضل أهله فيه".(٤)

**وقال الشهرستاني-رَحِمَهُ اللَّهُ-(٥٤٨ هـ):**"قال أي الجهم: والإيمان لا يتبعض أي لا ينقسم إلى عقد وقول وعمل، قال: ولا يتفاضل أهله فيه، فإيمان الأنبياء وإيمان الأمة على نمط

(١) المقالات (ص: ١٣٩)، الفَرْق بين الفِرَق (ص: ٢٠٣)، ونقله عنه الزبيدي في الإتحاف (٢/ ٢٦٥)، الملل والنحل (١/ ١٤١).

(٢) انظر: فيض الباري للكشميري (١/ ٥٩).

(٣) انظر كتاب زيادة الإيمان ونقصانه (ص: ٣١٨-٣١٩).

(٤) المقالات (ص: ١٣٢).

واحد، إذ المعارف لا تتفاضل ".[١]

وجهم وأتباعه إنما قالوا بهذا القول لأن الإيمان عندهم مجرد التصديق، فمن صدق بقلبه فهو عندهم مؤمن كامل الإيمان وإن تكلم بالكفر، وسب الله ورسوله ﷺ وسخر بالدين، وأحل المحرمات، وفعل غير ذلك من الأمور التي هي كفر بواح.

والتصديق عندهم يتساوى فيه العباد، ولا يقبل الزيادة والنقصان فهو إما أن يعدم وإما أن يوجد، ولا يقبل التبعض، فإذا ذهب بعضه ذهب كله، ولا يتفاضل الناس فيه، فإيمان الملائكة والأنبياء والصديقين وإيمان فساق الأمة وأهل الخنا والفجور سواء".[٢]

وممن قال بهذا القول: الخوارج والمعتزلة:

ذهبت الخوارج والمعتزلة مذهب أهل السنة والجماعة في تعريف الإيمان من حيث إنه شامل للأعمال والأقوال والاعتقادات، إلا أنهم فارقوا أهل السنة والجماعة بقولهم إن الإيمان كل واحد لا يتجزأ إذا ذهب بعضه ذهب كله، وأنه لا يقبل التبعض.

ومن هنا كان الإخلال بالأعمال وارتكاب الكبائر عندهم مخرجاً من الإيمان كلية، على خلاف بينهم في تسميته كافراً، فالخوارج قطعوا بكفره، ونازعهم المعتزلة في الاسم وقالوا نحن لا نسميه مؤمناً ولا كافراً، وإنما هو في منزلة بين المنزلتين أي: بين منزلة الإيمان والكفر، وإن كانوا قد اتفقوا جميعاً أنه يوم القيامة خالد مخلد في نار جهنم.[٣]

**قال ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-(ت: ٧٢٨ هـ):**"قالت الخوارج والمعتزلة قد علمنا يقينًا أن الأعمال من الإيمان فمن تركها فقد ترك بعض الإيمان، وإذا زال بعضه زال جميعه؛ لأن الإيمان لا يتبعض ولا يكون في العبد إيمان ونفاق، فيكون أصحاب الذنوب مخلدين في النار

(١) الملل والنحل (١/ ٨٨).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٥٨٢).

(٣) انظر الفتاوى (٧/ ٢٢٣، ٢٥٧) وشرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية (ص: ١٣٧).

إذ كان ليس معهم من الإيمان شيء".[١]

وأصل غلط هؤلاء ومنشأ ضلالهم كما **قال ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- (ت: ٧٢٨ هـ)**: "أنهم ظنوا أن الشخص الواحد لا يكون مستحقًا للثواب والعقاب والوعد والوعيد والحمد والذم، بل إما لهذا وإما لهذا فأحبطوا جميع حسناته بالكبيرة التي فعلها، وقالوا: "الإيمان هو الطاعة فيزول بزوال بعض الطاعة، ثم تنازعوا هل يخلفه الكفر على القولين ووافقتهم المرجئة والجهمية على أن الإيمان يزول كله بزوال شيء منه، وأنه لا يتبعض ولا يتفاضل فلا يزيد ولا ينقص وقالوا إن إيمان الفساق كإيمان الأنبياء والمؤمنين".[٢]

فهذه الشبهة هي التي أفسدت على هؤلاء قولهم، بل وعلى جميع المرجئة، كما قال شيخ الإسلام: "وإنما أوقع هؤلاء كلهم أي المرجئة بأقسامهم -ما أوقع الخوارج والمعتزلة في ظنهم أن الإيمان لا يتبعض، بل إذا ذهب بعضه ذهب كله، ومذهب أهل السنة والجماعة أنه يتبعض وأنه ينقص ولا يزول جميعه".[٣]

**قال ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- (ت: ٧٢٨ هـ)**: "وجماع شبهتهم في ذلك أن الحقيقة المركبة تزول بزوال بعض أجزائها كالعشرة فإنه إذا زال بعضها لم تبق عشرة، وكذلك الأجسام كالسكنجبين[٤] إذا زال أحد جزئيه خرج عن كونه سكنجبين، قالوا فإذا كان الإيمان مركبًا من أقوال وأعمال ظاهرة وباطنة لزم زواله بزوال بعضها".[٥]

وممن قال بهذا القول: الأشاعرة والماتريدية:

لقد ذهب جمهور الأشاعرة وجميع الماتريدية إلى أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، لشبه

(١) الفتاوى (١٣/ ٤٨).
(٢) شرح العقيدة الأصفهانية (ص: ١٣٧، ١٣٨)، وانظر الفتاوى (٧/ ٤٠٤).
(٣) شرح العقيدة الأصفهانية (ص: ١٤٣، ١٤٤).
(٤) السكنجبين: شراب مركب من حامض وحلوا-معرب-فارسيته: سركا انكبين انظر المعجم الوسيط (١/ ٤٤٠).
(٥) مجموع الفتاوى (٧/ ٥١١).

عقلية وأدلة نظرية، وذهب بعض الأشاعرة إلى أن الإيمان يزيد وينقص".[(١)]

**قال الزبيدي-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-(ت: ١٢٠٥ هـ):**"وقال أبو حنيفة وأصحابه لا يزيد الإيمان ولا ينقص واختاره أبو منصور الماتريدي ومن الأشاعرة إمام الحرمين وجمع كثير".[(٢)]

**وقال ابن أبي شريف الحنفي-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-(ت: ٩٠٦ هـ):**"وهذا القول-أي أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص-اختاره من الأشاعرة أمام الحرمين وجمع كثير، وذهب عامتهم أي أكثر الأشاعرة إلى زيادته ونقصانه".[(٣)]

**وقال الفرهاري-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-(ت: ١٢٣٩ هـ):**"مذهب الإمام أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ والمتكلمين من أهل السنة أنه لا يزيد ولا ينقص"[(٤)].

فالماتريدية لهم قول واحد في المسألة وهو أن الإيمان غير قابل للزيادة والنقصان، وأما الأشاعرة فلهم في المسألة قولان: فجمهورهم على أنه لا يقبل الزيادة والنقصان، وذهب بعضهم إلى أنه يقبلهما، والأشاعرة يعرفون الإيمان بأنه التصديق وحده، فلا يدخل فيه القول والعمل، فبحثهم هنا هو في التصديق هل يقبل الزيادة والنقصان أو لا؟

فالذين قالوا لا يزيد ولا ينقص فبناء على أن الإيمان هو التصديق اليقيني الغير قابل للتفاوت، فإن نقص فنقصه شك وكفر، ولشبه أخرى.

---

(١) انظر شرح مسلم للنووي (١/ ١٤٨)، وفتح الباري لابن حجر (١/ ٤٦)، وعمدة القاري للعيني (١/ ١٣٦) وتحفة القاري "للكاندهلوي" (ص: ٤٤) مجموع "شروح البخاري" (١/ ١١٢)، النبراس شرح العقائد (ص: ٤٠٢)، المسامرة شرح المسايرة (ص: ٣٦٧)، أصول الدين للبغدادي (ص: ٢٥٢)، وأصول الدين للبزدوي (ص: ١٥٣)، والاقتصاد للغزالي (ص: ٢٠٨)، والمواقف للإيجي (ص: ٣٨٨)، والإنصاف للباقلاني (ص: ٨٦)، والإرشاد للجويني (ص: ٣٣٥) وغيرها.

(٢) إتحاف السادة المتقين (٢/ ٢٥٦).

(٣) المسامرة (ص: ٣٦٧).

(٤) النبراس شرح العقائد (ص: ٤٠٢).

ومن قال منهم يزيد وينقص فللقطع بأن تصديق آحاد الأمة ليس كتصديق النبي ﷺ، واختاره النووي وعزاه التفتازاني في شرح العقائد لبعض المحققين وقال في المواقف إنه الحق[١]

**ثمرة الخلاف في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه.**

فمسائل الأسماء لها تناول معين لدى الفرق، ومسائل الأحكام لها تناول معين لدى الفرق، وهذه مسائل يطول شرحها لكن لعل ما أشرنا إليه يُبين ما مدى صفاء عقيدة أهل السنة وأن والإيمان عندهم قولٌ واعتقادٌ وعمل يزيد وينقص، زيادته بالطاعات ونقصانه بالمعاصي.

وزيادة الإيمان ونقصانه أمر يراه الإنسان من نفسه، فقد يكون حاله اليوم من الإيمان أحسن من حاله في الأمس، أو قد يكون حاله في الأمس أحسن من حاله في هذا اليوم، فالإيمان فيه زيادة ونقص، فيزيد إلى ما شاء الله، وينقص أحياناً حتى يزول هذا الإيمان ولا يبقى منه شيء، ويُصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافرا.

والقول إن الإيمان يزيد وينقص في اعتقاد أهل السنة والجماعة، يترتب عليه أمور كثيرة في مسائل الأحكام، فهذه المسألة مرتبطة بمسألتين:

الأولى: حكم مرتكب الكبيرة.

فالقول بزيادة الإيمان ونقصانه له تعلق بمسألة حكم مرتكب الكبيرة، فأهل السنة لا يرون تكفير مرتكب الكبيرة دون الشرك الأكبر، ويقولون إن صاحب الكبيرة مؤمن بإيمانه فاسق بمعصيته فلا يسلبون عنه اسم الإيمان بالكلية.

والمسألة الثانية: مسألة مراتب الدين.

---

(١) انظر شرح مسلم للنووي (١/ ١٤٢) وشرح العقائد النسفية للتفتازاني (ص: ١٢٦) والمواقف للأيجي (ص: ٣٨٨) وانظر إرشاد الساري للقسطلاني (١/ ١١٢) ضمن مجموع شروح البخاري.

أي ما يتعلق بدخول الإنسان إلى هذا الدين متى ينتقل في مراتب الدين؛ لأن مراتب الدين ثلاثة: الإسلام، الإيمان، الإحسان، فهي عبارة عن ثلاث دوائر أول دائرة فيه هي الإسلام، ثم هناك دائرة أضيق منها هي الإيمان، ويعني هذا الضيق أن من هو مؤمن هو مسلم، ولكن ليس بالضرورة من كان مسلماً أن يكون مؤمنا، ثم تأتي الدائرة الأضيق هي دائرة الإحسان؛ لأن الإحسان فحواه ومعناه أن تُتقن الظاهر والباطن.

فعندما أقول أحسنت بمعنى أتقنت فالإحسان إتقان الظاهر والباطن، فإذا أُتقن الظاهر والباطن فهذه مرتبة عليا، فكل مسلم مؤمن مسلم، ولكن ليس كل مؤمن محسن، قد يكون محسن وقد لا يكون محسنا، فهذه عقيدة أهل السنة والجماعة في هذه المسألة.

كما أنه مرتبط بتفاضل الناس في إيمانهم وتفاضل درجاتهم في الآخرة إلى غير ذلك من المسائل ذات الصلة.

**[٤]- قال المصنف-رَحِمَهُ اللَّهُ-:"ولا يجوزُ القولُ إلَّا بالعملِ، ولا يجوزُ القول والعمل إلَّا بالنِّيِّةِ، ولا يجوزُ القولُ والعملُ والنِّيةُ إلَّا بموافَقَةِ [السُّنَّةِ].**

**الشرح**

## دخول العمل في مسمى الإيمان

تنوعت عبارات السلف في تعريف الإيمان:

١-فتارة يقولون: الإيمان قول وعمل.

٢-وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية.

٣-وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية واتباع سنة.(١)

٤- وتارة يقولون:"قول وعمل ومعرفة".كما ذكر المصنف هنا.

٥- وتارة يقولون: الإيمان: قول اللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية(٢).

**قال ابن تيمية-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٧٢٨ هـ)** -بعد أن أورد التعريفات الثلاثة الأول-:"وكل هذا صحيح"(٣) وعلل ذلك بقوله(٤):

"فمن قال إن الإيمان قول وعمل فمرداه قول اللسان والقلب وعمل القلب والجوارح".

وقول اللسان وعمل الجوارح معروفان.

وأما المقصود من قول القلب: فهو إقراره ومعرفته وتصديقه.

(١) هذه التعريفات الثلاثة أوردها شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الإيمان.انظر (ص: ١٦٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٤٢).

(٣) كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص: ١٦٢).

(٤) كلام شيخ الإسلام نقلته بتصرف من كتابه الإيمان (ص: ١٦٢-١٦٣).

وأما عمله: فهو انقياده لما صدق به.

ومن عبر عن الإيمان بهذا التعريف ليس مراده كل قول أو عمل وإنما المراد ما كان مشروعا من الأقوال والأعمال.

كما أن تعبير بعض السلف بهذه العبارة في تعريف الإيمان إنما جاء في معرض الرد على المرجئة.[(١)] الذين جعلوه قولا فقط، فقال بعض السلف ردا عليهم: بل قول وعمل.[(٢)]

وأما من عرفه بقوله هو قول وعمل ونية، فمقصوده بزيادة لفظ "ونية": أن القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان.

وأما العمل فقد لا يفهم منه النية فزاد ذلك.[(٣)]

وأما من عرفه بأنه قول وعمل ونية واتباع سنة، فقد زاد لفظة "واتباع سنة" لأن ذلك كله لا يكون محبوبا لله إلا باتباع السنة.[(٤)]

**قال ابن تيمية -رحمه الله- (ت: ٧٢٨ هـ):** "وقد سئل **سهل بن عبد الله التستري -رحمه الله- (ت: ٢٨٣ هـ)** عن الإيمان ما هو؟، فقال: قول وعمل ونية واتباع سنة.

---

(١) المرجئة هم الذين أرجأوا العمل عن مسمى الإيمان وهم خمس طوائف سيأتي ذكرهم.

(٢) قال ابن تيمية -رحمه الله- (ت: ٧٢٨ ه): "الناس لهم في مسمى الكلام والقول عند الإطلاق أربعة أقوال:

١ - فالذي عليه السلف والفقهاء والجمهور أنه يتناول اللفظ والمعنى جميعا.

٢-وقيل: بل مسماه اللفظ، والمعنى ليس جزء مسماه، بل هو مدلول مسماه، وهذا قول كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم وطائفة من المنتسبين الى السنة، وهو قول النحاة لأن صناعتهم متعلقة بالألفاظ.

٣-وقيل: مسماه هو المعنى وإطلاق الكلام على اللفظ مجاز لأنه دال عليه وهذا قول ابن كلاب ومن اتبعه.

٤-وقيل: بل هو مشترك بين اللفظ والمعنى وهو قول بعض المتأخرين من الكلابية ولهم قول ثالث يروى عن أبي الحسن أنه مجاز في كلام الله حقيقة في كلام الآدميين". كتاب الإيمان (ص: ١٦٢).

(٣) كتاب الإيمان (ص: ١٦٣).

(٤) كتاب الإيمان (ص: ١٦٣).

لأن الإيمان إذا كان قولا بلا عمل فهو كفر.

وإذا كان قولا وعملا بلا نية فهو نفاق.

وإذا كان قولا وعملا ونية بلا سنة فهو بدعة".[١]

وأجمع التعاريف الواردة وأشملها هو: أن الإيمان قول اللسان واعتقاد بالجنان وعمل الجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

وهذا التعريف هو الذي يميز قول السلف في مسمى الإيمان عن قول غيرهم من الفرق.[٢]

ولهذا كان هذا التعريف هو أجمع التعاريف الواردة عن السلف وأكثرها دقة في بيان قولهم.

---

(١) كتاب الإيمان (ص: ١٦٣).

(٢) الذين خالفوا السلف في مسمى الإيمان هم:

أ-المرجئة بطوائفهم الخمس:

١-الجهمية: وقالوا الإيمان هو معرفة القلب فقط: أي المعرفة الفطرية التي هي المعرفة بربوبية الله.

٢-الأشاعرة: وقالوا الإيمان هو التصديق فقط أي التصديق بما جاء به النبي ﷺ من عند الله.

٣-الماتريدية: وقولهم في الإيمان مثل قول الأشاعرة.

٤-الكرامية: قالوا الإيمان قول باللسان فقط.

٥-مرجئة الأحناف (أو مرجئة الفقهاء) قالوا: الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان.وهو قول الكلابية.وكل هذه الطوائف الخمسة أخرجت العمل عن الإيمان.

ب-الخوارج: قالوا الإيمان قول واعتقاد وعمل، ولكنهم يكفرون من أخل بشيء من هذه الثلاثة ويقولون بأنه كافر في الدنيا وفي الآخرة خالد في النار.

ج-المعتزلة: وقالوا بقول الخوارج إلا أنهم يقولون إنه في الدنيا في منزلة بين منزلتين بمعنى أنه ليس بمؤمن ولا كافر، واتفقوا معهم في باقي الأمور.

انظر تفاصيل هذه الأقوال: في كتاب الإيمان لابن تيمية، والجزء السابع من مجموع الفتاوى، وشرح العقيدة الطحاوية (ص: ٣٧٣-٣٩٢) وكتاب النبوات (ص: ١٩٩).

فإن الناظر إلى هذا الإنسان باعتبار ما يجب عليه تجاه ما أخبر الله به وما أمر الله تعالى به؛ فنصوص الشرع لا تخرج عن أمرين: إما أخبارٌ وإما أوامر، فالأخبار حقها التصديق بأن تُصدق بها، والأوامر حقها أن تعمل بها، كما جاء في الحديث "إذا أمرتكم بأمرٍ فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن نهيٍ فانتهوا".(١)

فأنت مأمور بأن تتبع، وأن تعمل بهذه الأوامر بحسب ما يأتي من حكمٍ عليها، فهذه الأمور أي الوحي تأتي لهذا الإنسان، وأول ما تأتي إليه في باطنه؛ لأنه لابد وأن يعلم أن الصلاة مثلاً ركنٌ من أركان الإسلام، ثم إذا جئت إلى الصلاة تجد أن منها فرائض ومنها نوافل، ثم أن هذه النوافل منها سنن رواتب ومنها غير ذلك، فهذا أول ما يقابله بالعلم.

فإذاً هذا الإيمان سيخاطب هذا الباطن في الإنسان، وأول ما يخاطب أن يصدق بما أخبر الله به.

والثاني: أن ينقاد لأمر الله، فلابد أن يحصل الانقياد والتسليم لأوامر الله، فليس لك حق الاعتراض أن تقول: لا بدل خمس صلوات نجعلها ثلاثة أو نجعلها ستة، فهي خمس صلوات في اليوم الليلة لابد من أدائها في أوقاتها، فأصبح عليه أن يصدق وعليه أن ينقاد.

ومعلوم أن هنا ثلاثة أحوال:

القلب، والقلب يشمل أمرين:

يشمل جانب العلم، ويشمل جانب الإرادة هذا القلب.

والجانب الثاني: جانب اللسان.

والجانب الثالث: جانب الجوارح.

فهناك قول القلب، وعمل القلب، وقول اللسان، وعمل اللسان، وهناك عمل الجوارح فهذه خمسة، فإذا جئت إلى قول القلب فهذا هو العلم الذي هو التصديق فعليه أن يعلم هذه

(١) رواه البخاري (٤/ ٤٢٢) ومسلم (٧/ ٩١) وأحمد (٢/ ٢٥٨).

الأشياء ويصدق بها، هذا الواجب الأول على القلب، والقلب هو الباطن، والباطن مجموع الأمرين وهذه هي العقيدة.

لذلك قال المصنف:"الإيمان قولٌ وعمل"، فالقول هنا هو العلم والتصديق، تعلم وتصدق، هذا واجبٌ على الإنسان لكي يكون مؤمنًا، وهذا وحده لا يكفي فلو قال قائل: أنا أعلم أن الصلوات خمس وهي كذا وكذا وهيئتها كذا لكن لن أصلي، فهو بهذا لا يكون مؤمنًا إذ لابد من الجانب الثاني.

والجانب الثاني: هو انقياد القلب، فهذه الإرادة لابد أن تنقاد لهذه الأخبار وهذه الأوامر، ولذلك يأتي عمل القلب، والقلب أعماله كثيرة، منها مثلاً الإخلاص، والمحبة، والخوف، والرجاء، والتوكل، والإنابة، والخشية، والتقوى، ولذلك النبي ﷺ لما ذكر التقوى قال: **(التقوى هاهنا التقوى هاهنا وأشار بيده على صدره)**.[1]، فهذه أعمال القلوب، وهي التي تنطلق إلى سائر الجوارح

وأما قول اللسان وعمل اللسان، فقول اللسان جعله العلماء النطق بالشهادتين لأن هذا هو الفيصل بين الإسلام والكفر، **(أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله)**.[2]. فأول ما يدخل الإنسان في الإسلام يُطالب بعد تطهره يطالب بالنطق بالشهادتين، فهذا يسميه العلماء: قول اللسان، فجعلوه في النطق بالشهادتين.

وأما عمل اللسان: فمنه قراءة القرآن وتلاوته، وذكر الله عز وجل، والتسبيح، والتهليل هذا كله عمل اللسان.

وأما أعمال الجوارح، فمنها الركوع والسجود والصوم والجهاد وغض البصر وغيرها فهذه أعمال الجوارح، وهذا بكله هو الذي يُسمى إيمانًا عند أهل السنة.

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٥)، وأحمد (٧٦٧٠).

(٢) رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٥).

# المفاضلة بين الصحابة

**وفيه مسائلتان:**

المسألة الأولى: المفاضلة بين العباد أمر بيد اللّٰه

المسألة الثانية: المفاضلة بين الصحابة

**[٥]- قال المصنف-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:"قال شعيبٌ: فقلتُ له: يا أبا عبد الله، وما موافقة السُّنَّةِ؟ قال: تقدِّم الشَّيخين: أبا بكرٍ وعُمرَ-رضي الله عنهما-.**

**"يا شعيبُ: لا ينفعُك ما كتبتُ حتى تُقدِّمَ عثمانَ وعليًّا على مَن بعدهما".**

**الشرح**

## المسألة الأولى: المفاضلة بين العباد أمرٌ بيد الله-عز وجل-.

المفاضلة بين العباد أمرٌ بيد الله-عز وجل-وما كان بيد الله-عز وجل-فهو ملكه، والله سبحانه وتعالى قال: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: الآية: ٦٨]، فالله اختار أن يفضل فلان على فلان من الناس وهذه المفاضلة قد تكون في المال، وقد تكون في العلم، وقد تكون في النسب، وقد تكون في أمورٍ متعددة فهذا فضل الله سبحانه وتعالى، وفضل الله يؤتيه من يشاء سبحانه وتعالى.

والله سبحانه وتعالى قال: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: الآية: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾ [النحل: الآية: ٧١].

وكتب عمر-رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ-رسالة إلى أبي موسى الأشعري، يقول له فيها: واقنع برزقك من الدنيا، فإن الرحمن فضَّل بعض عباده على بعض في الرزق، بلاء يبتلي به كلًا، فيبتلي من بسط له، كيف شكره لله وأداؤه الحق الذي افترض عليه فيما رزقه وخوله، رواه ابن أبي حاتم.(١)

(١) الدر المنثور: (٥/ ١٠٦) وعزاه لابن أبي حاتم.

فقد يُفاضل الله -سبحانه وتعالى- بين الذكر والأنثى، قد يفاضل الله -سبحانه وتعالى- بين الإخوة، وقد يفاضل الله -سبحانه وتعالى- بين بني الجنس الواحد، كل ذلك تحت قدرته، وتحت إرادته -سبحانه وتعالى- حتى في الأولاد، ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: الآيتان: ٤٩-٥٠]، فقد يكون الإنسان عقيمًا، وقد يكون ذا أولاد من الذكور أو الإناث أو من الذكور والإناث.

فالإنسان في هذا الكون يسير على قدر الله -سبحانه وتعالى-، والله -سبحانه وتعالى- هو المتصرف والمدبر لأمر هذا الكون كله، وكله ابتلاء، فالنعمة ابتلاء وضدها ابتلاء، ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: الآية: ٢]، كل أمرٍ نحن فيه هو ابتلاء.

ليرى الله عز وجل منك ما أنت صانع وما أنت فاعل، فإذاً هذه المفاضلة موجودة، ولا شك أن أهل الإيمان أفضل من الكفار، وأكبر نعمة منها الله عز وجل على الإنسان أن هداه لهذا الدين، والله سبحانه وتعالى سماه نعمة، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: الآية: ٣]، فسماها نعمة ولا شك أنها أعظم النعم على العبد أن هداه الله -عز وجل- لنعمة الإسلام.

## المسألة الثانية: المفاضلة بين الصحابة.

والصحابة هم في الفضل متفاوتون؛ فمن أنفق قبل الفتح (صُلح الحديبية) لا يستوي مع مَن أنفق بعده، وكذلك المهاجرون مُقَدَّمون على الأنصار، ويأتون في الفضل على مراتب؛ فأهل بدر، ثم أهل بيعة الرِّضوان، ثم من جاء بعدُ.

وقد جاء في فضل أهل بدر؛ قوله -ﷺ-: **(لعلَّ الله اطَّلع إلى أهل بدر، فقال: اعملوا ما**

**شِئتم، فقد وَجَبت لكم الجنة-أو-فقد غفرتُ لكم).**[١]، وقال الله-جل وعلا-عن أهل بيعة الرضوان: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: الآية: ١٨]، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة.

**أولاً: هذه المسائل المتعلقة بالمفاضلة بين أصحاب النبي ﷺ يذكرها العلماء دائماً توطئة لمسائل الخلافة والإمامة.**

فمسألة تفضيل أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم على باقي الصحابة، ويدخل فيها مسألة تفضيل عثمان على علي.

وأهل السنة يعتقدون بأن خير هذه الأمة بعد النبي-ﷺ-أبو بكر وعمر وعثمان، ثم علي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح، ثم بعد ذلك يأتي بقية العشرة، ثم يأتي بعد هذا أهل بدر، ثم يأتي بعد ذلك أهل بيعة شجرة الرضوان، ثم بعد ذلك يأتي أهل الفتح فتح مكة ثم بعد ذلك يتوالى الفضل بحسب أقدمية ذلك الذي أسلم من الصحابة.

**قال ابن تيمية-رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ٧٢٨ هـ):**"ويقرُّون بما تَوَاتَرَ به النَّقْلُ عن أميرِ المؤمنينَ عليِّ بْنِ أبي طالبٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-وغيرِه، مِن أَنَّ خَيْرَ هذه الأُمَّةِ بعد نَبِيِّهَا: أبو بكرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ويثَلِّثُونَ بِعُثْمَان، ويُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ-رضي الله عنهم أجمعين-، كما دلَّت عليه الآثارُ".[٢]

وقد أجمع الصحابة على تقديم عثمان في البيعة، وإن كان بعض السلف قد اختلفوا في التفضيل بين عثمان وعلي-فإنهم لم يختلفوا في الترتيب في البيعة للخلافة، وكل مَن خالف الترتيب في الخلافة فإنه من أهل البدع.

وترتيب أهل السنة:"أبو بكرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ويثَلِّثُونَ بِعُثْمَان، ويُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ-رضي الله عنهم

(١) أخرجه البخاري (٣٩٨٣) ومسلم (٢٤٩٤) من حديث علي بن أبي طالب-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

(٢) مجموع الفتاوى (٢/ ٩١).

أجمعين-".

وإن كان ثَمَّ خلاف في التفضيل بين عثمان وعليٍّ، ولكنه لا يترتب عليه أي أثر في الانتساب لأهل السنة؛"فقدَّم قومٌ عثمانَ، وسكتوا، وربَّعوا بعليٍّ، وقدَّم قومٌ عليًّا، وقومٌ توقَّفوا، لكن استقرَّ أمرُ أهلُ السُّنَّة على تقديم عُثْمَان ثم عليٍّ".

كانتْ هذه المَسْأَلَةُ (مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وعليٍّ) ليستْ من الأصولِ التي يُضَلَّلُ المخالفُ فيها عند جمهورِ أَهْلِ السُّنَّة، لكن التي يُضَلَّلُ فيها مسألةُ الخلافةِ؛ وذلك لأنهم يؤمنون أنَّ الخليفةَ بَعْدَ رسولِ الله-ﷺ-أبو بكرٍ، ثم عمرُ، ثم عثمانُ، ثم عليٌّ، ومَن طَعَنَ في خلافة أحدٍ مِن هؤلاء فهو أضلُّ مِن حِمَارِ أَهْلِهِ».

فلهم مِن الفضل ومِن المكانة ما هو مُجمع عليه بين أهل السُّنَّة.

**ثانيًا: ذكر تفاضل الأربعة رضوان الله عليهم.**(١)

أجمع الصحابة-رضوان الله عليهم-على تفضيل أبي بكر وتقديمه على سائر الصحابة ثم تفضيل عمر بعده على عثمان ثم عثمان بعد عمر على من بعده-رضوان الله عليهم-، وكانوا يتحدثون بذلك في زمن النبي-ﷺ-وهو يسمعهم فلا ينكره، ثم أجمعوا على تقديم علي بعد عثمان فقدموه وبايعوه بالخلافة.

فالصحابة مجمعون على تفضيل أبي بكر على عمر ثم عمر على عثمان ثم عثمان على علي-رضي الله عنهم أجمعين-، وتفضيل أبي بكر على عمر بلا خلاف.

ولقد اتفق-الناس-الصحابة وغيرهم-بعد مقتل عمر-رضي الله عنه-على تفضيل عثمان، حكى هذا الاتفاق صاحب رسول الله-صلى عليه وسلم-، عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود-رضي الله عنهما-، أما عبد الرحمن فقد قال في قصة بيعة عثمان-رضي الله عنه-لما اختاره

---

(١) المصدر: مباحث المفاضلة في العقيدة: (ص: ٢٥٢-٢٦٤).

للخلافة بعد عمر:"أما بعد، يا علي إني قد نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان".[١] وكان قد قال-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-قبل ذلك للشيخين عثمان وعلي-رضي الله عنهما-حين التشاور:"أفتجعلونه-( يعني أمر الاختيار)-إلي والله على أن لا آلو عن أفضلكم".[٢] وقال عبد الله بن مسعود-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-لما استخلف عثمان:" أمرنا خير من بقي ولم نأل".[٣] وقال-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-:"إنا اجتمعنا أصحاب محمد فلم نأل عن خيرنا ذي فوق فبايعنا أمير المؤمنين عثمان".[٤]

وقال الإمام أحمد:"لم يكن بين أصحاب رسول الله اختلاف إن عثمان أفضل من علي".[٥]

ومضى اعتقاد أهل السنة والجماعة على ذلك إلا ما كان من خلاف يسير في المفاضلة بين عثمان وعلي أيهما أفضل؟ بعد أن أجمعوا على تقديم أبي بكر وعمر عليهما في الفضل بلا خلاف.

وتفضيل أبي بكر على عمر بلا خلاف.

---

(١) أخرجه البخاري انظره مع الفتح (١٣/ ١٩٤)، وقد كان عبد الرحمن-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-قد اجتهد غاية الاجتهاد قال ابن كثير في الباعث الحثيث (ص: ١٥٥): "حتى سأل النساء في خدورهن والصبيان في المكاتب فلم يرهم يعدلون بعثمان أحدًا".

(٢) أخرجه البخاري انظره مع الفتح (٧/ ٦١).

(٣) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١/ ٤٦١)، قال المحقق: "إسناده صحيح"، وابن سعد في الطبقات (٣/ ٦٣)، والفسوي في المعرفة والتاريخ (٢/ ٧٦٠)، والخلال في السنة (ص: ٣٨)، وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٨٨): "رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدها رجال الصحيح"، وأخرجه اللالكائي في الشرح (٧/ ١٣٤٢).

(٤) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١/ ٢٩٦، ٤٦٣)، قال المحقق في (ص: ٢٩٦): "رجال الإسناد ثقات، وقال في (ص: ٤٦٧): "إسناده حسن"، وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٦٣)، والفسوي في المعرفة والتاريخ (٢/ ٧٦١)، وأخرجه اللالكائي في الشرح.(٧/ ١٣٤٢).

(٥) السنة للخلال (ص: ٣٩٢).

**قال الشافعي-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٢٠٤ هـ):**"ما اختلف أحد من الصحابة والتابعين في تفضيل أبي بكر وعمر وتقديمهما على جميع الصحابة وإنما اختلف من اختلف منهم في علي وعثمان". قال البيهقي-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٤٥٨ هـ)، -بعد ذكره قول الشافعي هذا بسنده-:"وروينا عن جماعة من التابعين وأتباعهم نحو هذا".[١]

**وقال يحيى بن سعيد القطان-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ١٩٨ هـ):**"من أدركت من أصحاب النبي والتابعين لم يختلفوا في أبي بكر وعمر وفضلهما إنما كان الاختلاف في علي وعثمان[٢] والخلاف الذي وقع في ذلك خلاف يسير، وما وقع إلا في المفاضلة بينهما، وتقديم أحدهما على الآخر في الفضل دون الخلافة، فإنهم مجمعون بلا خلاف على تقديم عثمان على علي في الخلافة، وعلى صحة الخلافتين، ثم إن ذاك الخلاف قد انقضى واستقر أمر أهل السنة على تفضيل عثمان على علي ورجع بعض من قال بتقديم علي إلى تقديم عثمان.

**قال ابن تيمية-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٧٢٨ هـ):**"مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي-رضي الله عنهما-بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر، أيهما أفضل، فقدم قوم عثمان وسكتوا وربعوا بعلي، وقدم قوم عليا، وقوم توقفوا، قال:"لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان على علي، وإن كانت هذه المسألة-مسألة عثمان وعلي-ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة، لكن التي يضلل فيها هي مسألة الخلافة، وذلك أنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله".[٣]

**قال ابن حجر-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٨٥٢ هـ):**"الإجماع انعقد بأخره بين أهل السنة أن ترتيبهم في

---

(١) الاعتقاد (ص: ٣٦٩).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٧/ ١٣٦٧).

(٣) العقيدة الواسطية-ضمن المجموعة العلمية السعودية-(ص: ٨٦).

الفضل كترتيبهم في الخلافة".(١)

**وروى ابن عبد البر-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٤٦٣ هـ)** بسنده أن مالكًا سُئل: من تقدم بعد رسول الله؟ قال أقدم أبا بكر وعمر ولم يزد على هذا.وروى أيضا قول مالك:"ليس من أمر الناس الذين مضوا عليه أن يفاضلوا بين الناس".(٢)

**ولقد روى الخلال-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٣١١ هـ) بسنده عن أيوب السختياني-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ١٣١ هـ)** أنه قال:"دخلت المدينة والناس متوافرون القاسم بن محمد وسليمان وغيرهما فما رأيت أحدًا يختلف في تقديم أبي بكر وعمر وعثمان".(٣)

هذا، وقد ذكر **ابن حزم-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٤٥٦ هـ)**(٤) عن بعض السلف من الصحابة وغيرهم سمى بعضهم، أن منهم من قال: أفضل الناس بعد النبي-ﷺ-جعفر بن أبي طالب ومنهم من قال وبعد جعفر حمزة، وأن منهم من قال إن أفضل الناس بعد النبي-ﷺ-عبد الله بن مسعود، وغير ذلك مما ذكره ابن حزم عن بعض السلف من غير أن يذكر إسنادًا؛ لما رواه عنهم.

**قال ابن تيمية-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٧٢٨ هـ)**:"وأما ما يحكي عن بعض المتقدمين من تقديم جعفر وتقديم طلحة أو نحو ذلك فذلك في أمور مخصوصة لا تقديمًا عامًا وكذلك ما ينقل عن بعضهم في علي".(٥)

ويشهد لما قاله ابن تيمية من كلام **ابن حزم-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٤٥٦ هـ)** نفسه فقد حمل ما ورد عن أم سلمة-رضي الله عنها-في ذكرها زوجها قبل النبي-ﷺ-على أنه مذهبها في التفضيل،

---

(١) فتح الباري (٧/ ٣٤).

(٢) الانتقاء (ص: ٣٠، ٣٩).

(٣) السنة (ص: ٤٠٣).

(٤) انظر الفصل (٤/ ١١١).

(٥) منهاج السنة (٢٢/ ٧٤).

قال:"وروينا عن أم سلمة أم المؤمنين-رضي الله عنها-(ت: مابين ٥٧ إلى ٦٤ هـ)، أنها تذكرت الفضل ومن هو خير فقالت: ومن هو خير من أبي سلمة أول بيت هاجر إلى رسول الله-ﷺ-[١]، والمروي عن أم سلمة في ذلك ما جاء في سياق قصة زواجها بالنبي-ﷺ-من قولها:"فلما توفي أبو سلمة استرجعت وقلت اللهم أجرني في مصيبتي واخلفني خيرا منه"، قال:"ثم رجعت إلى نفسي قلت: من أين لي خير من أبي سلمة، فلما انقضت عدتي استأذن علي رسول الله-ﷺ-، فذكرت قصة خطبة النبي لها ثم زواجها منه-ﷺ-حتى قولها:"فقد أبدلني الله بأبي سلمة خيرًا منه رسول الله-ﷺ-[٢] وحمل ما ورد في هذه الرواية عن أم سلمة أنه مذهبها وقولها في أفضل الناس بعد رسول الله-كما حمله ابن حزم-عجيب غاية العجب، ولقد وردت أحاديث في تفضيل أعيان من الصحابة كل واحد في أمر مخصوص كما في حديث: (أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأفرضهم زيد بن ثابت وأقرؤهم أبي ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح).[٣] ونحو ذلك من الأحاديث ومن قال من السلف مثلا أفرض الصحابة زيد فليس هذا قول منه بأنه أفضل الصحابة بعد النبي وإن توهم الواهم ذلك.

**وقد روى الذهبي-رحمه الله-(ت: ٧٤٨ هـ)** بسنده **عن أبي هريرة-رضي الله عنه-(ت: ٥٧ هـ)**، أنه قال:"وما احتذى النعال ولا ركب المطايا ولا ركب الكور رجل أفضل من جعفر".ثم **قال الذهبي-رحمه الله-(ت: ٧٤٨ هـ)**:"هذا ثابت عن أبي هريرة، ولا ينبغي أن يزعم زاعم أن

(١) الفصل (٤/ ١١١).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٢٧، ٢٨)، (٦/ ٣١٣، ٣١٧، ٣٢١)، والحاكم (٤/ ١٦)، وصححه ووافقه الذهبي، وانظر الفتح الرباني (٢١/ ٦٧، ٦٨)، وأصله في صحيح مسلم (٢/ ٦٣٣).

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٦٢٣)، وابن ماجه (١/ ٢٥٥)، وأحمد في المسند (٣/ ١٨٤، ٢٨١).

مذهبه: أن جعفرًا أفضل من أبي بكر وعمر، فإن هذا الإطلاق ليس هو على عمومه، بل يخرج منه الأنبياء والمرسلون، فالظاهر أن أبا هريرة لم يقصد أن يدخل أبي بكر ولا عمر- رضي الله عنهم-".[١]

ومن قبيل ما ذكره **ابن تيمية**-رَحِمَهُ اللهُ-**(ت: ٧٢٨ هـ) ما حكاه الخطابي**-رَحِمَهُ اللهُ-**(ت: ٣٨٨ هـ)** عن بعض المتأخرين إذ قال:"وللمتأخرين في هذا مذاهب، منهم من قال بتقديم أبي بكر من جهة الصحابة وبتقديم علي من جهة القرابة".

قال: وكان بعض مشايخنا يقول: أبو بكر خير وعلي أفضل قال: وباب الخيرية غير باب الفضيلة، قال: وهذا كما تقول: إن الحر الهاشمي أفضل من العبد الرومي والحبشي، وقد يكون العبد الحبشي خيرًا من هاشمي في معنى الطاعة لله والمنفعة للناس، فباب الخيرية متعد وباب الفضيلة لازم[٢] وهذا الذي حكاه الخطابي هو في معنى ما تقرر من أنه قد تكون في المفضول فضيلة لا توجد في الفاضل من غير أن ينال ذلك من تفضيل الفاضل على المفضول، والله أعلم.

وكان **ابن عبد البر**-رَحِمَهُ اللهُ-**(ت: ٤٦٣ هـ)** قال:"اختلف السلف أيضا في تفضيل علي وأبي بكر".[٣]

**قال الزركشي**-رَحِمَهُ اللهُ-**(ت: ٧٩٤ هـ)**:"قد غلط في ذلك ووهم"[٤] كيف وهو نفسه ممن نقل اجتماع السلف والخلف على أن عليا أفضل الناس بعد عثمان".[٥]

وحاصل ما كان عليه أهل السنة في المفاضلة بين عثمان وعلي قبل انعقاد إجماعهم على

---

(١) السير (١٤/ ٥٠٦).

(٢) معالم السنن-بهامش المختصر- (٧/ ١٨، ١٩).

(٣) الاستيعاب -بهامش الإصابة- (٣/ ٥٢).

(٤) الإجابة (ص: ٥٤).

(٥) انظر الاستيعاب (٣/ ٥٢).

تفضيل عثمان ثلاثة مذاهب:

الأول: تفضيل عثمان ثم علي -وكان مذهب الجمهور.

الثاني: تفضيل علي ثم عثمان -وكان قد ظهر في أهل الكوفة.

الثالث: التوقف عن المفاضلة بينهما، وكان قد ظهر في أهل المدينة.

**فالمذهب الأول:** هو الذي كان عليه عامة أهل السنة كما قال ابن عبد البر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- (ت: ٤٦٣ هـ) [١] والخطابي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- (ت: ٣٨٨ هـ) [٢]، وابن حجر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- (ت: ٨٥٢ هـ)[٣] وغيرهم، وفي هؤلاء من توقف في التفضيل عند عثمان فقال بتفضيل عثمان بعد عمر وسكت على ذلك، مع اعتقاده بالتربيع بعلي، وإنما قصد بالتوقف عند عثمان الاقتداء بحديث ابن عمر المتقدم، وهم لا يقدمون على علي أحدًا بعد الثلاثة، ومن هؤلاء أحمد بن حنبل -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- (ت: ٢٤١ هـ)، وصرح رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأن التوقف عند عثمان إنما هو عمل بحديث ابن عمر فقال: نقول أبو بكر وعمر وعثمان ونسكت، على حديث ابن عمر".[٤]

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"فإن قال قائل من بعد عثمان؟ قلت: علي".[٥]

وقال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- لمن سأله عمن قال: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، قال:"أذهب إليه، ويعجبني أن أقول أبو بكر وعمر وعثمان وأسكت، وإن قال رجل: وعلي، لم أعنفه، ولا يعجبني هذا القول".

**قال ابن عمر -رضي الله عنه- (ت: ٧٣ هـ):**"أبو بكر وعمر وعثمان، ونترك أصحاب

(١) الاستيعاب (٣/ ٥٤).

(٢) معالم السنن -بهامش المختصر- (٧/ ١٨).

(٣) فتح الباري (٧/ ١١).

(٤) السنة للخلال (ص: ٣٩٧).

(٥) السنة للخلال (ص: ٥, ٤).

رسول الله له لا نفضل بينهم".[١]

وقال-رَحِمَهُ اللَّهُ-:"من وقف على عثمان ولم يربع بعلي فهو على غير السنة".[٢]

وهذا المسلك مروي عن جماعة من أئمة أهل السنة كيحيى بن معين-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٢٣٣ هـ)، وبشر بن الحارث-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٢٢٧ هـ)، ويزيد بن زريع-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ١٨٢ هـ)، ومحمد بن عبيد-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٢٠٤ هـ)، وعبد الله بن المبارك-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ١٨١ هـ)، وغيرهم[٣]، وسبق بيان أن ما ورد في حديث ابن عمر من السكوت عن علي متأول بأمور منها أن الإجماع المنعقد على تقديم علي بعد عثمان إنما حدث بعد الزمن الذي قيده ابن عمر.

**وأما المذهب الثاني:** وهو تفضيل علي ثم عثمان بعد أبي بكر وعمر فهو كان مذهب عامة أهل الكوفة.

**قال الخطابي-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٣٨٨ هـ)**:"ذهب أكثر أهل الكوفة إلى تقديمه-يعني عليا- على عثمان رضي الله عنهما قال:"وحدثني محمد بن هاشم حدثنا أبو يحيى بن أبي ميسرة عن عبد الصمد قال: قلت **لسفيان الثوري-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ١٦١ هـ)**:"ما قولك في التفضيل؟ فقال: أهل السنة من أهل الكوفة يقولون: أبو بكر وعمر وعلي وعثمان، وأهل السنة من أهل البصرة يقولون: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، قلت: فما تقول أنت؟ قال: أنا رجل كوفي.

**قال الخطابي-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٣٨٨ هـ)**:"قلت: وقد ثبت عن سفيان أنه قال في آخر قوليه:"أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم".[٤]، وكما رجع سفيان الثوري رجع

---

(١) السنة للخلال (ص: ٤-٥).

(٢) طبقات الحنابلة (١/ ٣١٣).

(٣) انظر السنة للخلال (٣٩٧، ٤٠٠، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤١٠)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة (٧/ ١٣٨٩، ١٣٩٢، ١٣٦٩).

(٤) معالم السنن-بهامش المختصر-(٧/ ١٨).

غيره من أهل الكوفة.كما قال ابن تيمية-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٧٢٨ هـ):"إن سفيان الثوري وطائفة من الكوفة رجحوا علياً ثم عثمان، ثم رجع عن ذلك سفيان وغيره".[(١)]

**وقال ابن حجر-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٨٥٢ هـ)**:"ذهب بعض السلف إلى تقديم علي على عثمان، وممن قال به سفيان الثوري-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ١٦١ هـ)، ويقال إنه رجع عنه، وقال به ابن خزيمة-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٣١١ هـ)، وطائفة قبله وبعده[(٢)]

هذا وقد **روى الخلال-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٣١١ هـ) بسنده عن يحيى بن سعيد القطان-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ١٩٨ هـ)** أنه قال:"كان رأي سفيان الثوري: أبو بكر وعمر ثم يقف".[(٣)]

وكان التوقف مذهب يحيى بن سعيد-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ١٩٨ هـ)، وقال الإمام أحمد-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٢٤١ هـ):"بلغني أن يحيى كان يقف عند ذكر عمر" قال:"وكان يأخذه من سفيان"[(٤)] يعني الثوري، فلا أدري متى كان التوقف من سفيان؟ والله أعلم.

**وأما المذهب الثالث**: وهو التوقف عن المفاضلة بينهم، فهو رواية عن مالك، ففي المدونة **قال ابن القاسم-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ١٩١ هـ)**:"وسألت مالكًا عن خير الناس بعد نبيهم-صلوات الله وسلامه عليه-، فقال: أبو بكر ثم قال: أو في ذلك شك؟ قال ابن القاسم: فقلت لمالك: فعلي وعثمان أيهما أفضل فقال: ما أدركت أحدا ممن أقتدي به يفضل أحدهما على صاحبه-يعني عليا وعثمان-ويرى الكف عنهما".[(٥)]

**وروى ابن عبد البر-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٤٦٣ هـ)** بسنده أن مالكًا سئل: من تقدم بعد رسول الله؟ قال أقدم أبا بكر وعمر ولم يزد على هذا.وروى أيضا قول مالك:"ليس من أمر الناس الذين

(١) الفتاوى ٤/ ٤٢٦؛ وانظر منهاج السنة (٢/ ٧٣، ٧٤).

(٢) فتح الباري (٧/ ١٦) وانظر الباعث الحثيث (ص: ١٥٦).

(٣) السنة (٣/ ٣٧)، وقال المحقق: "إسناده صحيح".

(٤) رواه الخلال بسنده في السنة (ص: ٣٧٢)، وقال المحقق وإسناده صحيح).

(٥) المدونة (٦/ ٤٥١).

مضوا عليه أن يفاضلوا بين الناس".[١]

**وروى اللالكائي -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ٤١٨ هـ)** بسنده أن مالكًا سئل عن علي وعثمان فقال:"ما أدركت أحدًا ممن يقتدى به إلا وهو يرى الكف عنهما، يريد التفضيل بينهما، فقيل له: فأبو بكر وعمر فقال: ليس في أبي بكر وعمر شك، يريد أنهما أفضل من غيرهما".[٢]

وقد ذكر ابن تيمية أن مالكًا رجع عن التوقف إلى تفضيل عثمان ثم علي فقال:"أما عثمان وعلي فكان طائفة من أهل المدينة يتوقفون فيهما وهي إحدى الروايتين عن مالك".[٣]

وقال في موضع آخر:"وبعض أهل المدينة توقف في عثمان وعلي، وهي إحدى الروايتين عن مالك، لكن الرواية الأخرى عنه تقديم عثمان على علي كما هو مذهب سائر الأئمة".[٤]

وقد اعتمد **ابن رشد -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ٥٩٥ هـ)** في كلام له تقديم عثمان ثم علي في مذهب مالك وقال:"وقيل: إنه الذي رجع إليه مالك بعد أن وقف في عثمان وعلي، فلم يفضل أحدهما على صاحبه على ظاهر ما وقع في كتاب الديات من المدونة" قال ابن رشد -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ٥٩٥ هـ):"على أنه كلام محتمل للتأويل".[٥]

**وذكر السيوطي -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ٩١١ هـ) أنه قد حكى القاضي عياض -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ٥٤٤ هـ)، عن الإمام مالك -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ١٧٩ هـ)**، أنه رجع عن التوقف إلى تفضيل عثمان، قال القرطبي -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ٦٧١ هـ):"وهو الأصح إن شاء الله".[٦]

ولعل من وافق مالكا على التوقف قبل الرجوع يكون قد رجع إلى تفضيل عثمان على

---

(١) الانتقاء (٣٠، ٣٩).

(٢) شرح أصول الاعتقاد (٧/ ٣٦٨).

(٣) منهاج السنة (٢/ ٧٣).

(٤) الفتاوى (٤/ ٤٢٦).

(٥) الجامع من المقدمات (١٧٤) وانظر حاشية المحقق رقم: (٣).

(٦) تدريب الراوي (٢/ ٢٢٣)، وانظر لوامع الأنوار (٢/ ٣٥٦).

علي كما رجع مالك موافقة له في الرجوع بعد موافقته في التوقف، ولقد روى الخلال بسنده **عن أيوب السختياني -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ١٣١ هـ)** أنه قال: "دخلت المدينة والناس متوافرون القاسم بن محمد -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ١٠٧ هـ) وسليمان -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ١٠٧ هـ) وغيرهما فما رأيت أحدًا يختلف في تقديم أبي بكر وعمر وعثمان".[(١)]

وتوقف في المفاضلة بين عثمان وعلي من غير أهل المدينة يحيى بن سعيد القطان -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ١٩٨ هـ)، من أهل البصرة وقد استغرب عبد الرحمن بن مهدي -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ١٩٨ هـ)، ذلك فقال ليحيى: "بمن تقتدي في هذا وأهل البصرة ليس هذا قولهم؟!".[(٢)]

**وذكر ابن حجر -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ٨٥٢ هـ)** أن يحيى القطان -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ١٩٨ هـ)، تبع مالكا في التوقف[(٣)]، ولكن قد سبق قبل قليل قول الإمام أحمد -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ٢٤١ هـ) أن يحيى أخذ التوقف عن سفيان الثوري -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ١٦١ هـ)، ويحيى قد حكى هذا القول عن سفيان فقد أخرج الخلال أن يحيى بن معين قال: "قال يحيى بن سعيد: كان رأي سفيان الثوري -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ١٦١ هـ): أبو بكر وعمر ثم يقف، قال يحيى بن معين -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ٢٣٣ هـ): "وهو رأي يحيى بن سعيد" [(٤)] كأنه يشير إلى أن ذلك منه موافقة سفيان فيما رواه عنه. والله أعلم.

والحاصل أن ما روي عن أئمة السلف من تقديم علي على عثمان أو التوقف فيهما قد رجعوا عنه واستقر مذهب أهل السنة على تفضيل عثمان ثم علي.

وهذا هو المذهب الحق الذي لا يجوز العدول عنه لثبوته بالأدلة الشرعية من السنة

(١) السنة (ص: ٤٠٣).
(٢) السنة للخلال (ص: ٣٧٢، ٣٧٣).
(٣) فتح الباري (٧/ ١٦).
(٤) السنة (ص: ٣٧٣).

والإجماع وسبق بيانهما من حديث ابن عمر وإجماع الصحابة على تقديم عثمان بعد أبي بكر وعمر وجميع ذلك ثابت صحيح كما تقدم، ولذلك قال الإمام أحمد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- (ت: ٢٤١ هـ): "كل من قدم عليًا ثم عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار".[١] وكذلك قال حماد بن زيد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- (ت: ١٧٩ هـ) [٢] وروي نحو ذلك عن جماعة من الأئمة كسفيان الثوري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- (ت: ١٦١ هـ)، والدارقطني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- (ت: ٣٨٥ هـ) وغيرهم.[٣]

حتى إن الأئمة قد تكلموا في تبديع من يقدم علياً على عثمان على قولين.[٤]

وروي عن بعضهم أنه قال: من قدم عليًا على عثمان فعليه لعنة الله، وبعضهم قال: فهو أحمق.[٥]

---

(١) السنة للخلال ص ٣٩٢.

(٢) شرح أصول الاعتقاد ٧/ ١٣٧٠.

(٣) انظر السنة للخلال ٣٧٠، و٣٩٢ والفتاوى ٤/ ٤٢٢، ٤٢٦، ٤٢٨.

(٤) انظر السنة للخلال هي ٣٨٠-٨٣٢، والفتاوى ٤/ ٤٢٦.

(٥) انظر شرح أصول الاعتقاد ٧/ ١٣٧٠.

**[٦]- قال المصنف-رَحِمَهُ اللَّهُ-:"يا شعيبُ بن حربٍ: لا يَنفعُك ما كتبتُ لك حتَّى لا تشهدَ لأحدٍ بجنّةٍ ولا نارٍ؛ إلَّا لَلعشرَةِ الذين شهِدَ لهم رسول الله-ﷺ-وكُلُّهم مِن قريشٍ".**

**الشرح**

## الشهادة لمعين بجنة أو نار

فمن معتقد أهل السنة والجماعة أن من كان من أهل القبلة لا يشهد له بالجنة ولا يشهد له بالنار، لكن نرجو للمحسن ونخاف على المسيء، إلا من شهد له الرسول-ﷺ-.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:"إِنَّمَا قَدْ نَقِفُ فِي الشَّخْصِ الْمُعَيَّنِ؛ فَلَا نَشْهَدُ لَهُ بِجَنَّةٍ وَلَا نَارٍ إلَّا عَنْ عِلْمٍ، لِأَنَّ حَقِيقَةَ بَاطِنِهِ وَمَا مَاتَ عَلَيْهِ لَا نُحِيطُ بِهِ، لَكِنْ نَرْجُو لِلْمُحْسِنِ وَنَخَافُ عَلَى الْمُسِيءِ.

وأهل السنة لَهُمْ فِي الشَّهَادَةِ بِالْجَنَّةِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

**القول الأول:** مِنْهُمْ مَنْ لَا يَشْهَدُ بِالْجَنَّةِ لِأَحَدٍ إلَّا لِلْأَنْبِيَاءِ.وَهَذَا قَوْلُ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ وَالْأَوْزَاعِيِّ.

**وَالقول الثَّانِي:** أَنَّهُ يَشْهَدُ بِالْجَنَّةِ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ جَاءَ فِيهِ نَصٌّ.وَهَذَا قَوْلُ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ".(١)

وقد استدل لهذا القول:

-حديث الصحيحين أن رسول الله-ﷺ-قال: (إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة)، (٢)

(١) انظر المسألة في منهاج السنة: (٣/ ٤٩٧-٥٠٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٠٧)، ومسلم (١١٢).

وهذا في حديث الذي قتل نفسه بعد أن أثنى عليه الناس.

-الحديث الآخر:"إن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة"[١].والشاهد من هذه الأحاديث أن خاتمة السوء لا تؤمن فكيف يقطع للرجل بالجنة؟

-حديث أبي هريرة في الصحيح قال خرجنا مع رسول الله-ﷺ-يوم خيبر فلم نغنم ذهبًا ولا فضة إلا الأموال والثياب والمتاع فأهدى رجل من بني الضبيب يقال له رفاعة بن زيد لرسول الله-ﷺ-غلاما يقال له مدعم فوجه رسول الله-ﷺ-إلى وادي القرى حتى إذا كان بوادي القرى بينما مدعم يحط رحلًا لرسول الله-ﷺ-إذا سهم عائر فقتله فقال الناس هنيئًا له الجنة فقال رسول الله-ﷺ-كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا".[٢]

فهذا مع شهادة الناس له بالجنة بين النبي-ﷺ-أن حقيقة حاله على خلاف ما شهد له به.

-حديث أم العلاء في البخاري قالت:"سكن عندنا عثمان بن مظعون فاشتكى فمرضناه حتى إذا توفي وجعلناه في ثيابه دخل علينا رسول الله-ﷺ-فقلت رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله فقال لي النبي ﷺ (وما يدريك أن الله أكرمه).فقلت لا أدري بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقال رسول الله-ﷺ-(أما عثمان فقد جاءه والله اليقين وإني لأرجو له الخير والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل به).قالت فوالله لا أزكي أحدا بعده أبدا وأحزنني ذلك قالت فنمت فأريت لعثمان عينا تجري فجئت إلى رسول الله-ﷺ-فأخبرته

(١) أخرجه البخاري: (٣٢٠٨)، ومسلم:(٢٦٤٣).

(٢) أخرجه البخاري: (٦٣٢٩).

فقال: (ذاك عملهـ).[١]،

والشاهد من الحديث نص وإقرار، أما النص فالقصة وما وجه به النبي -ﷺ- فيها، وأما الإقرار فلقولها لا أزكي أحداً بعده.

وهذا كالصريح في النهي، قال ابن كثير: "وفي هذا وأمثاله دلالة على أنه لا يقطع لمعين بالجنة إلا الذي نص الشارع على تعيينهم كالعشرة، وابن سلام، والعميصاء، وبلال، وسراقة، وعبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر، والقراء السبعين الذين قتلوا ببئر معونة، وزيد بن حارثة، وجعفر، وابن رواحة، وما أشبه هؤلاء -رضي الله عنهم-"[٢].ومثله قال العيني في العمدة.

وقد بوب عليه البيهقي: "باب لا يشهد لأحد بجنة ولا نار إلاّ لمن شهد له رسول الله -ﷺ- بها"[٣]

هذا مع أن عثمان بن مظعون (أبو السائب)-رضي الله عنه-، بدري قال الله له اصنع ما شئت فقد غفرت لك، وهو أول من دفن بالبقيع ومع ذلك يقول: "وما يدريك؟! وإني لأرجو له الخير والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل به".

وممن نقل عنه القول في هذه المسألة من العلماء:

ما روي عن الإمام سفيان بن عيينة في اعتقاده قوله: السنة عشرة فمن كن فيه فقد استكمل السنة ومن ترك منها شيئًا فقد ترك السنة: إثبات القدر وتقديم أبي بكر وعمر والحوض والشفاعة والميزان والصراط والإيمان قول وعمل والقرآن كلام الله وعذاب القبر والبعث

(١) أخرجه البخاري: (٢٥٤١).

(٢) تفسير ابن كثير:(٤/ ١٥٦).

(٣) السنن الكبرى (٤/ ٧٦).

يوم القيامة ولا تقطعوا بالشهادة على مسلم.[١]

ونقل عن الإمام أحمد فيمن خرج عليه اللصوص والخوارج قال:"وإن قتل هذا في تلك الحال وهو يدفع عن نفسه وماله رجوت له الشهادة كما جاء في الأحاديث[٢].

وقال الإمام أحمد:"ولا نشهد على أهل القبلة بعمل يعمله بجنة ولا نار، نرجو للصالح ونخاف عليه ونخاف على المسيء المذنب، ونرجو له رحمة الله".اهـ[٣]

وهي عين كلمة علي بن المديني كما وروى عن سفيان الثوري قوله:"يا شعيب بن حرب لا ينفعك ما كتبت لك حتى لا تشهد لأحد بجنة ولا نار إلا للعشرة الذين شهد لهم رسول الله وكلهم من قريش".اهـ[٤]

وقال الإمام أبو عمرو الداني:"ومن قولهم: أن لا ينزل أحد من أهل القبلة جنة ولا نارا إلا من ورد التوقيف بتنزيله، وجاء الخبر من الله تبارك وتعالى، ورسوله عن عاقبة أمره".[٥]

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب:"لا أحد يشهد لأحد بالجنة أو النار إلا من ثبت له ذلك. وأهل السنة والجماعة لا يشهدون لِمُعَيَّنٍ بالجنة إلا لمن شهد له رسول الله ﷺ بأنه من أهل الجنة، كالعشرة وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم، الذين ثبتت الأحاديث في تعيينهم أنهم من أهل الجنة. وأما مَنْ سواهم فلا يشهدون له بذلك، ولكنهم يرجون لجميع المؤمنين دخول الجنة، ويخافون على مَنْ أذنب من النار، ولا يقطعون لمعين بأنه من أهل الجنة أو من أهل النار إلا من ثبت له ذلك".اهـ[٦].

(١) رواه الإمام اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٥٦)

(٢) اعتقاد الإمام أحمد (١/ ١٦١)

(٣) أصول السنة (ص: ٥٠)

(٤) اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ١٦٢).

(٥) الرسالة الوافية (ص: ٩٦)

(٦) جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيدية (٢٠٦).

فهذا مذهب جمهور أهل السنة كما ترى.

**وَالقول الثَّالِثُ:** يَشْهَدُ بِالْجَنَّةِ لِهَؤُلَاءِ وَلِمَنْ شَهِدَ لَهُ الْمُؤْمِنُونَ.كَمَا قَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: (أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ).وَقَالَ:" (يُوشِكُ أَنْ تَعْلَمُوا أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ).قَالُوا: بِمَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: (بِالثَّنَاءِ الْحَسَنِ وَالثَّنَاءِ السَّيِّئِ)"[١] فَأَخْبَرَ أَنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُعْلَمُ بِهِ أَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ.وَكَانَ أَبُو ثَوْرٍ يَقُولُ:"أَشْهَدُ أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ فِي الْجَنَّةِ" وَيَحْتَجُّ بِهَذَا"[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:"وَالْقَوْلُ بِكَوْنِ الرَّجُلِ الْمُعَيَّنِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ قَدْ يَكُونُ سَبَبُهُ: إِخْبَارَ الْمَعْصُومِ، فَأَهْلَ السُّنَّةِ يَشْهَدُونَ أَنَّ الْعَشَرَةَ فِي الْجَنَّةِ[٣]، وَيَشْهَدُونَ «أَنَّ اللهَ قَالَ

---

(١) الْحَدِيثُ مَعَ اخْتِلَافٍ فِي الْأَلْفَاظِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-

فِي الْبُخَارِيِّ (٣/ ١٦٩) (كِتَابُ الشَّهَادَاتِ، بَابُ تَعْدِيلِ كَمْ يَجُوزُ)، ٢/ ٩٧ (كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ ثَنَاءِ النَّاسِ عَلَى الْمَيِّتِ). مُسْلِمٍ (٢/ ٦٥٥ -٦٥٦) (كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ فِيمَنْ يُثْنَى عَلَيْهِ خَيْرٌ أَوْ شَرٌّ مِنَ الْمَوْتَى). سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ (٢/ ٢٦١) (كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الثَّنَاءِ الْحَسَنِ عَلَى الْمَيِّتِ)، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: وَفِي الْبَابِ عَنْ عُمَرَ وَكَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ. سُنَنِ النَّسَائِيِّ (٤/ ٤١)، (كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ الثَّنَاءِ). سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ (١/ ٤٧٨) (كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الثَّنَاءِ عَلَى الْمَيِّتِ). وَجَاءَ حَدِيثٌ آخَرُ بِمَعْنَاهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فِي سُنَنِ النَّسَائِيِّ وَسُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ فِي الْمَوْضِعَيْنِ السَّابِقَيْنِ، وَهُوَ فِي: سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ (٣/ ٢٩٦) (كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابٌ فِي الثَّنَاءِ عَلَى الْمَيِّتِ)، الْمُسْنَدِ (ط.الْمَعَارِفِ) (١٣/ ٢٧٧-٢٧٨) وَفِي مَوَاضِعَ أُخْرَى

(٢) منهاج السنة (٥/ ٢٩٥).

(٣) وَرَدَ حَدِيثَانِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-يَدُلَّانِ عَلَى أَنَّ الْعَشَرَةَ فِي الْجَنَّةِ: الْأَوَّلُ قَالَ فِي أَوَّلِهِ النَّبِيُّ-ﷺ-: اثْبُتْ حِرَاءُ، إِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ.الْحَدِيثُ، وَهُوَ فِي: سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ (٤/ ٢٩٤ -٢٩٥) (كِتَابُ السُّنَّةِ، بَابٌ فِي الْخُلَفَاءِ ٩)، سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ (٥/ ٣١٥ -٣١٦) (كِتَابُ الْمَنَاقِبِ، بَابُ مَنَاقِبِ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ)، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ؛ سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ (١/ ٤٨) (الْمُقَدِّمَةُ، فَضَائِلُ الْعَشَرَةِ)، الْمُسْنَدِ (ط.الْمَعَارِفِ)، (ج [٠-٩] الْأَرْقَامُ ١٦٢٩، ١٦٣٠، ١٦٣٨، ١٦٤٤، ١٦٤٥)، وَالْحَدِيثُ الثَّانِي أَوَّلُهُ: عَشَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ.وَهُوَ فِي: سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَسُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ فِي الْمَوْضِعَيْنِ السَّابِقَيْنِ، وَفِي الْمُسْنَدِ (ط.الْمَعَارِفِ) ج [٥-٩] الْأَرْقَامُ ١٦٣١، ١٦٣٧، وَصَحَّحَ الْأَلْبَانِيُّ الْحَدِيثَ فِي: صَحِيحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ (٤-٣٥).

لِأَهْلِ بَدْرٍ:" «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»(١)، بَلْ يَقُولُونَ: إِنَّهُ" «لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»"، كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ-(٢).فَهَؤُلَاءِ أَكْثَرُ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةِ إِمَامٍ لِأَهْلِ السُّنَّةِ، يَشْهَدُونَ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَهِيَ شَهَادَةٌ بِعِلْمٍ كَمَا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ.

وَقَدْ يَكُونُ سَبَبُهُ تَوَاطُؤَ شَهَادَاتِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ هُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ.كَمَا فِي الصَّحِيحِ «عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- أَنَّهُ مُرَّ عَلَيْهِ بِجِنَازَةٍ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا فَقَالَ: (وَجَبَتْ وَجَبَتْ).وَمُرَّ عَلَيْهِ بِجِنَازَةٍ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا: شَرًّا فَقَالَ: (وَجَبَتْ وَجَبَتْ).فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَا قَوْلُكَ: وَجَبَتْ وَجَبَتْ؟ قَالَ: (هَذِهِ الْجِنَازَةُ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقُلْتُ: وَجَبَتْ لَهَا الْجَنَّةُ.وَهَذِهِ الْجِنَازَةُ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهَا شَرًّا، فَقُلْتُ: وَجَبَتْ لَهَا النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ).(٣)

---

(١) هَذَا جُزْءٌ مِنْ حَدِيثٍ طَوِيلٍ عَنْ عَلِيٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فِي: الْبُخَارِيِّ (٥/ ٧٧-٧٨) (كِتَابُ الْمَغَازِي، بَابُ فَضْلِ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا)، (٦/ ١٤٩) (كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، سُورَةُ الْمُمْتَحِنَةِ)، مُسْلِمٍ (٤/ ١٩٤١-١٩٤٢) (كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، بَابٌ: مِنْ فَضَائِلِ أَهْلِ بَدْرٍ)؛ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ (٣/ ٦٤-٦٥) (كِتَابُ الْجِهَادِ، بَابٌ فِي حُكْمِ الْجَاسُوسِ إِذَا كَانَ مُسْلِمًا)، سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ (٥/ ٨٢-٨٤) (كِتَابُ التَّفْسِيرِ، سُورَةُ الْمُمْتَحِنَةِ)، الْمُسْنَدِ (ط.الْمَعَارِفِ) (٢/ ٣٦-٣٧).وَجَاءَ الْحَدِيثُ مُخْتَصَرًا بِمَعْنَاهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي: سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ (٤/ ٢٩٦) (كِتَابُ السُّنَّةِ، بَابٌ فِي الْخُلَفَاءِ)، الْمُسْنَدِ (ط.الْمَعَارِفِ) (١٥/ ٨٣-٨٤).

(٢) الْحَدِيثُ عَنْ أُمِّ مُبَشِّرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- فِي مُسْلِمٍ (٤/ ١٩٤٢) (كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، بَابٌ: مِنْ فَضَائِلِ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ)، وَنَصُّهُ فِيهِ: أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ -ﷺ- يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ: لَا يَدْخُلُ النَّارَ -إِنْ شَاءَ اللهُ- مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدُ الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا " قَالَتْ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، فَانْتَهَرَهَا.فَقَالَتْ حَفْصَةُ: وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا [سُورَةُ مَرْيَمَ: ٧١]، فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: فَقَدْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا [سُورَةُ مَرْيَمَ: ٧٢]، وَالْحَدِيثُ عَنْهَا أَيْضًا فِي الْمُسْنَدِ (ط.الْحَلَبِيِّ) (٦/ ٣٦٢، ٤٢٠)، وَعَنْ حَفْصَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- فِي: سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ (٢/ ١٤٣١) (كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ ذِكْرِ الْبَعْثِ).

(٣) الْحَدِيثُ مَعَ اخْتِلَافٍ فِي الْأَلْفَاظِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فِي الْبُخَارِيِّ (٣/ ١٦٩) (كِتَابُ الشَّهَادَاتِ، بَابُ تَعْدِيلِ كَمْ يَجُوزُ)، (٢/ ٩٧) (كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ ثَنَاءِ النَّاسِ عَلَى الْمَيِّتِ)، مُسْلِمٍ (٢/ ٦٥٥-٦٥٦) (كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ فِيمَنْ يُثْنَى عَلَيْهِ خَيْرٌ أَوْ شَرٌّ مِنَ الْمَوْتَى)، سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ (٢/ ٢٦١) (كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الثَّنَاءِ الْحَسَنِ
=

وَفِي الْمُسْنَدِ «عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- أَنَّهُ قَالَ: (يُوشِكُ أَنْ تَعْلَمُوا أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ). قَالُوا: بِمَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: (بِالثَّنَاءِ الْحَسَنِ وَالثَّنَاءِ السَّيِّئِ).(١)

وَقَدْ يَكُونُ سَبَبُ ذَلِكَ تَوَاطُؤُ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- قَالَ:" (لَمْ يَبْقَ بَعْدِي مِنَ النُّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا الرَّجُلُ الْمُؤْمِنُ الصَّالِحُ أَوْ تُرَى لَهُ).(٢)

«وَسُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [سُورَةُ يُونُسَ: ٦٤] قَالَ: (هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوْ تُرَى لَه).(٣)

وَقَدْ فَسَّرَهَا أَيْضًا بِثَنَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، «فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، الرَّجُلُ يَعْمَلُ لْعَمَلَ لِنَفْسِهِ فَيَحْمَدُهُ

---

= عَلَى الْمَيِّتِ)، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: وَفِي الْبَابِ عَنْ عُمَرَ وَكَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ، سُنَنِ النَّسَائِيِّ (٤/ ٤١)، (كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ الثَّنَاءِ)، سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ (١/ ٤٧٨) (كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الثَّنَاءِ عَلَى الْمَيِّتِ)، وَجَاءَ حَدِيثٌ آخَرُ بِمَعْنَاهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- فِي سُنَنِ النَّسَائِيِّ وَسُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ فِي الْمَوْضِعَيْنِ السَّابِقَيْنِ، وَهُوَ فِي: سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ (٣/ ٢٩٦) (كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابٌ فِي الثَّنَاءِ عَلَى الْمَيِّتِ)، الْمُسْنَدِ (ط.الْمَعَارِفِ) (١٣/ ٢٧٧-٢٧٨) وَفِي مَوَاضِعَ أُخْرَى.

(١) الْحَدِيثُ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي زُهَيْرٍ الثَّقَفِيِّ عَنْ أَبِيهِ -رضي الله عنه- فِي: سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ (٢/ ١٤١١) (كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ الثَّنَاءِ الْحَسَنِ)، وَقَالَ الْمُعَلِّقُ فِي الزَّوَائِدِ: إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، رِجَالُهُ ثِقَاتٌ، وَلَيْسَ لِأَبِي زُهَيْرٍ هَذَا عَنِ ابْنِ مَاجَهْ سِوَى هَذَا الْحَدِيثِ، وَلَيْسَ لَهُ شَيْءٌ فِي بَقِيَّةِ الْكُتُبِ السِّتَّةِ، وَالْحَدِيثُ فِي الْمُسْنَدِ (ط.الْحَلَبِيِّ) (٣/ ٤١٦)، (٦/ ٤٦٧).

(٢) الْحَدِيثُ -مَعَ اخْتِلَافٍ فِي الْأَلْفَاظِ- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- فِي: الْبُخَارِيِّ (٩/ ٣١) (كِتَابُ التَّعْبِيرِ، بَابُ الْمُبَشِّرَاتِ)، وَجَاءَ جُزْءٌ مِنْ حَدِيثٍ آخَرَ بِنَفْسِ الْمَعْنَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- فِي مُسْلِمٍ ١/ ٣٤٨ (كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ فِي الدُّعَاءِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ)، سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ (١/ ٣٢١) (كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابٌ فِي الدُّعَاءِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ)، سُنَنِ النَّسَائِيِّ (٨/ ١٤٨)، (كِتَابُ التَّطْبِيقِ، بَابُ تَعْظِيمِ الرَّبِّ فِي الرُّكُوعِ)، سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ (٢/ ١٢٨٣) (كِتَابُ تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا، بَابُ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةِ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ)، الْمُسْنَدِ (ط.الْمَعَارِفِ) (٣/ ٢٧٥).

(٣) الْحَدِيثُ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ وَعُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- فِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ (٣/ ٣٦٤-٣٦٥) (كِتَابُ الرُّؤْيَا، بَابُ ذَهَبَتِ النُّبُوَّةُ وَبَقِيَتِ الْمُبَشِّرَاتُ)، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ: وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ. وَتَكَرَّرَ هَذَا الْحَدِيثُ: (٤/ ٣٥٠) (كِتَابُ التَّفْسِيرِ، وَمِنْ سُورَةِ يُونُسَ)، سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ (٢/ ١٢٨٣) (كِتَابُ تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا، بَابُ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةِ)

النَّاسُ عَلَيْهِ.فَقَالَ: (تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ).(١)

وَالرُّؤْيَا قَدْ تَكُونُ مِنَ اللهِ، وَقَدْ تَكُونُ مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ، وَقَدْ تَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَوَاطَأَتْ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَمْرٍ كَانَ حَقًّا، كَمَا إِذَا تَوَاطَأَتْ رِوَايَاتُهُمْ أَوْ رَأْيُهُمْ فَإِنَّ الْوَاحِدَ قَدْ يَغْلَطُ أَوْ يَكْذِبُ، وَقَدْ يُخْطِئُ فِي الرَّأْيِ، أَوْ يَتَعَمَّدُ الْبَاطِلَ، فَإِذَا اجْتَمَعُوا لَمْ يَجْتَمِعُوا عَلَى ضَلَالَةٍ، وَإِذَا تَوَاتَرَتِ الرِّوَايَاتُ أَوْرَثَتِ الْعِلْمَ، وَكَذَلِكَ الرُّؤْيَ قَالَ: النَّبِيُّ -ﷺ-:" (أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ عَلَى أَنَّهَا فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُتَحَرِّيَهَا، فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ).(٢) (٣)"

كما قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ تعالى (٤)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:"وكذلك من أجمعت الأمة على الثناء عليه فإننا نشهد له بالجنة فمثلا الإمام أحمد-رَحِمَهُ اللهُ-الشافعي أبو حنيفة مالك سفيان الثوري سفيان بن عيينة وغيرهم من الأئمة أجمعت الأمة على الثناء عليهم فنشهد لهم بأنهم من أهل الجنة.شيخ الإسلام ابن تيمية-رَحِمَهُ اللهُ-أجمع الناس بالثناء عليه إلا من شذ ومن شذ، شذ في النار يشهد له بالجنة على هذا الرأي." اهـ (٥)والله أعلم.

---

(١) الْحَدِيثُ-مَعَ اخْتِلَافٍ فِي الْأَلْفَاظِ-عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-فِي مُسْلِمٍ (٤/ ٢٠٣٤-٢٠٣٥) (كِتَابُ الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ إِذَا أُثْنِيَ عَلَى الصَّالِحِ فَهِيَ بُشْرَى وَلَا تَضُرُّ)، سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ (٢/ ١٤١٢) (كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ الثَّنَاءِ الْحَسَنِ)، الْمُسْنَدِ (ط.الْحَلَبِيِّ) (٥/ ١٥٦، ١٥٧، ١٦٨).

(٢) الْحَدِيثُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -، فِي الْبُخَارِيِّ (٣/ ٤٦) (كِتَابُ فَضْلِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، بَابُ الْتِمَاسِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ)، مُسْلِمٍ (٢/ ٨٢٢) (كِتَابُ الصِّيَامِ، بَابُ فَضْلِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ)، الْمُوَطَّأِ (١/ ٣٢١) (كِتَابُ الِاعْتِكَافِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ)، الْمُسْنَدِ (ط.الْمَعَارِفِ) (٦/ ٢٣١).

(٣) منهاج السنة: (٣/ ٤٩٧ـ ٥٠٠).

(٤) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (٣/ ١١٧).

(٥) لعل شيخنا العثيمين رحمه الله تعالى ذكره بالمعنى وهذا نصه قال ابن تيمية: "وَمَعَ هَذَا يُمكن الْعلم بذلك للْوَلِيّ نَفسه وَلغيره وَلكنه قَلِيل وَلَا يجوز لَهُم الْقطع على ذَلِك فَمن ثبتَتْ ولَايَته بِالنَّصِّ وَأَنه من أهل الْجنَّة كالعشرة

=

وقد أجيب على أدلة هذا القول بأن الحديث الأول يفيد أن شهادة المؤمنون لبعضهم بالخير والصلاح توجب نفعه وصلاحه في الآخرة، ولا يجزم بها على العموم، فإحسان الظن بالمسلمين هو الأصل ولكن هذا لا يبنى عليه يقين بمآله.

وهنا فائدة مهمة على قوله وجبت وجبت: وهي على الصحيح من التحقيق والجزم، فقيل أنها من خصائصه ﷺ، ولا يجزم بها لغيره لأنها غيب، ولعل نبينا اطلع على ذلك بطريق الوحي.واختار هذا القول ابن التين.

ويرده قول عمر لها أيضا لجنازة مرت عليه، كما في الصحيح.

وفي معناها أيضا قال الإمام الطحاوي:"وجه ذلك عندنا والله أعلم أن الشهادة بالخير لمن شهد له به ستر من الله عز وجل عليه في الدنيا ومن ستره الله عز وجل في الدنيا لم يرفع عنه ستره في الآخرة".اهـ(١)

ومما قيل في معناها أيضا: أن انطلاق الألسنة بالثناء الحسن علامة على وجوب الجنة للمثنى عليه به، وليست جزما على الغيب.والله أعلم.

أما الحديث الثاني: فهو أصرح في بيان المقصود لقوله: (يوشك) وقوله: (بالثناء الحسن والثناء السيئ) يعني ما هو إلا ثناء على الظاهر لا يجزم له على الحقيقة بالجنة أو النار، فيخلص من هذا أن الكلمة على الرجاء والتمني وليست على التحقيق والتألي.

ومن الخلاف: هل هذا خاص بزمن الصحابة أم أنه عام للمؤمنين في كل زمان؟

الصحيح المختار: أنه عام ولكن في غير زمن الصحابة يحتاج إلى الإجماع.

---

=

وَغَيرهم فعامة أهل السّنة يشْهدُونَ لَهُ بِمَا شهد لَهُ بِهِ النَّص، وَأما من شاع لَهُ لِسَان صدق فِي الْأمة بِحَيْثُ اتّفقت الْأمة على الثَّنَاء عَلَيْهِ فَهَل يشْهد لَهُ بذلك هَذَا فِيهِ نزاع بَين أهل السّنة وَالْأَشْبَه أَن يشْهد لَهُ بذلك هَذَا فِي الْأَمر الْعَام؛.دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية (٢/ ٢٢١).

(١) بيان مشكل الآثار (٨/ ١٠٨)

وعليه فرأي الجمهور هو الصواب، وهو أنه لا يشهد لأحد بأنه من أهل الجنة أو من أهل النار إلا إذا ورد نص أو إجماع.

وأعني بالإجماع هنا ما يراد به حكم الجماعة المسلمة في وقت ما على المعين بأنه من أهل الجنة، فهو من أهل الجنة إن شاء الله تعالى حسب الظاهر للمسلمين وقتئذ ولا يقطع به جزما لأنه ضرب من الغيب، لذلك نصوب من يقول: هو من أهل الجنة إن شاء الله تعالى.

وعلى هذا: لا يصح الاستثناء للمعين بالشهادة فنقول هو شهيد إن شاء الله، للنهي الوارد فيما ذكرنا أعلاه، وإنما نقول نرجو له الشهادة أو نقول كما علمنا عمر: من فعل كذا فهو شهيد عن عُمَرَ أَنَّهُ خَطَبَ فَقَالَ تَقُولُونَ فِي مَغَازِيكُمْ فُلَانٌ شَهِيدٌ وَمَاتَ فَلَانٌ شَهِيدًا وَلَعَلَّهُ قَدْ يَكُونُ قَدْ أَوْقَرَ رَاحِلَتَهُ أَلَا لَا تَقُولُوا ذَلِكُمْ وَلَكِنْ قُولُوا كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ قُتِلَ فَهُوَ شَهِيدٌ".[(١)].

وخلاصة القول: هذه المسألة من مسائل الأسماء والأحكام، فليس لك أن تشهد لمعين أنه من أهل الجنة أو من أهل النار، لأنك لا تدري ماذا يُختم له، فقد يُصبح المرء مسلماً ويُمسي كافراً يمسي كافراً ويصبح مؤمناً، فلا يُدرى ما هي خاتمة كل أحدٍ منا، ولذلك كان من الدعاء: اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك. فقد ترى الرجل على معصية وعلى شر، وعلى حالٍ لا يرضي الله عز وجل لكن قد يُختم له بخاتمة حسنة، فقد يتوب فيتوب الله عليه، فلذلك لا نشهد لأحدٍ بعينه بجنة أو نار، لكن نرجو للمحسن الخير ونخاف على المسيء، فإنك لا تدري بما يُختم له عند الموت ترجو له رحمة الله وتخاف عليه ذنوبه، فترجو إذا كان على خير أن يُختم له بخير، وإن كان على شر أن يُختم له إن شاء الله تعالى بتوبة.

---

(١) انظر فتح الباري لابن حجر (٦/ ٩٠).

**[٧]- قال المصنف-رَحِمَهُ اللَّهُ-:"يا شعيبُ بن حربٍ: لا يَنفَعُك ما كتبتُ لك حتَّى ترى المسحَ على الخفَّينِ دون خلعِهما: أعدلَ عندك مِن غسلِ قدمِيك".**

**الشرح**

## المسح على الخفين

ذكر المصنف المسح على الخفين إشارة إلى الأحكام التي علمت بالقواطع الشرعية أو بالنصوص القطعية ثم أنكرها، من أنكرها، فكل حكم من الأحكام الشرعية-وإن لم يدخل في العقيدة-تواترت به النصوص أو أجمع عليه السلف أو كان دليله صحيحاً ولو لم يتواتر فإن جحده يعتبر من مخالفة العقيدة، فلذلك ذكر السلف المسح على الخفين.

وقد خالفت فيه الرافضة، كما خالفت في تجويز مسح الرجل بدل الغسل، فردوا السنة وعملوا بعكسها في مقام واحد، وهذا دليل انتكاس عندهم في العقول والأصول، ففي الوقت الذي أنكروا فيه المسح على الخفين أجازوا المسح بدون خفين.

وهناك طوائف من الخوارج وطوائف من الجهمية وغيرهم أنكروا المسح على الخفين.

وقال الإمام النووي:"أجمع من يعتد به في الإجماع على جواز المسح على الخفين في السفر والحضر سواء كان لحاجة أو لغيرها...وإنما أنكرته الشيعة والخوارج ولا يعتد بخلافهم"(١)

وقال ابن تيمية:"وقد تواترت السنة عن النبي ﷺ بالمسح على الخفين، وبغسل الرجلين، والرافضة تخالف هذه السنة المتواترة، كما تخالف الخوارج نحو ذلك"(٢)

وقال في موضع آخر"وكان سفيان يذكر من السنة المسح على الخفين؛ لأن هذا-أي ترك

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ٣/ ١٦٠.

(٢) منهاج السنة النبوية ٤/ ١٧٤.

المسح على الخفين-كان شعارًا للرافضة"(١)

والأحاديث في المسح على الخفين متواترة خلافًا للروافض الذين أنكروا المسح على الخفين، فالعلماء يذكرون المسح على الخفين في كتب العقائد للرد على الخوارج والروافض الذين ينكرون المسح على الخفين، وكذلك غسل الرجلين في الوضوء وهم يقولون: إن الواجب مسح ظهور القدمين، فإذا كانت الرجلان مكشوفتين فيمسحونها بعد تبليل أيديهم بالماء، وإذا كان عليهما الخفان وجب خلع الخفين ومسح ظهور القدمين.

حتى إن الذين نقلوا كيفية الوضوء عن النبي ﷺ قالوا: غسلاً للرجلين المكشوفتين ومسحًا للخفين، وأكثر الذين نقلوا نص الآية وهي قوله عز وجل في سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة:٦]، فالآية متواترة؛ لأن القرآن كله متواتر، لكن تواتر كيفية الوضوء غسلاً ومسحًا أقوى من تواتر نص الآية، وذلك أن الصحابة كلهم يتوضؤون، وكلهم شاهدوا غسل الرجلين ومسح الخفين من النبي ﷺ، ومن لم يشاهد النبي ﷺ فقد نقله عن غيره بخلاف نص الآية، فليس كل أحد يحفظ الآية فالبعض يحفظ الآية والبعض لا يحفظها، أما الوضوء فكلهم يتوضئون وليس هناك أحد لا يتوضأ، فالآية متواترة ونقل كيفية الوضوء أقوى تواتراً وأكثر عدداً من الذين نقلوا نص الآية.

قال الحافظ ابن حجر: "وَقَدْ تَوَاتَرَتْ الأَخْبَار عَنْ النَّبِيّ ﷺ فِي صِفَة وُضُوئِهِ أَنَّهُ غَسَلَ رِجْلَيْهِ وَهُوَ الْمُبَيِّن لأَمْرِ الله، وَلَمْ يَثْبُت عَنْ أَحَد مِنْ الصَّحَابَة خِلَاف ذَلِكَ إِلا عَنْ عَلِيّ وَابْن عَبَّاس وَأَنَس، وَقَدْ ثَبَتَ عَنْهُمْ الرُّجُوع عَنْ ذَلِكَ، قَالَ عَبْد الرَّحْمَن بْن أَبِي لَيْلَى: أَجْمَعَ أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ عَلَى غَسْل الْقَدَمَيْنِ، رَوَاهُ سَعِيد بْن مَنْصُور"(٢).

(١) مجموع الفتاوى ٢٢/ ٤٢٣.

(٢) "فتح الباري" (١/ ٣٢٠).

وأما الآية، وهي قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦]، فإنها لا تدل على جواز مسح الرجلين، وبيان ذلك: أن في الآية قراءتين:

الأولى: (وَأَرْجُلَكُمْ) بنصب اللام، فتكون الأرجل معطوفة على الوجه، والوجه مغسول، فتكون الأرجل مغسولة أيضًا، فكأن لفظ الآية في الأصل: (اغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجلكم إلى الكعبين وامسحوا برؤوسكم) ولكن أُخِّرَ غسلُ الرجل بعد مسح الرأس للدلالة على أن ترتيب الأعضاء في الوضوء يكون على هذا النحو، غسل الوجه، ثم الأيدي، ثم مسح الرأس، ثم غسل الأرجل" [١]

القراءة الثانية: (وَأَرْجُلِكُمْ) بكسر اللام، فتكون معطوفة على الرأس، والرأس ممسوح، فتكون الأرجل ممسوحة.

غير أن السنة بينت أن المسح إنما هو على الخفين أو الجوربين بشروط معروفة في السنة[٢].

وبهذا يتبن أن الآية على القراءتين لا تدل على مسح الأرجل، وإنما تدل على وجوب غسل الأرجل، أو مسح الخفين لمن يلبس الخفين.

وقد ذهب بعض العلماء–على قراءة الجر–إلى أن الحكمة من ذكر المسح في

(١) انظر: "المجموع" (١/ ٤٧١).

(٢) انظر: "المجموع" (١/ ٤٥٠)، "الاختيارات" (ص ١٣).

حق الأرجل مع أنها مغسولة إشارة إلى أنه ينبغي الاقتصاد في استعمال الماء عند غسل الرجلين، لأن العادة الإسراف عند غسلهما، فأمرت الآية بالمسح أي بأن يكون الغسل بلا إسراف في الماء.

قال ابن قدامة:"ويحتمل أنه أراد بالمسح الغسل الخفيف.قال أبو علي الفارسي: العرب تسمي خفيف الغسل مسحا، فيقولون: تمسحت للصلاة.أي توضأت"(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"وفي ذِكر المسح على الرجلين تنبيه على قلة الصب في الرجل فإن السرف يعتاد فيهما كثيراً"(٢)

(١) "المغني" (١/ ١٨٦).

(٢) "منهاج السنة" (٤/ ١٧٤).

[٨]- قال المصنف -رَحِمَهُ اللَّهُ-:"يا شعيبُ بن حربٍ: ولا ينفَعُك ما كتبت لك حتَّى يكون إخفاءُ (بسمِ اللّه الرَّحمنِ الرَّحيمِ) في الصَّلاةِ أفضلُ عندك مِن أن تجهرَ بها".

**الشرح**

## الإسرار بالبسملة في الصلاة

**حكم البسملة من حيث الجهر بها والإسرار، في الصلاة، أو خارجها**

**أ - حكم الجهر بها في غير الصلاة :**

أكثرُ القُرَّاءِ على الجهر بها خارج الصلاة(١)، ورُوي عن بعضهم إخفاؤها، منهم حمزة، ونافع(٢)، ورُويَ عنهما الجهر بها(٣) وأخذ بعض أهل الأداء بالتسمية جهرًا لجميع القراء، وأخذ بعض أهل الأداء لهم إخفاءها(٤)

**ب - حكم الجهر بها في الصلاة:**

اختلَفَ أهل العلم في حكم الجهر بالبسملة في الصلاة على أقوال:

القول الأول:

أنه يُسَنُّ الجهر بها في الصلاة الجهريَّة، والإسرارُ بها في الصلاة السِّريَّة.

وهو مرويٌّ عن عمر، وعليٍّ، وعبدالله بن الزبير (٥)، وابن عباس، وابن عمر، وأبي هريرة،

(١) انظر: "الكشف عن وجوه القراءات السبع" (١/ ١١ -١٢)، "النشر" (١/ ٢٦٥).

(٢) انظر: "الكشف عن وجوه القراءات السبع" (١/ ١١ -١٢).

(٣) انظر: "التبصرة" لمكي ص(٢٤٥)، "الكشف عن وجوه القراءات" (١/ ١١ -١٢)، "النشر" (١/ ٢٧١)

(٤) انظر: "الإقناع في القراءات السبع" (١/ ١٦٢).

(٥) أخرجه عن عمر، وابن الزبير - ابن أبي شيبة في "المصنف" (١/ ٤١٢)، وأخرجه عنهما وعن علي - البيهقي - في الصلاة - باب قراءة "بسم الله الرحمن الرحيم" (٢/ ٤٨ -٤٩)

ومعاوية بن أبي سفيان[١] وشداد بن أوس[٢]؛ رضي الله عنهم.

ومن التابعين: سعيد بن جبير[٣]، ومحمد بن شهاب الزهري[٤]، ومجاهد، وعطاء، وطاوس[٥].

وحكاه ابن كثير - أيضًا[٦]- عن عكرمة، وأبي قلابة، وعلي بن الحسين، وابنِه محمد، وسعيد بن المسيَّب، وسالم، ومحمد بن كعب القُرَظي، وأبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وأبي وائل، وابن سيرين، ومحمد بن المنكدر، ونافع مولى ابن عمر، وعمر بن عبدالعزيز، والأزرق بن قيس، وحبيب بن أبي ثابت، وأبي الشعثاء، وعبدالله بن معقل بن مقرن، وعبدالله بن صفوان، ومحمد بن الحنَفيَّة، وعمرو بن دينار.

وهو المشهور من مذهب الشافعي[٧]، ونُسِب لأحمد في رواية لهـ)[٨]، ولكن قال ابن قدامة[٩]: "ولا تختلف الرواية عن أحمد أن الجهر بها غير مسنون".

(١) أخرجه عن ابن عمر وأبي هريرة - ابن أبي شيبة (١/ ٤١٢)، وأخرجه عن ابن عمر وابن عباس - النحاس في "القطع والائتناف" (١/ ١٠٤ -١٠٥)، وأخرجه عنهم وعن معاوية - البيهقي (٢/ ٤٦ -٥٠)

(٢) أخرجه عن شداد - النحاس في "القطع والائتناف" (١/ ١٤)

(٣) أخرجه عن سعيد بن جبير - عبدالرزاق - في الصلاة - باب قراءة "بسم الله الرحمن الرحيم" (٢٦١٤)، وابن أبي شيبة (١/ ٤١٢)، والنحاس في "القطع والائتناف" (١/ ١٠٦).

(٤) أخرجه عن الزهري - البيهقي (٢/ ٥٠)

(٥) أخرجه عن مجاهد وعطاء وطاوس - ابن أبي شيبة (١/ ٤١٢)، وأخرجه النحاس عن مجاهد وعطاء في "القطع والائتناف" (١/ ١٠٦)

(٦) في "تفسيره" (١/ ٣٥ -٣٦)

(٧) انظر: "الأم" (١/ ١٠٧)، "المهذب" (١/ ٧٩)، "الاعتبار" للحازمي ص(٨٢)، "تفسير ابن كثير" (١/ ٣٥).

(٨) انظر: "الاعتبار" ص(٨٢).

(٩) في "المغني" (٢/ ١٤٩).

وقال ابن تيمية[(١)]:"وقد حكى القول بالجهر عن أحمد وغيره، بناء على إحدى الروايتين عنه من أنها من الفاتحة، فيجهر بها كما يجهر بسائر الفاتحة، وليس هذا مذهبَه، بل يُخافت بها عنده".

وروي عن الليث بن سعد[(٢)]، وأبي عبيد[(٣)]، وداود الظاهري[(٤)].

وقد سبقت الإشارة إلى أن أدلة القائلين بوجوب قراءة البسملة في الصلاة هي نفسُها أدلة القائلين بالجهر بها، ومنها ما يلي:

١ - أن الصحابة كتَبوها في المصحف، مع أنهم جرَّدوه عما ليس من القرآن[(٥)]، مما يدل على وجوب قراءتها والجهر بها.

والجواب عن هذا: أنه إنما تجب قراءتها والجهرُ بها لو كانت من السورة، وبخاصة مع الفاتحة، والصحيح أنها آية مستقلة من القرآن، كما تَقدَّم بيان ذلك.

٢ - ما رواه نعيمٌ المُجْمِرُ قال:"صلَّيتُ وراء أبي هريرة، فقرأ: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، ثم قرأ بأمِّ القرآن، حتى بلغ ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾، فقال: آمين، فقال الناس: آمين، ويقول كلما سجد: الله أكبر، وإذا قام من الجلوس في الاثنتين، قال: الله أكبر، وإذا سلَّم قال:

(١) انظر: "مجموع الفتاوى" (٢٢/ ٤٤٢)
(٢) انظر: "الاستذكار" (٢/ ١٧٦).
(٣) انظر: "الاعتبار" ص(٨١).
(٤) انظر: "الاستذكار" (٢/ ١٧٧).
(٥) انظر: "مجموع الفتاوى" (٢٢/ ٤٣٢).

والذي نفسي بيده، إني لَأشبَهُكم صلاةً برسول الله ﷺ"[(١)].

قالوا: فهذا الحديث يدل على مشروعية الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم؛ لأن قوله:"فقرأ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يؤخذ منه أنه قرأها جهرًا، وإلا فكيف يعلم أن أبا هريرة قرأها؟ وحيث قال أبو هريرة في نهاية الحديث:"والذي نفسي بيده، إني لَأشبَهُكم صلاةً برسول الله ﷺ"، فهذا يدل على أنه ﷺ يجهر بها.

وقد أجاب أهل العلم من القائلين بعدم الجهر عن هذا الحديث بجوابين:

الأول: من حيث صحة سنده، فقد ضعَّفه جمعٌ من أهل العلم.

وقد أطال الزيلعي في "نصب الراية"[(٢)] في ذكر كلام الأئمة في تضعيفه، وأجاب عنه، وأعَلَّه من وجوه عدة، وكذا أعَلَّه وأجاب عنه من وجوه عدة الزبيديُّ[(٣)]، كما ضعَّف إسنادَه الألباني[(٤)].

الجواب الثاني: أن دلالته على الجهر ليست صريحة – على فرض صحته – فيحتمل أن أبا هريرة أسَرَّ بها، ويحتمل أنه قصد تعليمهم، أو غير ذلك.

(١) أخرجه النسائي – في الصلاة – في الافتتاح – قراءة "بسم الله الرحمن الرحيم" (٩٠٥)، وقال الألباني: "ضعيف الإسناد".وأخرجه ابن خزيمة – في الصلاة – باب ذكر الدليل على أن الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم والمخافتة به جميعًا مباح (٤٩٩)، والدارقطني – في الصلاة – باب وجوب قراءة "بسم الله الرحمن الرحيم" حديث (١٤)، وقال: "صحيح، رواته كلهم ثقات"، والحاكم – في الصلاة – (١/ ٢٣٢)، وقال: "صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه" والبيهقي (٢/ ٤٦)، وقال: "إسناده صحيح وله شواهد".

(٢) (١/ ٣٣٥-٣٤١).

(٣) في "الرد على من أبى الحق، وادعى أن الجهر بالبسملة من سنة سيد الخلق" (١/ ١٩ وما بعدها).

(٤) راجع تخريج الحديث.

قال الجصاص[(١)] :"حديث نعيمٍ المُجمرِ لا دلالة فيه على الجهر بها؛ لأنه إنما ذكر أنه قرأها، ولم ينقل عنه أنه جهر بها".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[(٢)] :"فإن العارفين بالحديث يقولون: إنه عمدتهم في هذه المسألة، ولا حجة فيه...فقد يكون أبو هريرة قصد تعريفهم أنها تُقرَأُ في الجملة، وإن لم يجهر بها، وحينئذٍ فلا يكون هذا مخالفًا لحديث أنس الذي في الصحيح وحديث عائشة الذي في الصحيح، هذا إذا كان الحديث دالًّا على أنه جهر بها، فإن لفظه ليس صريحًا بذلك من وجهين؛ أحدهما: أنه قال: قرأ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فيحتمل أنه قرأها سرًّا...الثاني: أنه لم يُخبِر أن النبي ﷺ قرأها، وإنما قال في آخر الصلاة:"إني لأشبَهُكم صلاةً برسول الله ﷺ".

وفي الحديث: أنه أمَّنَ، وكبَّر في الخفض والرفع، وهذا ونحوه مما كان يتركه الأئمة، فيكون أشبَهَهم برسول الله ﷺ من هذه الوجوه التي فيها ما فعَلَه الرسول ﷺ وتركوه هم، ولعل قراءتها مع الجهر أشبَهُ بصلاة رسول الله ﷺ من تركها".

٣ - ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه:"أن معاوية لما قدم المدينة صلَّى بهم، فلم يجهر بالبسملة، فأنكر عليه المهاجرون والأنصار، فأعاد بهم الصلاة وجهر بها"[(٣)].

قالوا: فإنكار المهاجرين والأنصار على معاوية تـرْكَ الجهر بالبسملة، وإعادتُه الصلاة

---

(١) في "أحكام القرآن" (١/ ١٦)

(٢) انظر: "مجموع الفتاوى" (٢٢/ ٤٢٢، ٤٢٥).

(٣) أخرجه - الدارقطني - في الصلاة - باب وجوب قراءة "بسم الله الرحمن الرحيم" والجهر بها (٣٣)، وقال عن رجاله: "كلهم ثقات"، والشافعي في "الأم" (١/ ٩٣ -٩٤).والحاكم (١/ ٢٣٢)، وقال: "صحيح على شرط مسلم".قال الخطيب فيما نقله الزيلعي في "نصب الراية" (١/ ٣٥٣): "هو أجود ما يعتمد عليه في هذا الباب".وانظر: "سنن البيهقي" (٢/ ٤٩)، "الاستذكار" (٢/ ١٨٠) وقد ضعَّف هذا الحديثَ جمعٌ من أهل العلم، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية، والزيلعي، والزبيدي، وغيرهم - كما هو مذكور بعاليه.

بهم، والجهر بها، يدلُّ على أن السُّنة الجهر.

وهذا الحديث ضعَّفه من حيث سنده ومتنُه عددٌ من المحققين، منهم: شيخ الإسلام ابن تيمية[(١)]، فقد ضعَّفه من وجوه ستة، ثم قال بعدها: "فهذه الوجوه وأمثالها، إذا تدبَّرَها العالِمُ، قطع بأن حديث معاوية إما باطل لا حقيقة له، وإما مغيَّر عن وجهه، وأن الذي حدَّث به بلغه من وجه ليس بصحيح، فحصلت الآفة من انقطاع إسناده.وقيل: هذا الحديث لو كان تقوم به حجة، لكان شاذًّا؛ لأنه خلاف ما رواه الناس الثقاتُ الأثبات عن أنس وعن أهل المدينة وأهل الشام، ومن شرط الحديث الثابت ألا يكون شاذًّا، ولا معلَّلًا، وهذا شاذ معلل، وإن لم يكن من سوء حفظ بعض رُواته...".

كما ضعَّفه الزيلعي[(٢)] والزبيدي[(٣)] من حيث سنده ومتنه من وجوه عدة، وذكرا كلامَ الأئمة في تضعيفه.

٤ - ما رواه أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سُئل عن قراءة النبي ﷺ فقال: "كانت مدًّا يمُدُّ (بسم الله)، ويمُدُّ بـ(الرحمن)، ويمُدُّ بـ(الرحيم)"[(٤)].

٥ - ما روتْه أم سلمة رضي الله عنها قالت: "كان النبي ﷺ يقطِّع قراءته تقطيعًا: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾...الحديث"[(٥)].

قالوا: فهذان الحديثان يدلانِ على أنه ﷺ كان يجهر بالبسملة.

والصحيح أنه لا حجة في هذين الحديثين؛ لأنه ليس فيهما ما يدل صراحة على أنه ﷺ

(١) انظر: "مجموع الفتاوى" (٢٢/ ٤٣٠ -٤٣٢).

(٢) في "نصب الراية" (١/ ٣٥٣-٣٥٥).

(٣) في "الرد على من أبى الحق" ص(٤٣).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

كان يفعل ذلك في الصلاة"[١].

٦ - ما رواه المعتمر بن سليمان عن أبيه عن أنس رضي الله عنه قال:"كان رسول الله ﷺ يجهر بالقراءة ببسم الله الرحمن الرحيم"[٢].

وهذا الحديث - وإن صحَّحه الحاكم - ففيه نظر؛ لأنه يعارض ما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن أنس وغيره، من عدم جهر الرسول ﷺ وخلفائه بها - كما سيأتي في أدلة القول الثاني.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[٣]: "يعلم أولًا أن تصحيح الحاكم وحده وتوثيقه وحده لا يوثق به فيما دون هذا، فكيف في مثل هذا الموضع الذي يعارض فيه بتوثيق الحاكم، وقد اتفق أهل العلم بالصحيح على خلافه، ومن له أدنى خبرة في الحديث وأهله، لا يعارض بتوثيق الحاكم ما قد ثبت في الصحيح خلافُه...".

إلى غير ذلك من الأحاديث التي استدلوا بها[٤] وهي بين ضعيفٍ، أو موضوع، أو مما لا حجة لهم فيه، كما بيَّن ذلك جمع من المحققين.

قال الدارقطني[٥]: "كل ما رُويَ عن النبي ﷺ في الجهر، فليس بصحيح، وأما عن الصحابة فمنه صحيح ومنه ضعيف".

(١) انظر: "أحكام القرآن" للجصاص (١/ ١٦).

(٢) أخرجه الدارقطني في الصلاة - وجوب قراءة "بسم الله الرحمن الرحيم" (٢٦)، والحاكم (١/ ٢٣٤)، وقال: "رواة هذا الحديث كلهم عن آخرهم ثقات"، ووافقه الذهبي.

(٣) انظر: "مجموع الفتاوى" (٢٢/ ٤٢٦ -٤٣٠)، وانظر: "الفتاوى الكبرى" لابن تيمية أيضًا (١/ ٩٧ - ١٠٠).

(٤) انظر: "الاستذكار" (٢/ ١٧٧).

(٥) انظر: "التحقيق" لابن الجوزي (١/ ٣١٣).

وقال ابن الجوزي في "التحقيق"[(١)] بعد أن ذكر الأحاديث التي استدل بها الشافعية على الجهر وبيَّن ضعفها: "وهذه الأحاديث في الجملة لا يحسُن بمن له علم بالنقل أن يعارض بها الأحاديث الصحاح...ويكفي في هجرانها إعراضُ المصنفين للمسانيد والسنن عن جمهورها".

وذكر قول الدارقطني السابق، ثم قال: "ثم إنَّا بعد ذلك نحمل أحاديثهم على أحد أمرين: إما أن يكون جهر بها للتعليم، كما رُوِيَ أنه كان يصلي بهم الظهر فيُسمِعهم الآية والآيتين بعد الفاتحة أحيانًا...".

وقال ابن قدامة[(٢)]: "وسائر أخبار الجهر ضعيفة؛ فإن رواتها هم رواة الإخفاء، وإسناد الإخفاء صحيح ثابت بغير خلاف فيه، فدلَّ على ضعف رواية الجهر".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[(٣)]: "وقد اتفق أهل المعرفة بالحديث على أنه ليس في الجهر بها حديثٌ صريح، ولم يروِ أهل السنن المشهورة؛ كأبي داود والترمذي والنسائي، شيئًا من ذلك، وإنما يوجد الجهر بها صريحًا في أحاديث موضوعة يرويها الثعلبي والماوردي وأمثالهما في التفسير، أو في بعض كتب الفقهاء، الذين لا يميِّزون بين الموضوع وغيره، بل يحتجون بمثل حديث الحُمَيْراء".

وقال - أيضًا[(٤)] - بعدما ذكر مذهب القائلين بالجهر بالبسملة: "واعتمدوا على آثار منقولة بعضها عن الصحابة، وبعضها عن النبي ﷺ، فأما المأثور عن الصحابة كابن الزبير ونحوه، ففيه صحيح، وفيه ضعيف، وأما المأثور عن النبي ﷺ، فهو ضعيف أو موضوع، كما

(١) (١/ ٣١٢)، وانظر: (٣٠١-٣١٤).
(٢) في "المغني" (٢/ ١٥١).
(٣) انظر: "مجموع الفتاوى" (٢٢/ ٤١٥).
(٤) انظر: "مجموع الفتاوى" (٢٢/ ٤٤١).

ذكر ذلك حفاظ الحديث، كالدارقطني وغيره...".

وقال – أيضًا[(١)] ـ:"وإنما كثر الكذب في أحاديث الجهر؛ لأن الشيعة ترى الجهر، وهم أكذَبُ الطوائفِ، فوضَعوا في ذلك أحاديث لبسوا بها على الناس دينَهم؛ ولهذا يوجد في كلام أئمة السنة من الكوفيين كسُفيان الثوري أنهم يذكُرون من السنة المسحَ على الخفين، وترك الجهر بالبسملة، كما يذكرون تقديمَ أبي بكر وعمر، ونحو ذلك؛ لأن هذا كان من شعار الرافضة؛ ولهذا ذهب أبو علي بن أبي هريرة أحد الأئمة من أصحاب الشافعي إلى ترك الجهر بها، قال: لأن الجهر بها صار من شعار المخالفين".

وقال ابن القيم[(٢)] مشيرًا إلى أحاديث الجهر:"فصحيح تلك الأحاديث غير صريح، وصريحُها غير صحيح".

وقد أطال الزيلعي في "نصب الراية"[(٣)] في ذكر كلام أهل العلم في تضعيف الأحاديث والآثار الواردة في الجهر بالبسملة، ثم قال[(٤)]:

"وبالجملة هذه الأحاديث كلُّها ليس فيها صريح، ولا صحيح، بل فيها عدمهما، أو عدم أحدهما، وكيف تكون صحيحة وليست مخرجةً في شيء من الصحيح، ولا المسانيد، ولا السنن المشهورة، وفي روايتها الكذَّابون والضعفاء والمجاهيل..."كما ضعَّف أحاديثَ الجهر الزبيديُّ[(٥)].

**القول الثاني:** أنه يسنُّ الإسرار بالبسملة في الصلاة مطلقًا، وهو قول جمهور أهل العلم من

(١) انظر: "مجموع الفتاوى" (٢٢/ ٤٢٣).
(٢) في "زاد المعاد" (١/ ٢٠٦).
(٣) (١/ ٣٢٥-٣٦٣).
(٤) (١/ ٣٥٥-٣٥٦).
(٥) في "الرد على من أبى الحق" ص(١٨ –٥٢).

المحدِّثين والفقهاء وغيرهم[١]. وهو الثابت عن الخلفاء: أبي بكر وعمر وعثمان[٢]، وعلي[٣] رضي الله عنهم، وعن أنس[٤]، وعائشة رضي الله عنهما[٥]، ورُويَ عن ابن عباس رضي الله عنهما[٦]، وبه قال ابن مسعود، وعبدالله بن الزبير، وعمَّار بن ياسر رضي الله عنهم، وعروة بن الزبير، وأبو وائل، ومحمد بن سيرين، والحكم بن عتيبة، وإبراهيم النخعي[٧]، والحسن وقتادة وعمر بن عبدالعزيز[٨]، وعكرمة[٩]، والأوزاعي، وسفيان الثوري[١٠]، وسعيد بن جبير والأعمش والشعبي[١١]، وأبو حنيفة وأصحابه[١٢]، وأحمد بن حنبل[١٣]،

(١) انظر: "سنن الترمذي" (٢/ ١٤)، "الاعتبار" للحازمي ص(٨١)، "المغني" (٢/ ١٤٩).

(٢) بدليل حديث أنس الآتي قريبًا. وانظر: "سنن الترمذي" (٢/ ١٤)، "أحكام القرآن" للجصاص (١/ ١٧)، "الاستذكار" (٢/ ١٧٧).

(٣) أخرجه عن علي بن أبي طالب ﷺ عبدالرزاق - في الصلاة (٢٦٠١)، وابن أبي شيبة (١/ ٤١١)، والطحاوي في "شرح معاني الآثار" (١/ ٢٠٤)، وابن عبدالبر في "الاستذكار" (٢/ ١٧٨).

(٤) أخرجه عن أنس - ابن أبي شيبة (١/ ٤٠١)، وسيأتي ذكر روايته ذلك عن الرسول ﷺ وخلفائه.

(٥) سيأتي ذكر حديثها.

(٦) أخرجه عن ابن عباس - عبدالرزاق (٢٦٠٥)، وابن أبي شيبة (١/ ٤١١)، والطحاوي في "شرح معاني الآثار" (١/ ٢٠٤).

(٧) أخرجه عنهم جميعًا ابن أبي شيبة (١/ ٤١٠ -٤١١)، وانظر: "الاستذكار" (٢/ ١٧٩).

(٨) أخرجه عن الحسن وقتادة وعمر بن عبدالعزيز - عبدالرزاق (٢٦٠٤).

(٩) انظر: "أحكام القرآن" للجصاص (١/ ١٥).

(١٠) انظر: "الاستذكار" (١/ ١٥٤، ١٧٦ -١٧٧)، "المغني" (٢/ ١٤٩)، "الجامع لأحكام القرآن" (١/ ٩٦).

(١١) انظر: "زاد المسير" (١/ ٨).

(١٢) انظر: "المبسوط" (١/ ١٥)، "أحكام القرآن" للجصاص (١/ ٨، ٩، ١٥)، "فتح القدير" لابن الهمام (١/ ٢٩١)، "نصب الراية" (١/ ٣٢٨).

(١٣) انظر: "مسائل الإمام أحمد" رواية النيسابوري (١/ ٥٢، ٥٣، ٥٥)، "مسائل الإمام أحمد" رواية ابنه عبدالله ص(٧٦)، "المغني" (٢/ ١٤٩).

وعبدالله بن المبارك، وإسحاق بن راهويه)[١]، وأبو عبيد[٢]، وجماعة من أصحاب الشافعي[٣]، وغيرهم كثير[٤].

واستدل أصحاب هذا القول بأحاديث صحيحة صريحة، منها:

١ - ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ وعن الخلفاء أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أنهم كانوا لا يجهرون بـ"بسم الله الرحمن الرحيم".

وقد أخرجه الأئمة عن أنس رضي الله عنه بروايات وألفاظ متعددة، منها:"أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما، كانوا يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين"[٥].

وفي لفظ عن أنس رضي الله عنه قال:"صليتُ خلف النبي ﷺ وأبي بكر، وعمر، وعثمان، فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين، لا يذكرون ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ في أول قراءة، ولا في آخرها".

وفي لفظ:"صليتُ مع رسول الله ﷺ وأبي بكر، وعمر، وعثمان، فلم أسمع أحدًا منهم يقرأ: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾"[٦].

وفي لفظ قال:"صلى بنا رسول الله ﷺ، فلم يُسمِعْنا قراءة ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، وصلى بنا أبو بكر وعمر، فلم نَسمَعْها منهما"[٧].

(١) انظر: "سنن الترمذي" (١/ ١٤)، "المغني" (٢/ ١٤٩).

(٢) انظر: "الجامع لأحكام القرآن" (١/ ٩٦).

(٣) انظر: "مجموع الفتاوى" (٢٢/ ٤٤٢).

(٤) انظر: "الاستذكار" (١/ ١٥٤)، "الرد على من أبى الحق" ص(٦٤ -٦٦).

(٥) أخرجه البخاري (٧٨٢)، والنسائي (٨٦٧)، والترمذي (٢٤٦)، وابن ماجه (٤٩١).

(٦) أخرجهما مسلم في الصلاة - حجة من قال: لا يجهر بالبسملة (٣٩٩).

(٧) أخرجه النسائي (٨٧٠).

وفي لفظ قال: "صليتُ خلف رسول الله ﷺ وأبي بكر، وعمر، وعثمان رضي الله عنهم، فلم أسمع أحدًا منهم يجهر بـ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾"[(١)].

وفي لفظ: "صليتُ مع رسول الله ﷺ ومع أبي بكر وعمر، فلم يجهروا بـ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾"[(٢)]، وفي لفظ بزيادة: "وعثمان"[(٣)].

وفي لفظ: "أن النبي ﷺ لم يجهر بـ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، ولا أبو بكر، ولا عمر، ولا عثمان"[(٤)].

وفي لفظ: "أن رسول الله ﷺ كان يُسِرُّ بـ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ في الصلاة وأبو بكر وعمر"[(٥)].

وفي لفظ: "لم يكن رسول الله ﷺ، ولا أبو بكر ولا عمر رضي الله عنهما، يجهرون بـ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾"[(٦)].

فحديث أنس هذا برواياته كلِّها، يدل على أن الثابت من فعل الرسول ﷺ وخلفائه الإسرارُ بالبسملة، وعدم الجهر بها[(٧)].

---

(١) أخرجه النسائي (٨٧١)، والدارقطني في "سننه" كتاب الصلاة – اختلاف الروايات في الجهر بـ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ حديث (١)، والطحاوي في "شرح معاني الآثار" (١/ ٢٠٢)، وابن خزيمة في "صحيحه" (٤٩٤) إلا أنه قال: "فلم أسمع أحدًا منهم يقرأ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾".

(٢) أخرجه أحمد في "المسند" (٣/ ٢٦٤)، وابن خزيمة في "صحيحه" (٤٩٧).

(٣) أخرجه الدارقطني في الباب السابق (٣، ٤، ٥)، وابن خزيمة في "صحيحه" (٤٩٥).

(٤) أخرجه ابن خزيمة في "صحيحه" (٤٩٦).

(٥) أخرجه ابن خزيمة في "صحيحه" (٤٩٨).

(٦) أخرجه الطحاوي في "شرح معاني الآثار" (١/ ٢٠٣).

(٧) انظر: "التحقيق" (١/ ٢٩٨)، "المغني" (٢/ ١٥٠).

قال الدارمي في "سننه"[(١)] مُبَوِّبًا: "باب كراهية الجهر بـ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، ثم أخرج حديث أنس بلفظ: "أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين"، قال الدارمي: وبهذا نقول، ولا أرى الجهر بـ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

وقال ابن خزيمة في "صحيحه"[(٢)] مبوبًا: باب ذكر الدليل على أن أنسًا إنما أراد بقوله: "لم أسمع أحدًا منهم يقرأ: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾؛ أي: لم أسمع أحدًا منهم يقرأ جهرًا ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، وأنهم كانوا يُسِرُّونَ بـ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ في الصلاة".

وقال الطحاوي في "شرح معاني الآثار"[(٣)] بعد أن ذكر روايات حديث أنس: "ففي ذلك دليل على أنهم يقولونها من غير طريق الجهر، ولولا ذلك لما كان لذِكرِهم نفيَ الجهر معنى، فثبت بتصحيح هذه الآثار تركُ الجهر بـ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[(٤)]: "أما حديث أنس في نفي الجهر، فهو حديث صريح..فإنه قد رواه مسلم في صحيحه، فقال فيه: "صليتُ خلف النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان، فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين، لا يذكرون ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ في أول قراءة، ولا في آخرها"، وهذا النفي لا يجوز إلا مع العلم بذلك، لا يجوز بمجرد كونه لم يسمع مع إمكان الجهر بلا سماع.

واللفظ الآخر في صحيح مسلم: "صليتُ خلف النبي ﷺ، وأبي بكر وعمر وعثمان، فلم أسمع أحدًا منهم يجهر، أو قال: يصلي بـ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾"، فهذا نفى فيه

(١) (١/ ٢٨٣).

(٢) (١/ ٢٤٩).

(٣) (١/ ٢٠٣، ٢٠٤).

(٤) انظر: "مجموع الفتاوى" (٢٢/ ٤١٠ -٤١٣).

السماع، ولو لم يرو إلا هذا اللفظ لم يجز تأويلُه بأن النبي ﷺ كان يقرأ جهرًا ولا يسمع أنس؛ لوجوه...- وبعد أن ذكر ابن تيمية هذه الوجوه - قال: فتبيَّن أن هذا تحريف لا تأويل.

وقال أيضًا[(١)] :"وأما اللفظ الآخر"لا يذكرون"، فهو إنما ينفي ما يمكن العلم بانتفائه، وذلك موجود في الجهر، فإنه إذا لم يسمع مع القرب، علم أنهم لم يجهروا".

وقال ابن حجر في"بلوغ المرام"[(٢)] بعد أن ذكر حديث أنس، من رواية البخاري ومسلم، وبعد أن أشار إلى أن في رواية أحمد والنسائي وابن خزيمة"لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم"، وإلى الرواية الأخرى لابن خزيمة:"كانوا يُسِرُّونَ"، قال:"وعلى هذا يحمل النفي في رواية مسلم"؛ يعني قوله:"لا يذكُرون اسم الله في أول قراءة، ولا في آخرها".

٢ - حديث عائشة رضي الله عنها قالت:"كان رسول الله ﷺ يفتتح الصلاة بالتكبير، والقراءةَ بالحمد لله رب العالمين.."[(٣)].

٣ - حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال:"كان رسول الله ﷺ إذا نهض إلى الركعة الثانية استفتح القراءة ولم يسكت"[(٤)].

ووجه الدلالة من هذين الحديثين - كما تقدم في حديث أنس - هو أنهم يُسِرُّونَ بقراءتها، ولا يجهرون بها، لا أنهم يتركُونها.

٤ - حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (قال الله تعالى: قَسَمتُ الصلاةَ بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، قال الله:

---

(١) انظر: "مجموع الفتاوى" (٢٢/ ٤١٤، ٤١٥)، وانظر: "الفتاوى الكبرى" (١/ ٨٨).

(٢) ص(٥٦)، (٢٩٧ - ٣٠٠).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٥٩٩).

حمدني عبدي...الحديث"[(١)].

قال ابن قدامة[(٢)] :"وهذا يدل على أنه لم يذكر ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ولم يجهر بها".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[(٣)] – بعد أن أشار إلى حديث أبي هريرة هذا –:"فيه دليل على أنها ليست من القراءة الواجبة، ولا من القراءة المقسومة".

فهذا يدل على أن البسملة ليست من السورة، فلا يجهر بها.

إلى غير ذلك من الأدلة الصحيحة الصريحة على أن السُّنة الإسرارُ بالبسملة، وقد اختار هذا أكثرُ المحققين:

قال الجصاص[(٤)] :"والإخفاء أولى من وجهين: أحدهما: ظهور عمل السلف بالإخفاء دون الجهر، وقول إبراهيم: الجهر بها بدعة.والوجه الآخر: أن الجهر بها لو كان ثابتًا، لَوَرَدَ النقل به مستفيضًا متواترًا، كوُروده في سائر القراءة، فلما لم يَرِدِ النقل به من جهة التواتر، عَلِمْنا أنه غير ثابت؛ إذ الحاجة إلى معرفة مسنون الجهر بها كَهِيَ إلى معرفة الجهر في سائر فاتحة الكتاب".

وقال القرطبي[(٥)] :"وهذا قول حسن، وعليه تتفق الآثار عن أنس ولا تتضاد، ويخرج به من الخلاف في قراءة ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾".

(١) سبق تخريجه.

(٢) في "المغني" (٢/ ١٥٠).

(٣) انظر: "مجموع الفتاوى" (٢٢/ ٤٢٢ -٤٢٣).

(٤) في "أحكام القرآن" (١/ ١٧).

(٥) في "الجامع لأحكام القرآن" (١/ ٩٦).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[(١)] :"لم يثبت عن النبي ﷺ أنه كان يجهر بها، وليس في الصحاح ولا السنن حديثٌ صحيح صريح بالجهر، والأحاديث الصريحة بالجهر كلُّها ضعيفة، بل موضوعة؛ ولهذا لما صنَّف الدارقطني في ذلك مصنَّفًا قيل له: هل في ذلك شيء صحيح؟ فقال: أما عن النبي ﷺ فلا، وأما عن الصحابة فمنه صحيح، ومنه ضعيف.ولو كان النبي ﷺ يجهر بها دائمًا لكان الصحابة ينقُلون ذلك، ولكان الخلفاء يعلمون ذلك، ولما كان الناس يحتاجون أن يسألوا أنس بن مالك بعد انقضاء عصر الخلفاء، ولما كان الخلفاء الراشدون، ثم خلفاء بني أمية، وبني العباس كلُّهم متفقين على ترك الجهر، ولما كان أهل المدينة – وهم أعلم أهل المدائن بسنته – يُنكِرونَ قراءتها بالكليَّة سرًّا وجهرًا".

وقال – أيضًا[(٢)] –:"فمن المعلوم أن الجهر بها مما تتوافر الهممُ والدواعي على نقله، فلو كان النبي ﷺ يجهر بها كالجهر بسائر الفاتحة، لم يكن في العادة ولا في الشرع تركُ نقل ذلك، بل لو انفرَدَ بنقل مثل هذا الواحدُ والاثنان لَقُطِعَ بكذبهما؛ إذ التواطؤ فيما تَمنَعُ العادةُ والشرع كتمانَه كالتواطؤ على الكذب فيه".

القول الثالث:

التخيير بين الجهر والإسرار، وهذا القول يُروى عن الحكم بن عتيبة، وإسحاق بن راهويه)[(٣)]، وابن أبي ليلى[(٤)]، وهو اختيار ابن حزم[(٥)].

والذين رُويَ عنهم هذا القولُ كأنهم أرادوا الجمع بين أدلة الجهر وأدلة الإسرار، علمًا أن

(١) انظر: "مجموع الفتاوى" (٢٢/ ٢٧٥ -٢٧٦).

(٢) انظر: "مجموع الفتاوى" (٢٢/ ٤١٥)، وانظر: (٤٠٨، ٤١٧ -٤٢٠).

(٣) انظر: "القطع والائتناف" (١/ ١٠٦).

(٤) انظر: "أحكام القرآن" للجصاص (١/ ١٥)، "الاستذكار" (١/ ١٥٤).

(٥) انظر: "المحلى" (١/ ٢٥١).

أدلة الجهر لا تكافئ أدلة الإسرار، بل وليس فيها دليل واحد صحيحُ النقل صريحُ الدلالة على الجهر - كما تقدم ذكر كلام الأئمة في ذلك.

فالقول بالتخيير للمصلِّي بين الجهر والإسرار بالبسملة ليس بصحيح، وفرقٌ بين هذا وبين أن يقال: يجوز الجهر بها لحاجة كتعليم ونحوه، فهذا لا بأس به، أو أن يقال: تصح صلاة من أسَرَّ بها ومن جهر، فهذا - أيضًا - صحيح؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية[١] :"فإن الجهر بها والمخافتة سُنة، فلو جهر بها المخافت صحَّتْ صلاته بلا ريب".

وقال الحافظ ابن كثير[٢] :"أجمَعوا على صحة صلاة مَن جهر بالبسملة، ومن أسَرَّ بها، ولله الحمد والمنة".

أمَّا أن يكون المصلي مخيَّرًا بين هذا وهذا على حد سواء، فليس بصحيح؛ فالجهر إنما يجوز أحيانًا لعارض؛ كتعليم المأمومين ونحو ذلك.

كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية[٣] أنه يستحب الجهر بها لمصلحة راجحة، وذكر عن أحمد أنه يُستحب الجهر بها في المدينة؛ لأنهم يُنكِرون على من لم يجهر بها، ثم ذكر ابن تيمية - أيضًا - أنه يجوز الجهر بها لبيان أن قراءتها سُنة، ثم قال:"ولهذا نُقل عن أكثر مَن روي عنه الجهر بها المخافتة...".

وقال - أيضًا[٤] -:"وكون الجهر بها لا يُشرَع بحال - مع أنه قد ثبت عن غير واحد من الصحابة - نسبةٌ للصحابة إلى فعل المكروه وإقرارِه، مع أن الجهر في صلاة المخافتة يُشرَع لعارِضٍ".

---

(١) انظر: "مجموع الفتاوى" (٢٢/ ٤٤٢).

(٢) في "تفسيره" (١/ ٣٦).

(٣) انظر: "مجموع الفتاوى" (٢٢/ ٤٠٧، ٤٢٤).

(٤) انظر: "المصدر السابق" (٢٢/ ٤٠٨).

وقال – أيضًا[١] –:"ومع هذا، فالصواب أن ما لا يجهر به، قد يشرع الجهر به لمصلحة أحيانًا؛ لمثل تعليم المأمومين، ويسوغ للمصلِّين أن يجهروا بالكلمات اليسيرة أحيانًا[٢]، ويسوغ – أيضًا – أن يترك الإنسان الأفضل لتأليف القلوب، واجتماع الكلمة؛ خوفًا من التنفير عما يصلح، كما ترك النبي ﷺ بناء البيت على قواعد إبراهيم؛ لكون قريش كانوا حديثي عهد بالجاهلية، وخشي تنفيرهم بذلك[٣]، ورأى أن مصلحة الاجتماع والائتلاف مقدَّمةٌ على مصلحة البناء على قواعد إبراهيم".

وقال ابن القيم في "زاد المعاد"[٤] :"وكان – يعني النبيَّ ﷺ – يجهر بـ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ تارة، ويخفيها أكثر مما يجهر بها، ولا ريب أنه لم يكن يجهر بها دائمًا في كل يوم وليلة خمس مرات أبدًا حضرًا وسفرًا ويَخْفى ذلك على خلفائه الراشدين، وعلى جمهور أصحابه، وأهل بلده، في الأعصار الفاضلة، هذا من أمحلِ المحال، حتى يحتاج إلى التشبث فيه بألفاظ مجملة وأحاديث واهية، فصحيحُ تلك الأحاديث غير صريح، وصريحها غير صحيح". انتهى من «عون الرحمن في تفسير القرآن»

(١) انظر: "المصدر السابق" (٢٢/ ٤٣٦).

(٢) رَوى النيسابوري في "مسائل الإمام أحمد" (١/ ٥٣): "وسئل عن الرجل يصلي بالقوم، فيجهر بـ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، أيصلى خلفه؟ قال: أرجو ألا يكون به بأس، إذا لم يكن يجهر به شديدًا، قد فعله الصالحون، لا يجهر به شديدًا".

(٣) أخرجه البخاري – في كتاب الأنبياء (٣٣٦٨)، وفي التفسير – باب ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ (٤٤٨٤)، ومسلم في الحج – باب نقض الكعبة وبنائها (١٣٣٣) – عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ، أن النبي ﷺ قال: (ألم تَرَيْ أن قومك لما بنَوُا الكعبة، اقتصروا على قواعد إبراهيم؟)، فقلت: يا رسول الله، ألا تردُّها على قواعد إبراهيم؟ فقال: (لولا حدثان قومك بالكفر لفعلتُ).

(٤) (١/ ٢٠٦).

# الإيمان بالقدر

**وفيه مسائل:**

المسألة الأولى: التعريف بالقدر

المسألة الثانية: أدلة الإيمان بالقدر

المسألة الثالثة: أهمية الإيمان بالقدر

المسألة الرابعة: الخوض في القدر

المسألة الخامسة: أركان الإيمان بالقدر

المسألة السادسة: مواقف المخالفين من مراتب القدر

[٩]- قال المصنف-رَحِمَهُ اللَّهُ-:"يا شعيبُ بن حربٍ: لا ينفَعُك ما كتبت لك حتَّى تؤمِن بالقدَرِ خيرِهِ وشرِّهِ، وحلوِهِ ومُرِّهِ؛ كلٌّ مِن عند اللّٰه-عز وجل-.

يا شعيبُ بن حربٍ: والله ما قالت القدريَّةُ، بما قال اللّٰه،

ولا ما قالت الملائكةُ،

ولا ما قال النَّبيون،

ولا ما قال أهلُ الجنَّةِ،

ولا ما قال أهل النَّارِ،

ولا ما قال أخوهم إبليسُ-لعنه اللّٰه -.

قال اللّٰه وعمل: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣]

وقال تعالى : ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَاءَ اللهُ﴾ [الإنسان: الآية: ٣٠].

وقالت الملائكةُ: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: الآية: ٣٢].

وقال موسى-عليه السلام-: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾ [الأعراف: ١٥٥]

وقال نوح-عليه السلام-: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: ٣٤] .

وقال شعيب-عليه السلام-: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأعراف: الآية: ٨٩].

**وقال أهل الجنَّة: (الْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَنَنَا الله) [الأعراف: الآية: ٤٣].**

**وقال أهلُ النَّارِ: ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِينَ﴾ [المؤمنون: الآية: ١٠٦].**

**وقال أخوهم إبليسُ -لعنه اللّه-: [﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾] [الحجر: الآية: ٣٩].**

**الشرح**

الإيمان بالقدر خيره وشره، وهو أصل من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، وركن من أركان الإيمان.

**قال ابن القيم -رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٧٥١ هـ):**"إن أهم ما يجب معرفته على المكلف النبيل فضلا عن الفاضل الجليل ما ورد في القضاء والقدر والحكمة والتعليل، فهو من أسنى المقاصد، والإيمان به قطب رحى التوحيد ونظامه، ومبدأ الدين المبين وختامه، فهو أحد أركان الإيمان وقاعدة أساس الإحسان التي يرجع إليها ويدور في جميع تصاريفه عليها، فالعدل قوام الملك، والحكمة مظهر الحمد، والتوحيد متضمن لنهاية الحكمة وكمال النعمة، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير؛ فبالقدرة والحكمة ظهر خلقه وشرعه المبين؛ ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ **[الأعراف: الآية: ٥٤]**"(١).

**وفي هذا النص مسائل:**

## المسألة الأولى: التعريف بالقدر:

(١) مقدمة كتابه شفاء العليل (ص: ٣).

**القدر في اللغة:**

القضاء والحكم، وهو ما يقدره الله عز وجل من القضاء ويحكم به من الأمور على مبالغها ونهاياتها التي أرادها لها، ومنه ذكر (ليلة القدر) وهي الليلة التي تقدر فيها الأرزاق وتقضى. وأصل (قدر): يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته.(١)

**قال اللحياني-رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ٢٢٠ هـ):**"إن القدر بفتح الدال هو: الاسم، والقدر بسكون الدال هو: المصدر".(٢)

ويطلق القدر على معان؛ منها:

**١-معنى الحكم والقضاء.**

ومن ذلك حديث الاستخارة، وفيه: **(فاقدره لي ويسره لي)**.(٣) (٤)

٢-معنى الطاقة.ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾ **[البقرة: الآية: ٢٣٦]**، بفتح الدال، وقرئ بإسكانها.(٥).

**٣- معنى التضييق.**

ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ **[الفجر: الآية:١٦]**(٦).

**٤- معنى التقدير.**

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٦٢)، النهاية لابن الأثير (٤/ ٢٢)، مختار الصحاح للرازي (ص٢٤٨)، تاج العروس للزبيدي (١٣/ ٣٧٠)..

(٢) ينظر: لسان العرب لابن منظور (٥/ ٣٥٤٥).

(٣) أخرجه البخاري (١١٦٢) مطولا من حديث جابر بن عبد الله-رضي الله عنهما-.

(٤) ينظر: النهاية لابن الأثير (٤/ ٢٢)، مرقاة المفاتيح للقاري (٣/ ٩٨٦).

(٥) ينظر: تفسير ابن جرير (٤/ ٢٩٤)، النشر في القراءات العشر لابن الجزري (٢/ ٢٢٨).

(٦) ينظر: تفسير ابن جرير (٢٤/ ٣٧٦).

ومنه الحديث: **(فإن غم عليكم فاقدروا له)**.[١]

أي: قدروا له عدد الشهر حتى تكملوه ثلاثين يومًا، وقيل: قدروا له منازل القمر، فإنه يدلكم على أن الشهر تسع وعشرون أو ثلاثون.[٢].

ويقال: قدره: إذا قاسه، وقدرت الشيء، أي: هيأت.والقدرة تأتي بمعنى اليسار، والغنى، والقوة.[٣]

تلك من أهم معاني (القدر) لغة.وهناك معان أخرى تعرضت لها كتب اللغة[٤]

**والقدر في الاصطلاح:**

**قال ابن القيم-رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ٧٥١ هـ):** القدر:"وهو عند أهل السنة والجماعة: قدرة الله وعلمه ومشيئته وخلقه وكتابته، فلا تتحرك ذرة فما فوقها إلا بمشيئته وعلمه وقدرته"[٥]

والقَدَرُ في الاصطلاحِ: هو تقديرُ اللهِ تعالى الأشياءَ منذُ القِدَمِ، وعِلْمُه سُبحانَه أنها ستقعُ في أوقاتٍ معلومةٍ عنده، وعلى صفاتٍ مخصوصةٍ، وكتابتُه سُبحانَه لذلك، ومشيئتُه له، ووقوعُها على حَسَبِ ما قدَّرها، وخَلْقُه لها".[٦]

**قال السفاريني-رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ١١٨٨ هـ):**"هو ما سبق به العلم، وجرى به القلم مما هو

(١) رواه البخاري (١٩٠٠)، ومسلم (١٠٨٠) مطولا من حديث عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما-.

(٢) ينظر: النهاية لابن الأثير (٤/ ٢٣).

(٣) ينظر: الصحاح للجوهري (٢/ ٧٨٦)، مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٦٣)، لسان العرب لابن منظور (٥/ ٣٥٤٥) تاج العروس للزبيدي (١٣/ ٣٧٠).

(٤) يُنظر: الصحاح للجوهري (٢/٧٨٦)، أساس البلاغة للزمخشري (٢/ ٥٦)، لسان العرب لابن منظور (٥/ ٣٥٤٥) تاج العروس للزبيدي (١٣/ ٣٧٠).

(٥) انظر: شفاء العليل لابن القيم (ص: ١١٤).

(٦) يُنظر: العقيدة الواسطية لابن تيمية (ص: ١٠٥)، شفاء العليل لابن القيم (ص: ٨٣)، فتح الباري لابن حجر (١/ ١١٨)، لوامع الأنوار البهية للسفاريني (١/ ٣٤٨)..

كائن إلى الأبد، وأنه- عز وجل- قدَّر مقادير الخلائق، وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها".(١)

**وقال ابن حجر-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٨٥٢ هـ):** في تعريفه:"المراد أنّ الله- تعالى- علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها، ثمّ أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد، فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته".(٢)

## المسألة الثانية: أدلة الإيمان بالقدر:

نصوص القرآن والسنة متواترة في وجوب الإيمان بالقدر، وصريحة في أن كل شيء خلقه الله بقدر.

**فأما أدلة القرآن، فمنها ما يلي:**

لم يرد في القران التنصيص على وجوب الإيمان بالقدر، وإنما وردت أدلة مجملة تدل على تقدير الله للأشياء.(٣)

- قال تعالى: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: الآية: ٦٢].
- قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: الآية: ٤٩].
- وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب: الآية: ٣٨].
- وقال تعالى: ﴿وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: الآية: ٤٢].
- وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: الآية: ٢].

(١) عقيدة السفاريني (١/ ٣٤٨).

(٢) فتح الباري (١/ ١١٨).

(٣) القضاء والقدر، عبد الرحمن المحمود، (ص: ٨٦).

- وقال تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى: الآيات: ١-٣].

- وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: الآيات: ١ - ٢].

وسيأتي ذكر مزيد من الأدلة من القرآن عند بيان مراتب القدر.

**وأما أدلة السنة، فمنها ما يلي:**

وقد ورد التنصيص على الإيمان بالقدر في السنة ومن ذلك

- **عن عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-(ت: ٢٣ هـ)** في سؤال جبريل عليه السلام الرسول-صلى الله عليه وسلم- عن الإيمان قال: **(أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتؤمن بالقدر خيره وشره)**.قال (أي: جبريل عليه السلام): صدقت".[١].

- **عن جابر-رضي الله عنهما-(ت: مابين ٧٣ إلى ٧٧ هـ)** قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: **(لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره من الله، وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه»)**.[٢]

- **وعن طاووس بن كيسان-رحمه الله-(ت: ١٠٦ هـ)** أنه قال: أدركت ناسًا من أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، يقولون: كل شيء بقدر، قال: وسمعت عبد الله بن عمر يقول: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: **(كل شيء بقدر، حتى العجز والكيس)**.[٣]

- **وعن أبي هريرة-رضي الله عنه-(ت: ٥٧ هـ)** قال:"جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله-

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر، وعلامة الساعة (١/ ٣٦ رقم ٨).

(٢) رواه الترمذي: كتاب القدر، باب ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره، (ص: ٦/ ٣٥٦)-شرح تحفة الأحوذي)، رقم (٢٢٣١)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي رقم: (١٧٤٣)، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم: (٢٤٣٩).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب القدر باب كل شيء بقدر (٤/ ٢٠٤٥) رقم: (٢٦٥٥).

ﷺ-في القدر، فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ* إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: الآيات: ٤٨: ٤٩].(١).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي -ﷺ- قال: (لا يدخل الجنة عاق، ولا مدمن خمر، ولا مكذب بالقدر) (٢).

**أقوال السلف**

أجمع سلف الأمة على وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره، وأنه من أصول الإيمان الستة، التي لا يتم إسلام العبد ولا إيمانه إلا بها

ومن الآثار في هذا الباب ما أخرجه عبد الرزاق في مصنفه أن سلمان الفارسي -رضي الله عنه- سئل عن الإيمان بالقدر فقال:"إذا علم الرجل من قبل نفسه أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن يصيبه، فذلك الإيمان بالقدر".(٣)

عن علي بن أبي طالب-رضي الله عنه-(ت: ٤٠ هـ)، قال:"إذا قضي الأمر من السماء عمله أهل الأرض، وإن العبد لا يجد طعم الإيمان حتى يوقن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه".(٤).

**عن يحيى بن يعمر-رحمه الله-(ت: ٨٩ هـ)**؛ قال:"كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني.فانطلقت أنا **وحميد بن عبد الرحمن الحميري (ت: ١٠٠ هـ)**.حاجين أو معتمرين فقلنا: لو لقينا أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر.فوفق لنا

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب القدر باب كل شيء بقدر (٤/ ٢٠٤٦ رقم: (٢٦٥٦).

(٢) رواه الإمام أحمد، انظر الجامع الصحيح في القدر، تأليف مقبل الو ادعي، (ص: ١٤)، وهو في السلسلة الصحيحة رقم: (٦٧٥)،

(٣) مصنف عبد الرزاق (١١/ ١١٨)، وانظر: القضاء والقدر للبيهقي (ص: ٣٠٥).

(٤) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤/ ٦٦٦)، وانظر: القضاء والقدر للبيهقي (ص: ٢٩٩).

عبد الله بن عمر بن الخطاب-رضي الله عنهما-(ت: ٧٤ هـ) داخلا المسجد.فاكتنفته أنا وصاحبي.أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله.فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي.فقلت: أبا عبد الرحمن! إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم.وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر.وأن الأمر أنف.قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني[١].والذي يحلف به عبد الله بن عمر! لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر".[٢]

**عن الحسن البصري (ت: ١١٠ هـ):**"والله لولا الإيمان بالقدر لخربت الدنيا وما عمرتها، إن الله تعالى قدّر كل شيء بقدر معلوم"[٣].

**عن الحسن البصري-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ١١٠ هـ):** قال:"القدر نظام التوحيد، فمن وحد الله وآمن بالقدر تم توحيده، ومن وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده".[٤]

**عن مجاهد بن جبر-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ١٠٤ هـ):** قال:"الإيمان بالقدر نظام التوحيد".[٥]

**قال الأوزاعي (ت: ١٥٧ هـ):**"علينا أن نؤمن بالقدر خيره وشره، فالإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان، وقد علم الله تعالى ما يكون وما سيكون".[٦].

**قال الإمام سفيان الثوري (ت: ١٦١ هـ):**"من كفر بالقدر فقد كفر بما أنزل على محمد-

(١) قال الخطابى: فى تبرى ابن عمر منهم دليل على أن الخلاف إذا وقع في أصول الدين وتعلق بالمعتقدات يوجب البراءة، بخلاف ما تعلق بأصول الأحكام وفروعها".معالم السنن (٧/ ٦٥).

(٢) (صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في الأمر بالإيمان بالقدر (١/ ٨).

(٣) "كتاب التوكل" لابن أبي الدنيا (ص: ٢٩).

(٤) (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، رقم: (١٠٨٠).

(٥) (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، رقم: (١٠٩٦).

(٦) "البداية والنهاية" لابن كثير (١٠/ ٢٠٥).

ﷺ-، فإن الله تعالى قدّر كل شيء في الأزل".[(١)]

**قال الإمام ابن المبارك (ت: ١٨١ هـ):**"الإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، من أصول الإيمان، ولا يتم الإيمان إلا به".[(٢)]

**وقال الإمام ابن المبارك (ت: ١٨١ هـ):**"الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، ولا يكون العبد مؤمنًا حتى يؤمن بأن الله قدّر كل شيء وكتبه في اللوح المحفوظ".[(٣)]

**قال الإمام أبو حنيفة في"الفقه الأكبر" (ت: ١٥٠ هـ):**"والقدر خيره وشره من الله تعالى، نؤمن به ونعلم أن الله لم يكلفنا إلا ما نطيق، وأنه تعالى لم يجبر العباد على المعاصي، وأنه تعالى هو الخالق للأفعال".

قال الإمام مالك بن أنس (ت: ١٧٩ هـ):"الإيمان بالقدر واجب، من أنكر القدر فقد كفر، والإيمان بالقدر يتضمن الإيمان بأن كل ما يصيب الإنسان من خير أو شر فهو من الله تعالى".[(٤)]

**قال الإمام الشافعي (ت: ٢٠٤ هـ):**"لا يتم الإيمان إلا بالإيمان بالقدر، ومن أنكر القدر فقد أبطل علم الله السابق، ونسب الله إلى الجهل".[(٥)]

**قال الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١ هـ):**"والإيمان بالقدر خيره وشره، والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان بها، لا يقال: لم ولا كيف؟ إنما هو التصديق بها والإيمان بها".[(٦)]

---

(١) "الجامع" لمصنف عبد الرزاق (١١/ ٤٤).

(٢) "الزهد" لابن المبارك (ص: ١٩٤).

(٣) "سير أعلام النبلاء" (٨/ ٤٠٢).

(٤) "التمهيد" لابن عبد البر (٧/ ١٤٣).

(٥) "الرسالة" (ص: ٣٥١).

(٦) "أصول السنة" (ص: ٢٨).

**قال الإمام البخاري (ت: ٢٥٦ هـ):**"الإيمان بالقدر خيره وشره من أصول الإيمان".[(١)]

**قال الإمام مسلم (ت: ٢٦١ هـ):**"الإيمان بالقدر خيره وشره من أركان الإيمان".[(٢)]

**قال الإمام ابن ماجه (ت: ٢٧٣ هـ):**"والإيمان بالقدر خيره وشره ركن من أركان الإيمان، وقد وردت في ذلك أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ".[(٣)]

**قال الإمام ابن جرير الطبري (توفي ٣١٠ هـ):**"الإيمان بالقدر هو الإيمان بأن الله تعالى قد علم كل شيء وكتبه، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وهو من أركان الإيمان التي لا يتم إلا بها".[(٤)]

## المسألة الثالثة: أهمية الإيمان بالقدر وثمراته:

مما يدل على أهمية الإيمان:

**أولًا: الإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان لا يتم الإيمان إلا به.**

**قال الإمام الأوزاعي (ت: ١٥٧ هـ):**"علينا أن نؤمن بالقدر خيره وشره، فالإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان، وقد علم الله تعالى ما يكون وما سيكون".[(٥)]

**قال الإمام مالك بن أنس (ت: ١٧٩ هـ):**"الإيمان بالقدر من **أصول الإيمان**، ولا يكون الرجل مؤمنًا حتى يؤمن بأن كل شيء بقدر الله، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن".[(٦)]

**قال الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١ هـ):**"الإيمان بالقدر خيره وشره، والتصديق

(١) "صحيح البخاري" (٦٦١٤).

(٢) "صحيح مسلم" (٩٣).

(٣) "سنن ابن ماجه" (٧٧).

(٤) تفسير الطبري (١/ ١٤٧).

(٥) "البداية والنهاية" (١٠/ ٢٠٥).

(٦) "جامع بيان العلم وفضله" لابن عبد البر (٢/ ١٢٩٠).

بالأحاديث فيه، والإيمان بها، لا يقال: لم ولا كيف؟ إنما هو التصديق بها والإيمان بها".[١]

**قال الإمام ابن أبي عاصم (ت: ٢٨٧ هـ):**"الإيمان بالقدر هو من **أصول الإيمان**، ولا يصح الإيمان إلا به، وقد أمرنا الله بالإيمان به في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (سورة القمر: ٤٩)".[٢]

**قال الإمام الدارمي (توفي ٢٥٥ هـ):**"والإيمان بالقدر خيره وشره هو من **أصول الإيمان**، ولا يكون الرجل مؤمنًا حتى يؤمن بأن الله قدّر كل شيء وكتبه في اللوح المحفوظ".[٣]

**ثانيًا: الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان**

وهو الركن السادس من أركان الإيمان

**قال الإمام عبد الرحمن بن مهدي (ت: ١٩٨ هـ):**"الإيمان بالقدر من **أركان الإيمان**، ولا يتم الإيمان إلا به، ومن أنكره فقد كفر بما أنزل على محمد-ﷺ-".[٤]

**قال الإمام علي بن المديني (ت: ٢٣٤ هـ):**"الإيمان بالقدر خيره وشره من **أركان الإيمان**، ولا يكون الرجل مؤمنًا حتى يؤمن بأن الله قدّر كل شيء وكتبه في اللوح المحفوظ".[٥]

**قال الإمام ابن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ):**"الإيمان بالقدر هو الإيمان بأن الله تعالى قد علم كل شيء وكتبه، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وهو من **أركان الإيمان** التي لا يتم إلا بها".[٦]

---

(١) "مسند أحمد" (٦/ ٢٣٣).

(٢) "السنة" لابن أبي عاصم (١/ ١٥٩).

(٣) "الرد على الجهمية" للدارمي (ص: ١٥٤).

(٤) "الإبانة الكبرى" لابن بطة (٢/ ١٧٢).

(٥) "سير أعلام النبلاء" (١١/ ١٦٨).

(٦) تفسير الطبري (١/ ١٤٧).

**قال ابن أبي حاتم-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٣٢٧ هـ):**"وقد أجمع العلماء على أن الإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، من **أركان الإيمان**، وأن الله تعالى قدّر كل شيء وكتبه في اللوح المحفوظ".(١)

**ثالثًا: الإيمان القدر نظام التوحيد.**

جاء في السنة الصحيحة عن النبي-ﷺ-الربط بين القدر والتوحيد عن عائشة-رضي الله عنها-(ت: مابين ٥٧ و٥٩ هـ)، قالت فقدت رسول الله-ﷺ-ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدمه وهما منصوبتان وهو يقول: **(اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك).**(٢)

**قال ابن القيم-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٧٥١ هـ):**"وهذا يتضمن كمال الإثبات للقدر والتوحيد بأوجز لفظ وأخصره فإن الذي يستعاذ منه من الشر وأسبابه هو واقع بقضاء الرب تعالى وقدره وهو المنفرد بخلقه وتقديره وتكوينه فما شاء كان وما لم يشاء لم يكن".(٣)

**عن ابن عباس-رضي الله عنهما-(ت: ٦٨ هـ)** أنه قال:"الإيمان بالقدر نظام التوحيد فمن آمن بالله وكذب بالقدر كان تكذيبه بالقدر نقضاً لتوحيده".(٤)

(١) "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" للالكائي (٤/ ٧١١).

(٢) رواه مسلم في صحيحه كتاب الصلاة (٤٨٦) ونظر صحيح مسلم بشرح نووي ٢/ ٢١٢.

(٣) شفاء العليل (ص: ٤٥٠)، وانظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين (١/ ٣٥٤).

(٤) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة (٢/ ٤٢٢)، والفريابي في القدر تحت رقم (٢٠٥)، واللالكائي في السنة (٤/ ٦٢٣-٦٧٠)، والآجري في الشريعة (ص: ٢١٥)، وابن بطة في: الإبانة تحت رقم: (١٦١٨-١٦١٩)، ونسبه في مجمع الزوائد إلى الطبراني في الأوسط.المجمع الزوائد (٧/ ١٩٧).ويتقوى بتعدد الطرق إلى الحسن لغيره.

=

**عن الحسن البصري-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ١١٠ هـ):** قال:"القدر نظام التوحيد، فمن وحد الله وآمن بالقدر تم توحيده، ومن وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده" [١].

**عن مجاهد بن جبر-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ١٠٤ هـ):** قال:"الإيمان بالقدر نظام التوحيد"[٢].

**قال ابن تيمية-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٧٢٨ هـ):**"اعلم أن أهل البدع من القدرية الجهمية والمجبرة والقدرية النافية لا يحمدون الله ولا يشكرونه، كما أنهم لا يعبدونه، وأما أهل الإلحاد من المتفلسفة والباطنية فهم أبعد عن حمده وشكره، وذلك أن المجبرة حقيقة قولهم أنه ليس برحيم ولا منعم، بل ولا إله يستحق أن يعبد ويحب، بل صدور الإحسان عنه كصدور الإساءة، وإنما هو يفعل بمحض مشيئة ترجح الشيء على مثله لا لمرجح، وكل الممكنات عندهم متماثلة، فلا فرق بين أن يريد رحمة الخلق ونفعهم والإحسان إليهم، أو يريد فسادهم وهلاكهم وإضرارهم، يقولون: هذا كله عندهم سواء"[٣].

**قال ابن القيم-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٧٥١ هـ)** عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ * فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ۗ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ **[الأعراف: الآيات: ٢٩-٣٠].**

"هذه الآية تضمنت قواعد الدين علمًا وعملًا واعتقادًا.

فقوله: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ أمر سبحانه فيها بالقسط هو الذي هو حقيقة شرعه ودينه،

=

وقد روي عن ابن عباس-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، مرفوعًا، وفيه ضعف.انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة تحت رقم (٤٠٧٢) وذكره ابن الجوزي عن أبي هريرة-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، مرفوعا في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية (١/ ١٤٩)، تحت رقم (٢٣٤)، وقال: "لا يَصِحُّ عَنْ رَسُولِ اللهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-"اهـ

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، رقم: (١٠٨٠).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، رقم: (١٠٩٦).

(٣) جامع الرسائل (المجموعة الأولى) (١/ ١٠٣).

وهو يتضمن التوحيد فإنه أعدل العدل، والعدل في معاملة الخلق، والعدل في العبادة، وهو الاقتصاد في السنة.

وقوله ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾، يتضمن الأمر بالإقبال على الله وإقامة عبوديته في ثبوته، ويتضمن الإخلاص له وهو عبوديته وحده لا شريك له فهذا ما فيها من العمل.

ثم أخبر بمبدأهم ومعادهم فتضمن ذلك حدوث الخلق وإعادته فذلك الإيمان بالمبدأ والمعاد فقال: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾.

ثم أخبر عن القدر الذي هو نظام التوحيد فقال فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة.﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾، فتضمنت الآية الإيمان بالقدر والشرع والمبدأ، والمعاد، والأمر بالعدل، والإخلاص.

ثم ختم الآية بذكر حال من لم يصدق هذا الخبر ولم يطع هذا الأمر بأنه قد أطاع الشيطان دون ربه وأنه على ضلال وهو يحسب أنه على هدى فقال: ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾.والله أعلم".[(١)]

**قال ابن القيم -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ٧٥١ هـ):**"النبي -ﷺ- أرشد الأمة في القدر إلى أمرين هما سببا السعادة

١- الإيمان بالأقدار فإنه نظام التوحيد.

٢- والإتيان بالأسباب التي توصل إلى خيره وتحجز عن شره وذلك نظام الشرع.

فأرشدهم إلى نظام التوحيد والأمر

فأبى المنحرفون إلا

• القدح بإنكاره في أصل التوحيد

(١) شفاء العليل (١/ ٢٩٢) بتصرف يسير.

• أو القدح بإثباته في أصل الشرع

ولم تتسع عقولهم التي لم يلق الله عليها من نوره للجمع بين ما جمعت الرسل جميعهم بينه وهو القدر والشرع والخلق والأمر

وهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم والنبي -ﷺ- شديد الحرص على جمع هذين الأمرين للأمة وقد تقدم قوله: **(أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز)**.وإن العاجز من لم يتسع للأمرين"[(١)].

**قال ابن القيم -رحمه الله- (ت: ٧٥١ هـ)**:"وبالجملة فكل دليل في القرآن على التوحيد فهو دليل على القدر وخلق أفعال العباد ولهذا كان إثبات القدر أساس التوحيد قال ابن عباس -رضي الله عنهما- (ت: ٦٨ هـ):"الإيمان بالقدر نظام التوحيد فمن كذب بالقدر نقض تكذيبه التوحيد".[(٢)]

**قال ابن القيم -رحمه الله- (ت: ٧٥١ هـ)**:"إن الإيمان بالقدر أصل الإيمان بالأمر وهو نظام التوحيد فمن كذب بالقدر نقض تكذيبه إيمانه" [(٣)].

**قال ابن القيم -رحمه الله- (ت: ٧٥١ هـ)**:"والذي دل عليه قول ابن مسعود وهو قول الصحابة كلهم وأئمة السنة من التابعين ومن بعدهم هو إثبات القدر الذي هو نظام التوحيد؛ إثبات فعل العبد الأختياري، الذي هو نظام الأمر والنهي، وهو متعلق المدح والذم والثواب والعقاب والله أعلم".[(٤)]

**رابعًا: الإيمان بالقدر فيه تحقيق للشهادتين.**

---

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (١/ ٢٦).

(٢) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ٦٥).

(٣) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٦١).

(٤) حاشيته على تهذيب السنن (٦/ ١٠٥).

**قال ابن تيمية-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٧٢٨ هـ):**"إذا ثبت هذا - يعني تحقيق شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله- فمعلوم أنه يجب الإيمان بخلق الله وأمره، وبقضائه وشرعه"[(١)].

**قال ابن القيم-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٧٥١ هـ):**"قال الإمام أحمد-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٢٤١ هـ): القدر قدرة الله، واستحسن ابن عقيل-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٥١٣ هـ) هذا الكلام جدا، وقال: هذا يدل على دقة علم أحمد وتبحره في معرفة أصول الدين، وهو كما قال أبو الوفاء؛ فإن إنكار القدر: إنكار لقدرة الرب على خلق أفعال العباد وكتابتها وتقديرها".[(٢)]

فالإيمان بالقدر على الوجه الصحيح توحيد وخلاص من الشرك؛ لأن ارتباطه مباشرة بالإيمان بالله تعالى، فقد جاء في صفاته سبحانه صفة العلم، والإرادة، والقدرة، والخلق، وعلى هذه الأسس قامت عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر.

كما عد العلماء الإيمان بالقضاء والقدر ثمرة من ثمرات الإيمان بالله، فالراضي بالقضاء والقدر راض بالله، والساخط من القدر ساخط على الله، وهذه النكتة في عطف الفعل "تؤمن" لما عد النبي - ﷺ -أركان الإيمان فقال: (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشرهـ).في حديث جبريل المشهور".[(٣)]

**خامسًا: الإيمان بالقدر يعصم العبد من أمور كثيرة.**

"فاعتصام المؤمن بعقيدة الإيمان بالقضاء والقدر يعصمه من أمور كثيرة، على رأسها أمران:

**أحدهما:** عصمته في باب توحيد الربوبية الذي هو أساس وعمدة توحيد الألوهية.

**والثاني:** عصمته في مسيرته في الحياة، بألا يقع عنده تعارض بين القضاء والقدر والأمر

(١) التدمرية، شيخ الإسلام ابن تيمية، (ص: ١٣٠).

(٢) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، (ص: ٢٨).

(٣) منهج الحافظ ابن رجب الحنبلي في العقيدة (ص: ٦٤٨).

والشرع".[١]

**الإيمان بالقدر أساس لعمارة الدنيا.**

**قال الإمام الحسن البصري (توفي ١١٠ هـ):**"والله لولا الإيمان بالقدر لخربت الدنيا وما عمرتها، إن الله تعالى قدّر كل شيء بقدر معلوم" [٢]

**من ثمرات الإيمان بالقدر:**

**أولًا:** الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب؛ لأن السبب والمسبب كليهما بقضاء الله وقدره.

**عن أبي هريرة-رضي الله عنه-(ت: ٥٧ هـ)**، قال: قال رسول الله ﷺ: **(المؤمن القوي خير وأحب إلى الله عز وجل من المؤمن الضعيف، واحرص على ما ينفعك واستعن بالله عز وجل ولا تعجز، فإن غلبك أمر فقل: قدر الله وما شاء فعل).**[٣]

**قال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين-رحمه الله-(ت: ١٤٢١ هـ):**"الإيمان بالقدر يوجب صدق الاعتماد على الله عز وجل لأنك إذا علمت أن كل شيء بقضاء الله وقدره صدق اعتمادك على الله".[٤]

**ثانيًا:** راحة النفس وطمأنينة القلب؛ لأنه متى علم أن ذلك بقضاء الله تعالى، وأن المكروه كائن لا محالة ارتاحت النفس واطمأن القلب ورضي بقضاء الرب، فلا أحد أطيب عيشا، وأروح نفسا، وأقوى طمأنينة ممن آمن بالقدر.

**قَالَ ابنُ عَونٍ-رحمه الله-(ت: ١٥١ هـ):**"ارْضَ بِقَضَاءِ اللهِ مِن عُسْرٍ وَيُسْرٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَقَلُّ

---

(١) تيسير لمعة الاعتقاد لعبد الرحمن بن صالح المحمود.(ص: ١٩٩).

(٢) "كتاب التوكل" لابن أبي الدنيا (ص: ٢٩).

(٣) صحيح مسلم (٢٦٦٤).

(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين (ص: ٦٣٠).

لِهَمِّكَ، وَأَبلَغُ فِيمَا تَطلُبُ مِن أَمرِ آخِرَتِكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ العَبدَ لَن يُصِيبَ حَقِيقَةَ الرِّضَا، حَتَّى يَكُونَ رِضَاهُ عِندَ الفَقرِ وَالبَلَاءِ، كَرِضَاهُ عِندَ الغِنَى وَالرَّخَاءِ؛ كَيفَ تَستَقضِي اللهَ فِي أَمرِكَ، ثُمَّ تَسخَطُ إِنْ رَأَيتَ قَضَاءً مُخَالِفًا لِهَوَاكَ؟! وَلَعَلَّ مَا هَوَيْتَ مِن ذَلِكَ، لَو وُفِّقَ لَكَ لَكَانَ فِيهِ هَلَاكُكَ، وَتَرضَى قَضَاءَهُ إِذَا وَافَقَ هَوَاكَ، وَذَلِكَ لِقِلَّةِ عِلْمِكَ بِالغَيبِ؟! إِذَا كُنتَ كَذَلِكَ، مَا أَنْصَفْتَ مِن نَفسِكَ، وَلَا أَصَبْتَ بَابَ الرِّضَا. **قال ابن رجب -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ٧٩٥ هـ)**: وَهَذَا كَلَامٌ حَسَنٌ".[١]

**قال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ١٤٢١ هـ):** "والإيمان بالقدر يوجب الطمأنينة يوجب للقلب الطمأنينة إذا علمت أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك اطمئن أنت بما يصيبك بعد فعل الأسباب النافعة".[٢]

**ثالثًا:** طرد الإعجاب بالنفس عند حصول المراد؛ لأن حصول ذلك نعمة من الله بما قدره من أسباب الخير والنجاح؛ فيشكر الله تعالى على ذلك ويدع الإعجاب".[٣]

**رابعًا:** انشراح الصدر، وسعادة القلب، وطمأنينة النفس، وراحة البال، قال عمر بن عبد العزيز: أصبحت وَمَا لِيَ سرورٌ إلا في مواضع القضاء والقدر، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُون﴾ **[التوبة: الآية: ٥١]**.

**خامسًا:** ذهاب الهم والحزن، فمن الإيمان بالقدر الإيمان بكتابة المقادير قبل إيجادها، فإذا وُجِدت تبين مدى الإيمان بذلك، فَقَوِيُّ الإيمان لا يفرح بما أُوتي، ولا يحزن على ما فات، وعكسه بعكسه بهذا المعنى، وردت الآية الكريمة: ﴿لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ **[الحديد: الآية: ٢٣]**.

---

(١) "تيسير العزيز الحميد" (ص: ٥٢٢-٥٢٣).

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين (ص: ٦٣٠).

(٣) «مجموع رسائل وفتاوى فضيلة الشيخ ابن عثيمين» (٣/ ٢٥٦-٢٦٠) بتصرف.

**قال ابن رجب-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٧٩٥ هـ):**"الإيمان بالقدر يُذهب الهم والحزن".[١]

**سادسًا:** غنى النفس، روى الترمذي في سننه مِن حَدِيثِ **أَبِي هُرَيرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-(ت: ٥٧ هـ):** أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **(وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ).**[٢]

**سابعًا:** النجاة من النار، روى أبو داود في سننه مِن حَدِيثِ **أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-(ت: ١٩ أو ٢٠ هـ):** رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:"**لَوْ أَنَّ اللهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللهِ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ**".[٣]

## المسألة الرابعة: الخوض في القدر.

عن عمرو بن شعيب-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ١١٨ هـ) عن أبيه-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٨١ أو ٨٠ هـ) عن جده-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-(ت: ٦٥ هـ) قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم والناس يتكلمون في القدر، قال:"وكأنما تفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب، قال: فقال لهم: **(ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض؟ بهذا هلك من كان قبلكما)**، وقال:"فما غبطت نفسي بمجلس فيه رسول الله ﷺ لم أشهده بما غبطت نفسي بذلك المجلس، أني لم أشهده".[٤]

وقد كان السلف من الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم يكرهون الجدال في القدر

(١) مجموع الرسائل (٣/ ١٤٤).

(٢) "سنن الترمذي" (برقم: ٢٣٠٥)، وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (برقم: ٩٣٠).

(٣) "سنن أبي داود" (برقم: ٤٦٩٩)، وصححه الألباني في "صحيح سنن أبي داود" (٣/ ٨٩٠) (برقم: ٣٩٣٢).

(٤)أخرجه أحمد (٢/ ١٧٨)، وقال أحمد شاكر، أسناده صحيح.المسند تحقيق أحمد شاكر (١٠/ ١٥٣)، حديث رقم (٦٦٦٨)، وأخرجه أيضًا ابن ماجه: المقدمة، باب في القدر (١/ ٣٣)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١/ ١٤): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

ويذمون من خاض فيه، بل حذروا من ذلك، فهذا الصحابي الجليل **عبد الله بن عباس-رضي الله عنهما-(ت: ٦٨ هـ)** يقول:"باب شرك فتح على أهل الصلاة: التكذيب بالقدر فلا تجادلوهم فيجري شركهم على أيديكم".[١] ويقول أيضًا ﵁:"ما غلا أحد في القدر إلا خرج من الإسلام"[٢]

فالسلف رحمهم الله تعالى كرهوا الكلام في القدر والخوض فيه، لكن لما خاضت المبتدعة في هذا الأمر وحادوا عن الصواب رأي السلف الصالح أنه يجب عليهم أن يبينوا للناس الحق والصواب فيما ضل فيه هؤلاء، ذلك لأنه لم يظهر القول في القدر إلا بعد مضي نصف القرن الأول تقريبا، حيث إن معبدًا الجهني[٣] هو أول من أثار القول في هذا الأمر.

روى مسلم في صحيحه بإسناده إلى يحيى بن يعمر، أنه قال:"كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله-ﷺ-فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفق لنا عبد الله بن عمر بن خطاب داخلًا المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي فقلت: أبا عند الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرأون القرآن ويتقفرون العلم[٤] وذكر من شأنهم أنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف، قال: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم براء مني، والذي يحلف به عبد الله بن

(١) أخرجه الآجري في الشريعة (ص: ٢١٥)، واللالكائي في شرح أصول أهل السنة: (٤/ ٦٣٠).

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول أهل السنة (٤/ ٦٣٢).

(٣) معبد بن عبد الله الجهني نزيل البصرة، كان داعية إلى الضلال وهو أول من تكلم بالقدر في زمن الصحابة، قال ابن أبي حاتم: كان صدوقًا في الحديث وكان رأسًا في القدر، قدم المدينة فأفسد بها ناسا، وقد قتله عبد الملك سنة ٨٠ه.الجرح والتعديل (٨/ ٢٨٠)، وميزان الاعتدال (٤/ ١٤١)، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٢٢٥).

(٤) ويتقفرون العلم: أي يطلبونه ويتتبعونه.النهاية لابن الأثير (٤/ ٩٠).

عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر" (١)

وقد سلك هذا المسلك العلماء من بعدهم الذين ساروا على نهج الصحابة الكرام رضوان الله عليهم كما ذكر الإمام البربهاري هنا.

ولا شك أن الخوض في أمور العقيدة بالعقل استقلالاً دون الرجوع إلى النصوص والتحاكم إليها والاستضاءة بالنصوص هذه مهلكة للإنسان، وكل من خاض من هؤلاء في هذا الأمر دون معرفة بالنص فإنه هالك، ولذلك وقع ما وقع من الفرق، ووقع ما وقع من قول القدرية وقول الجبرية ونحوهم لا لشيء إلا لأن هؤلاء تركوا النصوص تمامًا وخاضوا في الأمر من جهة عقولهم.

فوقع التحسين والتقبيح العقلي، ووقع الطعن في أفعال الله عز وجل وفي علم الله عز وجل كل ذلك من طريق هؤلاء.

وأما أصل القدر؟ فكما **قاله الطحاوي-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٣٢١ هـ):**"وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب، ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: الآية: ٢٣]، فمن سأل: لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين" (٢)

وعلم القدر **قال عنه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-(ت: ٤٠ هـ):**"القدر سر الله فلا تكشفه".(٣)

**قال جعفر بن محمد-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ١٤٨ هـ):**"الناظر في القدر كالناظر في عين الشمس،

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان: (١/ ٣٦).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٢٧٦).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٢٧٧).

كلما ازداد نظرا ازداد حيرة".[١]

**وسماه الطحاوي-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٣٢١ هـ)** بالعلم المفقود، لأن الله طواه عن الخلق، [٢] ونحن نؤمن بأن له تعالى في خلقه حكمًا عظيمة، وإذا كان هناك من الحكم ما هون خاف فلا يلزم من خفاء حكمة الله علينا عدمها، ولا من جهلنا انتفاء حكمته تبارك وتعالى.[٣]

**قال الإمام مالك-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ١٧٩ هـ):**"القدر سر الله في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل، والتعمق في ذلك ذريعة إلى الخذلان، وسُلَّمٌ إلى الحرمان، والحذر كل الحذر من النظر في القدر والتفكر فيه والوسوسة به".[٤]

**قال البربهاري-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٣٢٩ هـ):**"الكلام والجدل والخصومة في القدر خاصة، منهي عنه عند جميع الفرق؛ لأن القدر سر الله، ونهى الرب تبارك وتعالى الأنبياء عن الكلام في القدر، ونهى رسول الله ﷺ عن الخصومة في القدر، وكرهه العلماء وأهل الورع ونهوا عن الجدال في القدر، فعليك بالتسليم والإقرار والإيمان، واعتقاد ما قال رسول الله ﷺ في جملة الأشياء، وتسكت عما سوى ذلك"[٥].

**قال الآجري-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٣٦٠ هـ):**"لا يحسن بالمسلمين التنقير والبحث عن القدر؛ لأن القدر سر من أسرار الله عز وجل، بل الإيمان بما جرت به المقادير من خير أو شر واجب على العباد أن يؤمنوا به، ثم لا يأمن العبد أن يبحث عن القدر فيكذب بمقادير الله الجارية على العباد، فيضل عن طريق الحق"[٦].

---

(١) انظر: جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٢/ ١٩٦).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٢٩٢).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٢٩٢).

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، (٤/ ٧٠٩).

(٥) شرح السنة (ص: ٨٠).

(٦) الشريعة (٢/ ٧٠٢).

**قال ابن بطة-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٣٨٧ هـ):**"وأما الوجه الآخر من علم القدر الذي لا يحل النظر فيه ولا الفكر به، وحرام على الخلق القول فيه: كيف؟ ولم؟ وما السبب؟ مما هو سر الله المخزون وعلمه المكتوم الذي لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا، وحجب العقول عن تخيل كنه علمه، والناظر فيه كالناظر في عين الشمس، كلما ازداد فيه نظرا ازداد فيه تحيرا، ومن العلم بكيفيتها بعدا- فهو التفكر في الرب عز وجل كيف فعل كذا وكذا، ثم يقيس فعل الله عز وجل بفعل عباده، فما رآه من فعل العباد جورا يظن أن ما كان من فعل مثله جور، فينفي ذلك الفعل عن الله، فيصير بين أمرين؛ إما أن يعترف لله عز وجل بقضائه وقدره، ويرى أنه جور من فعله، وإما أن يرى أنه ممن ينزه الله عن الجور، فينفي عنه قضاءه وقدره، فيجعل مع الله آلهة كثيرة يحولون بين الله وبين مشيئته، فبالفكر في هذا وشبهه والتفكر فيه والبحث والتنقير عنه هلكت القدرية حتى صاروا زنادقة وملحدة ومجوسا؛ حيث قاسوا فعل الرب بأفعال العباد وشبهوا الله بخلقه ولم يعوا عنه ما خاطبهم به؛ حيث يقول: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: الآية: ٢٣].فمما لا يحل لأحد أن يتفكر فيه ولا يسأل عنه، ولا يقول فيه: لم لا ينبغي لأحد أن يتفكر لم خلق الله إبليس وهو قد علم قبل أن يخلقه أنه سيعصيه، وأن سيكون عدوا له ولأوليائه؟ ولو كان هذا من فعل المخلوقين إذا علم أحدهم أنه إذا اشترى عبدا يكون عدوا له ولأوليائه، ومضادا له في محابه، وعاصيا له في أمره، ولو فعل ذلك لقال أولياؤه وأحباؤه: إن هذا خطأ وضعف رأي وفساد نظام الحكمة، فمن تفكر في نفسه وظن أن الله لم يصب في فعله حيث خلق إبليس؛ فقد كفر، ومن قال: إن الله لم يعلم قبل أن يخلق إبليس أنه يخلق إبليس عدوا له ولأوليائه، فقد كفر، ومن قال: إن الله لم يخلق إبليس أصلا، فقد كفر.وهذا قول الزنادقة الملحدة، فالذي يلزم المسلمين من هذا أن يعلموا أن الله خلق إبليس وقد علم منه جميع أفعاله؛ ولذلك خلقه، ويعلموا أن فعل الله ذلك

عدل صواب، وفي جميع أفعاله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون".(١)

**قال أبو المظفر السمعاني-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٤٨٩ هـ):**"قد ذكرنا أن سبيل معرفة هذا الباب التوقيف من قبل الكتاب والسنة، دون محض القياس، ومجرد المعقول، فمن عدل عن التوقيف في هذا الباب، ضل وتاه في بحار الحيرة، ولم يبلغ شفاء النفس، ولا وصل إلى ما يطمئن به القلب؛ وذلك لأن القدر سر من سر الله وعلم من علمه ضربت دونه الأستار، وكفت عليه الأزرار، واختص الله به علام الغيوب.حجبه عن عقول البشر ومعارفهم؛ لما علم من الحكمة، وسبيلنا أن ننتهي إلى ما حد لنا فيه، وألا نتجاوز إلى ما وراءه، فالبحث عنه تكلف، والاقتحام فيه تعمق وتهور.

وجماع هذا الباب أن يعلم أن الله تعالى طوى عن العالم علم ما قضاه وقدره على عباده، فلم يطلع عليه نبيا مرسلا، ولا ملكا مقربا؛ لأنه خلقهم ليتعبدهم ويمتحنهم.قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: الآية: ٥٦]...فلو كشف لهم عن سر ما قضى وقدر لهم وعليهم في عواقب أمورهم لافتتنوا، وفتروا عن العمل، واتكلوا على مصير الأمر في العاقبة، فيكون قصاراهم عند ذلك أمن أو قنوط.وفي ذلك بطلان العبادة وسقوط الخوف والرجاء؛ فلطف الله سبحانه بعباده وحجب عنهم علم القضاء والقدر، وعلقهم بين الخوف والرجاء، والطمع والوجل؛ ليبلو سعيهم واجتهادهم، وليميز الله الخبيث من الطيب، ولله الحجة البالغة".(٢)

**قال البغوي-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٥١٠ هـ):**"القدر سر من أسرار الله لم يطلع عليه ملكا مقربا، ولا نبيا مرسلا، لا يجوز الخوض فيه والبحث عنه بطريق العقل، بل يعتقد أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق، فجعلهم فريقين: أهل يمين خلقهم للنعيم فضلا، وأهل شمال خلقهم

(١) الإبانة الكبرى (٣/ ٢٤٨).

(٢) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (٢/ ٣٠).

للجحيم عدلا".[(١)]

**قال ابن أبي العز-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-(ت: ٧٩٢ هـ):**"أصل القدر سر الله في خلقه، وهو كونه أوجد وأفنى، وأفقر وأغنى، وأمات وأحيا، وأضل وهدى.قال علي-رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ-(ت: ٤٠ هـ): القدر سر الله فلا تكشفه".[(٢)]

**قال ابن رجب-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-(ت: ٧٩٥ هـ):**"قد ورد النهي عن الخوض في القدر، ...، والنهي عن الخوض في القدر يكون على وجوه:

منها: ضرب كتاب الله بعضه ببعض، فينزع المثبت للقدر بآية والنافي له بأخرى.ويقع التجادل في ذلك...وهذا من جملة الاختلاف في القرآن والمراء فيه، وقد نهي عن ذلك.[(٣)]

ومنها: الخوض في القدر إثباتا ونفيا بالأقيسة العقلية: كقول القدرية: لو قدر وقضى ثم عذب كان ظالما.وقول من خالفهم: إن الله جبر العباد على أفعالهم، ونحو ذلك.

ومنها: الخوض في سر القدر، وقد ورد النهي عنه عن علي وغيره من السلف؛ فإن العباد لا يطلعون على حقيقة ذلك".[(٤)]

## المسألة الخامسة: أركان الإيمان بالقدر:

الإيمان بالقدر له أربعة أركان، ويسميها بعض العلماء أيضًا: (مراتب القدر)، وهذه الأركان الأربعة هي:

**الركن الأول: العلم:**

---

(١) شرح السنة (١/ ١٤٤).

(٢) شرح الطحاوية (١/ ٣٢٠).

(٣) أخرجه من طرق: أبو داود (٤٦٠٣)، وأحمد (٩٤٧٩) بلفظ: "المراء في القرآن كفر" صححه ابن حبان في صحيحه (١٤٦٤)، والحاكم على شرط مسلم في المستدرك (٢/ ٢٤٣)، والنووي في التبيان (٢٠٦).

(٤) بيان فضل علم السلف على علم الخلف (ص: ٤١-٤٦).

الركن الأول- أو المرتبة الأولى من مراتب الإيمان بالقدر- هو العلم، فيجب الإيمان بأن الله يعلم ما كان وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف سيكون، فالله يعلم القدر قبل وقوعه،

**والأدلة على علم الله تعالى بالمقادير كثيرة، منها:**

قال تعالى: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ .**[الطلاق: الآية:١٢]**

فالله سبحانه وتعالى قد أحاط بكل شيءٍ علما، ولذلك لما ذكر الله تعالى الخلق استدل به على العلم والقدرة ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ **[الطلاق: الآية:١٢]**، ثم قال بعدها: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾.

فتأمل السياق في الحديث عن الخلق، الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن هذا حديث عن الخلق، لكنه دلالة على أمرين هم؟ لتعلموا أن الله على كل شيء قدير، فالخلق دليل على القدر، فكيف يخلق من لا يقدر، فهل الذي لا يقدر يستطيع أن يخلق؟ فبما أنه هو الخالق فهو قادر، وكيف يخلق ما لا يعلم؟ فبالتالي استشهد بخلقه على قدرته وعلى علمه، لذلك قال: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾.

فالله سبحانه وتعالى علم الأشياء قبل خلقها، وهو سبحانه وتعالى يعلم ما سيكون، بل ما لم يكن لو كان كيف يكون، فالله سبحانه وتعالى عندما ذكر أصحاب النار قال عنهم: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: الآية: ٢٨]، فلو أُخرج أهل النار من النار وعادوا إلى الدنيا لعادوا إلى كفرهم.

فِإذاً يعلم مالم يكن لو كان كيف يكون، فعلمه سبحانه وتعالى محيطٌ بكل شيء،

- قال تعالى: ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ **[الحشر: الآية: ٢٢]**.

- وقال تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ **[الطلاق: الآية: ١٢]**.

- وقال تعالى: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ﴾ **[سبأ: الآية: ٣]**.

- وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ **[النحل: الآية: ١٢٥]**.

- وقال تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ **[النجم: الآية: ٣٢]**.

وقال الله تعالى -مقررًا علمه بما لم يكن لو كان كيف سيكون-: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ **[الأنعام: الآية: ٢٨]**، فالله يعلم أن هؤلاء المكذبين الذين يتمنون في يوم القيامة الرجعة إلى الدنيا أنهم لو عادوا إليها لرجعوا إلى تكذيبهم وضلالهم.

وقال في الكفار الذين لا يطيقون سماع الهدى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ **[الأنفال: الآية: ٢٣]**.

ومن علمه تبارك وتعالى بما هو كائن: علمه بما كان الأطفال الذين توفوا صغارًا عاملين لو أنهم كبروا قبل مماتهم، وبيانه فيما يلي:

- **عن ابن عباس -رضي الله عنهما- (ت: ٦٨ هـ)**، قال: " سئل النبي -ﷺ- عن أولاد المشركين، فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين " [(١)].

- **وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها -(ت: ٥٧ أو ٥٨ هـ)**، قالت: توفي صبيٌّ،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب القدر باب الله أعلم بما كانوا عاملين (٨/ ١٢٢) رقم: (٦٥٩٧).

فقلت: طوبى له عصفور من عصافير الجنة.فقال رسول الله-ﷺ-: " **أَوَلَا تدرين أن الله خلق الجنة والنار، فخلق لهذه أهلًا ولهذه أهلًا؟**"(١).

وفي رواية عند مسلم- أيضًا- **عن عائشة-رضي الله عنها-(ت: ٥٧ أو ٥٨ هـ)** قالت:"دُعي رسول الله-ﷺ-إلى جنازة صبي من الأنصار، فقلت: يا رسول الله طوبي لهذا، عصفور من عصافير الجنة، لم يعمل السوء ولم يدركه.قال: «**أَوَغَير ذلك يا عائشة، إن الله خلق للجنة أهلًا، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلًا، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم**".(٢)

وكان أول من أنكره القدرية فأنكروا علم الله السابق، فزعم القدرية الأوائل أن الله سبحانه وتعالى لا يعلم الأشياء قبل وقوعها، فهذا أول حال القدرية، ثم إن القدرية بعد ذلك تراجعوا عن إنكار العلم السابق وأثبتوا العلم السابق، ولكن أنكروا قدرة الله في فعل العبد، فالله سبحانه وتعالى علم الأشياء قبل كونها.

**الركن الثاني: الكتابة**

الركن الثاني- أو المرتبة الثانية من مراتب الإيمان بالقدر- هو الكتابة، فيجب الإيمان بأن الله تعالى كتب كل المقادير في اللوح المحفوظ وسطر فيها كل ما هو كائن إلى يوم القيامة.

واللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه مقادير الخلائق سماه القرآن بالكتاب، وبالكتاب المبين، وبالإمام المبين وبأم الكتاب، والكتاب المسطور.

- قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ **[البروج: الآيات: ٢١، ٢٢]**،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٤/ ٢٠٥٠) رقم: (٢٦٦٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٤/ ٢٠٥٠) رقم: (٢٦٦٢).

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ **[الحج: الآية: ٧٠]**،

وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ **[يس: الآية: ١٢]**،

وقال تعالى: ﴿وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ﴾ **[الطور: الآيات: ١ – ٣]**،

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ **[الزخرف: الآية: ٤]**،

**وعن عبد الله بن عمرو بن العاص –رضي الله عنهما–(ت: ٦٥ هـ)**، عن النبي –ﷺ– أنه قال: **(إنَّ الله قدَّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء)**.[1].

**قال عبادة بن الصامت –رضي الله عنه–(ت: ٣٤ هـ)** لابنه: يا بني، إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله –ﷺ–، يقول: **(إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. قال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة)**، يا بني إني سمعت رسول الله –ﷺ– يقول: **(من مات على غير هذا فليس مني)**.[2]

**وعن ابن عباس –رضي الله عنهما–(ت: ٦٨ هـ)**، قال:"كنت خلف رسول الله –ﷺ– يوما، فقال: **(يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك**

---

(١) أخرجه مسلم كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى برقم: (٢٦٥٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٠٠) والترمذي (٢١٥٥)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٦٤٥).

**إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف)**.[(١)]

**أنواع التقدير:**

**ذكر ابن القيم-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٧٥١ هـ)** أقسام التقدير الخمسة، وأوضحها بأدلتها، وهي باختصار:

**التقدير الأول:** تقدير المقادير قبل خلق السماوات والأرض، وهو التقدير العام الشامل لكل شيء في اللوح المحفوظ، وقد سبق ذكر بعض الأدلة عليه.

**التقدير الثاني:** تقدير الرب- تبارك وتعالى- شقاوة العباد وسعادتهم وأرزاقهم وآجالهم وأعمالهم قبل خلقهم، وهو تقدير ثان بعد التقدير الأول، فعن عمران بن حصين قال:"قيل: يا رسول الله، علم أهل الجنة من أهل النار؟ فقال (نعم).قيل: ففيم يعمل العاملون؟ قال: (كل ميسر لما خلق له).[(٢)].

**التقدير الثالث:** المتعلق بالجنين وهو في بطن أمه، وهو تقدير شقاوته وسعادته ورزقه وأجله وعمله؛ فعن عبد الله بن مسعود-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-(ت: ٣٢ هـ)، قال: حدثنا رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو الصادق المصدوق: «**إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله إليه الملك؛ فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات؛ بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها**

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٩٣) (٢٦٦٩)، والترمذي (٢٥١٦)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٥٣٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٥١) ومسلم (٢٦٤٩) واللفظ له.

**إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»**(١)

**التقدير الرابع:** التقدير في ليلة القدر؛ قال الله تعالى: ﴿حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [الدخان: الآيات: ١ – ٥].

**قال أبو عبد الرحمن السلمي–رَحِمَهُ اللَّهُ–(ت: ٧٤ هـ):**"يقدر أمر السنة كلها في ليلة القدر"، وهذا هو الصحيح: أن القدر مصدر قدر الشيء يقدره قدرا، فهي ليلة الحكم والتقدير.

**التقدير الخامس:** التقدير اليومي؛ قال تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ **[الرحمن: الآية: ٢٩].**

قال مجاهد–رَحِمَهُ اللَّهُ–(ت: ١٠٤ هـ)، والكلبي–رَحِمَهُ اللَّهُ–(ت: ١٠٤ هـ)، وعبيد بن عمير–رَحِمَهُ اللَّهُ–(ت: ٧٣ هـ)، وأبو ميسرة–رَحِمَهُ اللَّهُ–(ت: ٦٣ هـ)، وعطاء–رَحِمَهُ اللَّهُ–(ت: ١١٤ هـ)، ومقاتل–رَحِمَهُ اللَّهُ–(١٥٠ هـ):"من شأنه: أن يحيي ويميت، ويرزق ويمنع، وينصر، ويعز ويذل، ويفك عانيا، ويشفي مريضا، ويجيب داعيا، ويعطي سائلا، ويتوب على قوم، ويكشف كربا، ويغفر ذنبا، ويضع أقواما، ويرفع آخرين.دخل كلام بعضهم في بعض ...".

إلى أن قال ابن القيم –رَحِمَهُ اللَّهُ–(ت: ٧٥١ هـ):"فهذا تقدير يومي، والذي قبله تقدير حولي، والذي قبله تقدير عمري عند تعلق النفس به، والذي قبله كذلك عند أول تخليقه، وكونه مضغة، والذي قبله تقدير سابق على وجوده، لكن بعد خلق السماوات والأرض، والذي قبله تقدير سابق على خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكل واحد من هذه التقادير كالتفصيل من التقدير السابق، وفي ذلك الدليل على علم الرب وقدرته وحكمته، وزيادة التعريف لملائكته وعباده المؤمنين بنفسه وأسمائه".(٢)

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٨) ومسلم (٢٦٤٣).

(٢) شفاء العليل (ص: ٣١-٤٩).

## الركن الثالث: المشيئة:

الركن الثالث- أو المرتبة الثالثة من مراتب الإيمان بالقدر- المشيئة، أي: الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته التامة، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا حركة ولا سكون في السماوات ولا في الأرض إلا بمشيئته، فلا يكون في ملكه إلا ما يريد.

والنصوص المصرحة بهذا الركن المقررة له كثيرة، منها:

- قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَّشَاءَ اللهُ﴾ **[التكوير: الآية: ٢٩].**

- وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْموتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَّشَاءَ اللهُ﴾ **[الأنعام: الآية: ١١١].**

- وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهـ﴾ [الأنعام: الآية: ١١٢].

- وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ **[يس: الآية: ٣٦].**

- وقال تعالى: ﴿مَنْ يَشَإِ اللهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ **[الأنعام: الآية: ٣٩].**

ومشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة يجتمعان فيما كان وما سيكون، ويفترقان فيما لم يكن ولا هو كائن، فما شاء الله تعالى كونه فهو كائن بقدرته لا محالة، وما لم يشأ الله تعالى إياه لا يكن لعدم مشيئة الله تعالى ليس لعدم قدرته عليه.

- قال تعالى: ﴿ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد) [البقرة: الآية: ٢٥٣].

- وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ **[المائدة: الآية: ٤٨].**

- وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ **[الأنعام: الآية: ٣٥].**

- وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكُوا) [الأنعام: الآية: ١٠٧].

- وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ﴾ **[يونس: الآية: ٩٩].**

وجاء في حديث **حذيفة بن أسيد**-رضي الله عنه-**(ت: ٤٢ هـ)** في شأن الجنين: **(فيقضي ربك ما**

**يشاء، ويكتب الملك)**.[١].

**وعن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- (ت: ٤٤ هـ)**، عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: **(اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما يشاء)**.[٢].

**قال ابن القيم -رحمه الله- (ت: ٧٥١ هـ)**:"المرتبة الثالثة من مراتب القضاء والقدر، وهي مرتبة المشيئة:

وهذه المرتبة قد دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم، وجميع الكتب المنزلة من عند الله، والفطرة التي فطر الله عليها خلقه، وأدلة العقول والبيان، وليس في الوجود موجب ومقتض إلا مشيئة الله وحده؛ فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، هذا عموم التوحيد الذي لا يقوم إلا به.

والمسلمون من أولهم إلى آخرهم مجمعون على أنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا يقع في ملكه إلا ما يريد حتى وإن كان مخالفا لأمره الشرعي، فهو سبحانه وتعالى أراد أن يمتحن عباده، فجعل لهم إرادة وقدرة؛ ليبلوهم أيهم أحسن عملا؛ فمن آمن واستقام فاز، ومن كفر وعاند فقد خسر خسرانا مبينا؛ فتجزى كل نفس بما عملت، فالعباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم، وللعباد قدرة على أعمالهم، ولهم إرادة، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم، كما قال تعالى: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ **[التكوير: الآيات: ٢٨، ٢٩]**، وقد يريد العبد الشر، ولكن الله لا يمكنه منه؛ فكل شيء داخل تحت إرادته ومشيئته، ولا يخرج العباد أبدا في كل أمورهم عن تلك الإرادة والمشيئة؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا

(١) أخرجه مسلم (٢٦٤٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٣٢).

يُرِيدُ﴾ **[البقرة: الآية: ٢٥٣]**، وقال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ اللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ **[آل عمران: الآية: ٤٠]**، وقال جل وعلا: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾**[الأنعام: ١١٢]**".(١)

**أنواع الإرادة:** لله- جل وعلا- إرادتان: كونية قدرية، ودينية شرعية.

**قال ابن القيم -رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ٧٥١ هـ):**"وها هنا أمر يجب التنبيه عليه، وبمعرفته تزول إشكالات كثيرة تعرض لمن لم يحط به علما، وهو أن الله- سبحانه- له الخلق والأمر، وأمره- سبحانه- نوعان: أمر كوني قدري، وأمر ديني شرعي.

فمشيئته- سبحانه- متعلقة بخلقه وأمره الكوني، وكذلك تتعلق بما يحب وبما يكره، كله داخل تحت مشيئته، كما خلق إبليس وهو يبغضه، وخلق الشياطين والكفار والأعيان والأفعال المسخوطة له وهو يبغضها، فمشيئته- سبحانه- شاملة لذلك كله.

وأما محبته ورضاه فمتعلقة بأمره الديني وشرعه الذي شرعه على ألسنة رسله، فما وجد منه تعلقت به المحبة والمشيئة جميعا فهو محبوب للرب، واقع بمشيئته؛ كطاعات الملائكة والأنبياء والمؤمنين، وما لم يوجد منه تعلقت به محبته وأمره الديني، ولم تتعلق به مشيئته، وما وجد من الكفر والفسوق والمعاصي تعلقت به مشيئته، ولم تتعلق به محبته، ولا رضاه ولا أمره الديني، و ما لم يوجد منها لم تتعلق به مشيئته ولا محبته، فلفظ المشيئة كوني، ولفظ المحبة ديني شرعي، ولفظ الإرادة ينقسم إلى إرادة كونية؛ فتكون هي المشيئة، وإرادة دينية؛ فتكون هي المحبة.

وإذا عرفت هذا فقوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ **[الزمر: الآية: ٧]**، وقوله: ﴿وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ **[البقرة: الآية: ٢٠٥]**، وقوله: ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ

---

(١) انظر: شفاء العليل (ص: ٩٣) بتصرف واختصار.

الْعُسْرَ﴾ **[البقرة: الآية: ١٨٥]**، لا يناقض نصوص القدر والمشيئة العامة الدالة على وقوع ذلك بمشيئته وقضائه وقدره؛ فإن المحبة غير المشيئة، والأمر غير الخلق، ونظير هذا: الأمر؛ فإنه نوعان: أمر تكوين، وأمر تشريع، والثاني قد يعصى ويخالف بخلاف الأول".

إلى أن قال رَحِمَهُ اللهُ:"فسبحانه أن يكون في مملكته ما لا يشاء أو أن يشاء شيئا فلا يكون، وإن كان فيها ما لا يحبه ولا يرضاه، وإن كان يحب الشيء فلا يكون لعدم مشيئته له، ولو شاءه لوجد".[(١)].

**الركن الرابع: الخلق**

الركن الرابع- أو المرتبة الرابعة من مراتب الإيمان بالقدر- الخلق، أي: خلق الله تبارك وتعالى لكل موجود، لا شريك لله في خلقه.

وقد قررت النصوص أن الله خالق كل شيء، فهو الذي خلق الخلق وكوَّنهم وأوجدهم، فهو الخالق وما سواه مربوب مخلوق.

**ومن أدلة القرآن الكريم:**

الله تعالى خالق كل شيء، ومن ذلك أفعال العباد، فلا يقع في هذا الكون شيء إلا وهو خالقه...

١-قال تعالى في قصة إبراهيم الخليل عليه السلام حيث كسر أصنامهم ثم جاء إليه قومه يناقشونه مسرعين فقال لهم كما حكى الله عنه: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ **[الصافات: الآيات: ٩٥-٩٦]**، أي خلقكم وعملكم فتكون (ما) مصدرية، وقيل: إنها بمعنى الذي، فيكون المعنى: والله خلقكم وخلق الذي تعملونه بأيدكم وهو الأصنام[(٢)]

(١) شفاء العليل (ص: ١٠٥-١٠٦).

(٢)انظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (٧/ ٧٠).

وقد ذكر ابن كثير القولين ثم قال:"وكلا القولين متلازم، والأول أظهر" [(١)] وقد علل ذلك بما يؤيده من رواية البخاري في أفعال العباد **عن حذيفة**-رضي الله عنه-**(ت: ٣٦ هـ)** قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن الله يصنع كل صانع وصنعته)**[(٢)]، وتلا بعضهم عند ذلك ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ **[الصافات: الآية: ٩٦]**، فأخبر أن الصناعات وأهلها مخلوقة فالله تعالى خالق الخلق وأفعالهم كما دلت على ذلك الآية والحديث.

٢-وقد وردت آيات كثيرة تدل دلالة واضحة على أن كل شيء مما في هذا الكون مخلوق لله سبحانه وتعالى وقد وردت هذه الآيات بلفظ العموم فقال تعالى: ﴿اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ **[الرعد: الآية: ١٦]**، وفي آية أخرى: ﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ **[غافر: الآية: ٦٢]**، وهذه نصوص واضحة في الدلالة على مرتبة الخلق، وقد جاءت الآية الأولى في معرض إنكار أن يكون للشركاء خلق كخلقه، سبحانه وتعالى فنفى ذلك سبحانه آمراً رسوله أن يقرر هذه الحقيقة التي تفصل في الأمر وتدل على وحدانية الله تعالى وانفراده بالخلق والرزق: ﴿اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ **[الرعد: الآية: ١٦]**، وفي موضع آخر جاءت هذه الآية لبيان قدرة الله تعالى وكماله ودلائل وحدانيته: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ **[الزمر: الآية:٦٢]**، أما الآية الثانية فقد جاءت أيضـًا لبيان قدرة الله التامة حيث جعل لعبادة الليل والنهار ثم بين سبحانه أنه خالق كل شيء.

٣-وقال تعالى ممتنـًا على الصحابة رضوان الله عليهم بعد أن أمرهم بالتثبت في خبر الفاسق.﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٢).

(٢) رواه البخاري في خلق أفعال العباد (١٠٢).وصححه ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ٥٠٧)، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٦٣٦) وقال: على شرط مسلم.

الرَّاشِدُونَ﴾ .[**الحجرات: الآية: ٧**]، والشاهد قوله: ﴿وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ﴾..﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ﴾...، فهو سبحانه هو الذي جعل الإيمان محبوبًا أو أحب الأشياء إليكم، وهو الذي حسنه بتوفيقه وقربه منكم، وهو الذي جعل ما يضاد الإيمان من الكفر والفسوق والعصيان مكروها عندكم، وذلك بما أودع في قلوبكم من كراهة الشر وعدم إرادة فعله، فالفاعل في كل ذلك هو الله تعالى.(١)

وهناك آيات أخرى كثيرة تدل على أن الله تعالى هو المضل، والهادي والمؤيد لعباده المؤمنين، والهازم لأعدائهم، وأنه المضحك والمبكي، والمميت والمحيي وكل ذلك دليل على مرتبة الخلق، وقد أورد ابن كثير عند تفسيره لآية الحجرات السابقة، حديثًا يدل على هذه المرتبة عن ابن رفاعة الزرقي قال: لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون، قال رسول الله ﷺ: **(استووا حتى أثني على ربي، فصاروا خلفه صفوفًا، فقال: اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لما أضللت، ولا مضل لمن هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما بعدت، ولا مباعد لما قربت، اللهم ابسط علينا من بركاتك، ورحمتك، وفضلك، ورزقك، اللهم إني أسالك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، اللهم إني أسالك النعيم يوم العيلة، والأمن يوم الخوف، اللهم إني عائذ بك من شر ما أعطيتنا، وشر ما منعت، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، اللهم توفنا مسلمين، وأحينا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك، ويصدون عن سبيلك، واجعل عليهم رجزك وعذابك، اللهم قاتل الكفرة الذين**

(١) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق خان (٩/ ٧٤)، وانظر: تفسير ابن السعدي (٧/ ١٣١)، وانظر: شفاء العليل لابن القيم (ص: ٥٧).

**أوتوا الكتاب، إله الحق)**.[١] فترى في هذا الحديث بأن الله تعالى هو الفاعل لهذه الأمور، وهذا دليل على مرتبة الخلق.

**الأدلة من السنة:**

١-**عن زيد بن أرقم-رضي الله عنه-(ت: ٦٨ هـ)** قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول: كان يقول: **(اللهم أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، والهرم وعذاب، القبر اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها...)**.الحديث[٢] والشاهد قوله: **(اللهم آت نفسي تقواها وزكها...)**، فالفاعل هو الله تعالى، فهو الذي يطلب منه ذلك ولفظ **(خير)** ليس للتفضيل، بل لا مزكي للنفس إلا الله، ولهذا قال بعد ذلك: **(أنت وليها ومولاها)**.[٣] فهو سبحانه الملهم للنفس الخير والشر، قال تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ **[الشمس: الآية: ٨]**.

**قال سعيد بن جبير-رحمه الله-(ت: ٩٥ هـ)** في تفسير هذه الآية: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ **[الشمس: الآية: ٨]**، أي: فالخلق والإنسان قادر على سلوك أيهما شاء ومخير فيه.

**وقال ابن زيد-(ت: ١٨٢ هـ)**، في معنى الآية:"جعل ذلك فيها بتوفيقه إياها للتقوى".[٤]

٢- وعن **وراد مولى المغيرة بن شعبة (ت: غير معروف سنة وفاته)** قال: كتب معاوية إلى المغيرة: اكتب إلي ما سمعت النبي-ﷺ-يقول خلف الصلاة، فأملى عليّ المغيرة قال:

(١) رواه أحمد (٣/ ٤٢٤) (١٥٥٣١)، والبزار (٩/ ١٧٥)، والبخاري في الأدب المفرد (٥٣٨).وقال: [فيه] عبد الواحد بن أيمن مشهور ليس به بأس في الحديث، روى عنه أهل العلم، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٢٤): رجاله رجال الصحيح، وصححه ابن حجر في نتائج الأفكار (٢/ ١٦٣) والألباني في صحيح الأدب المفرد (٥٣٨).

(٢) رواه مسلم (٢٧٢٢).

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٧/ ٤١).

(٤) الكشف والبيان للثعلبي (١٠/ ٢١٣)، وزاد المسير (٩/ ١٤٠)، و تفسير البغوي (٨/ ٤٣٨).

سمعت النبي -ﷺ- يقول: خلف الصلاة: **(لا إله إلا الله وحده لا شريك له، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد).**(١) والشاهد قوله: **(اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت)**، فالمعطي والمانع هو الله تعالى فهو الفاعل لهما، وهذا يدل على أن الخالق هو الله سبحانه وتعالى وقوله: **(ولا ينفع ذا الجد منك الجد)**، أي لا ينفع ذا الغنى منك غناه، أو لا ينجيه حظه منك، بل ينفعه عمله الصالح.

٣-وقد قال-ﷺ- **لأبي موسى الأشعري-رضي الله عنه-(ت: ٤٤ هـ): (يا عبد الله بن قيس، ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟)**.فقلت بلى يا رسول الله، قال: **(قل: لا حول ولا قوة إلا بالله).**(٢)، والشاهد قوله: **(لا حول ولا قوة إلا بالله)**، ففيها الاعتراف بأنه لا صانع غير الله، ولا راد لأمره، وأن العبد لا يملك من أمره شيئًا، فمعناها: لا حركةً ولا استطاعةً ولا حيلة إلا بمشيئة الله تعالى(٣) وقيل: معناه لا حول في دفع شر ولا قوة في تحصيل خير إلا بالله، وقيل: **(لا حول عن معصية الله إلا بعصمته، ولا قوة على طاعة الله إلا بمعونته)**(٤)، وحكي هذا **عن ابن مسعود-رضي الله عنه-(ت: ٣٢ هـ)**، وكله متقارب، والكنز هنا: معناه ثواب مدخر في الجنة عند الله وهو ثواب نفيس (٥).

فهذه مراتب القدر وأركانه الأربعة التي يجب على العبد أن يؤمن بها حتى يكون مؤمنًا

---

(١) رواه البخاري (٨٤٤)، ومسلم (٥٩٣).

(٢) رواه البخاري (٤٠٢٥) بلفظ: (ألا أدلك على كلمة) بدلاً من (ألا أدلك على كنز)، ومسلم (٢٧٠٤).

(٣) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (٥/ ٢٤٣)، لسان العرب (١١/ ١٨٤) مادة: (حول).

(٤) رواه البزار (٥/ ٣٧٤)، والبيهقي في (١/ ٤٤٦) (٦٦٤)، والديلمي (٥/ ٣٧٥) (٨٤٧٨).بلفظ: (إلا بعون الله) بدلاً من (إلا بمعونته).قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٠٢): رواه البزار بإسنادين أحدهما: منقطع وفيه عبد الله بن خراش، والغالب عليه الضعف، والآخر: متصل حسن، وقال الحسيني في البيان والتعريف (٢/ ٢٨٩): سنده لا بأس به.

(٥) شرح صحيح مسلم للنووي (١٧/ ٢٦-٢٧)، وانظر: عمدة القاري للعيني (٢٣/ ١٥٤).

بالقدر.

وقد يقسم بعض العلماء مراتب القدر إلى درجتين:

فقد قسم **ابن تيمية**-رَحِمَهُ اللَّهُ-**(ت: ٧٢٨ هـ)**:"الإيمان بالقدر على درجتين، كل درجة تتضمن شيئين" - بين فيه مراتب القدر الأربع التي هي:(العلم والكتابة والمشيئة والخلق).

فذكر هنا مراتب القدر، وجمع هنا بين مرتبتين؛ مرتبة العلم ومرتبة الكتابة؛ باعتبار أنهما متلازمتان، كما أنه بالدرحة الثانية جمع بين الخلق والمشيئة، فالقسمة إما ثنائية وإما رباعية، فإذا قلت: رباعية، فتقول: (العلم، الكتابة، الخلق، المشيئة).

وإذا قلت ثنائية، فتقول: (العلم، الكتابة)، أي: علم سبحانه وتعالى ذلك وكتبه، ثم خلقه وشاءه.

فقال: «الإيمان بالقدر على درجتين؛ كل درجة تتضمن شيئين:

فالدرجة الأولى: الإيمان بالعلم والكتابة»؛ فالله- تعالى علم الأشياء قبل كونها، ويعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، كما أخبر- مثلا- عن شأن أهل النار فقال: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: الآية: ٢٨]؛ فلو ردوا إلى الدنيا فسيكون منهم عودة إلى ما نهاهم الله عنه، وهذا لا يكون، ولكنه لو كان فسيكون بهذه الحال، فالله سبحانه وتعالى علم الأشياء قبل كونها، وهو عليم بها أثناء كونها، وعليم بما سيكون، وعليم بما لم يكن لو كان كيف يكون، فسبحان من وسع علمه كل شيء!

فهو عليم بما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلا وأبدا؛ ونحن نؤمن أن الله متصف بجميع الصفات أزلا وأبدا.

## المسألة السادسة: مواقف المخالفين من مراتب القدر

**قال ابن تيمية**-رَحِمَهُ اللَّهُ-**(ت: ٧٢٨ هـ)**:"الناس قد تنازعوا في القدر، وخاضوا فيه بغير علم،

وهذا باب عظمت فيه الفتنة، وكثر فيه النزاع، وما يصيب الإنسان من الحيرة والضلال، إلا من جهة الجهل بالقدر".[١].

**قال ابن أبي العز-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٧٩٢ هـ):**"وأكبر المسائل التي وقع فيها الخلاف بين الأمة مسألة القدر، وقد اتسع الكلام فيها غاية الاتساع".[٢]

وقد حدثت بدعة"القدرية" في آخر عصر الصحابة.[٣].وكان القدر قد حدث أهله قبل أهل النفي للصفات، فمقالة القدر ظهرت في خلافة عبد الله الزبير-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-(٦٤-٧٣هـ) بعد موت معاوية.[٤]

ولهذا تكلم فيهم عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله، وواثلة بن الأسقع.[٥] -رضي الله عنهم-.

وابن عباس-رضي الله عنهما-مات (٦٨هـ) قبل ابن الزبير وابن عمر مات عقب موته (٧٤هـ).وعقب ذلك تولى الحجاج العراق سنة بضع وسبعين، فبقي الناس يخوضون في القدر بالحجاز، والشام، والعراق، وأكثره كان بالشام والعراق بالبصرة، وأقله كان بالحجاز.[٦]

وأول من عرف بنفي القدر، رجل مجوسي يقال سيسويه من الأساورة، وإن كان قد اشتهر أن أول من قال به معبد الجهني.[٧]

(١) مجموع الفتاوى، (٨/ ٢٦٢).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٣٤٠).

(٣) منهاج السنة (١/ ٣٠٨).

(٤) الحسنة والسيئة (ص: ١٠٣).

(٥) منهاج السنة (ص: ١٠٣).

(٦) الحسنة السيئة (ص: ١٠٣).

(٧) تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٢٥).

**قال الهروي-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٤٨١ هـ):**"فأما القدر فأول من تكلم به معبد الجهني رجل من أهل البصرة، كان عنده حظ من العلم يقال له معبد بن خالد، ويقال معبد ابن عبد الله بن عويم، مات بعد الهزيمة وكان يومئذ مع ابن الأشعث، وأصابته جراحة، وهو أول من تكلم بالقدر، وهو الذي تبرأ منه عبد الله بن عمر بن الخطاب.[١] مات قبل التسعين [٢] قتله الحجاج بن يوسف وقيل صلبه عبد الملك بن مروان سنة ثمانين".[٣]

وأخذ غيلان الدمشقي عن معبد الجهني [٤]

**قال الهروي-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٤٨١ هـ):**"فتكلم عليه عمرو بن عبيد، وجادل به غيلان بن مسلم الدمشقي (ت: ١٠٦ هـ) وغيلان هو ابن أبي غيلان أبو مروان من موالي عثمان، وكان عنده حظ من العلم، تكلم به أيام عبد الملك بن مروان-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ٨٦ هـ)، واستتابه عمر بن عبد العزيز-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ١٠١ هـ)، ثم ظهر منه تكذيب التوبة [٥] زمن يزيد بن عبد الملك-رَحِمَهُ اللَّهُ-(ت: ١٠٥ هـ)، ثم لما ولى هشام بن عبد الملك سنة (١٠٦هـ)، أرسل إلى غيلان وأحضر له الأوزاعي لمناظرته، ثم قتله [٦] فصلب على باب الشام بأخزى حالة لقيها بشر".[٧]

"وأما عمرو بن عبيد فهو عمرو بن كيسان أبو عثمان مولى بني تميم البصري، مات سنة ثلاث وأربعين ومائة في طريق مكة فإنه أول من بسط أساسه فأصبح رأسه، ونظم له كلامًا

---

(١) ذم الكلام (ص: ٣٠٣).

(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ١٨٧).

(٣) تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٢٥)، سير أعلام النبلاء (٤/ ١٨٧).

(٤) سير أعلام النبلاء (٤/ ١٨٧).

(٥) ذم الكلام (ص: ٣٠٣).

(٦) الشريعة للآجري (ص: ٢٢٨)، التنبيه والرد للملطي (ص: ١٦٨).

(٧) ذم الكلام ص: ٣٠٣).

ونصبه إمامًا، ودعا إليه ودل عليه، فصار مذهبًا يسلك، وهو إمام الكلام وداعية الزندقة الأولى رأس المعتزلة، سموا به لاعتزاله حلقة الحسن البصري -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ١١٠ هـ)، وهو الذي لعنه إمام أهل الأثر مالك بن أنس الأصبحي -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ١٧٩ هـ)، وإمام أهل الرأي النعمان بن ثابت الكوفي أبو حنيفة -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ١٥٠ هـ)، وحذر منه إمام أهل الشرق عبد الله بن المبارك الحنظلي -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ١٨١ هـ)، فسلط الله عليه وعلى من استتبع واخترع، سيفاً من سيوف الإسلام وهو أبو بكر أيوب بن أبي تميمة السختياني -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ١٣١ هـ)، فهتك استاره، وأظهر عواره، ورسمه باللعنة وألحق به بلاء تلك الفتنة".(١)

فقد تلقَّف المعتزلة مقالة القدرية حتى بعد ذلك أصبح إذا قيل: القدرية، فإن الذي يعنى بذلك هم المعتزلة في ذلك الحين.

ونفاة القدر أرادوا منازعة الله في الربوبية فضاهوا بذلك المجوسية الأولى وهم الزنادقة.(٢)

وأصل بدعة القدرية كانت من عجز عقولهم عن الإيمان بقدر الله والإيمان بأمره ونهيه ووعده ووعيده، وظنوا أن ذلك ممتنع؛ وكانوا قد آمنوا بدين الله وآمره ونهيه ووعده ووعيده، وظنوا أنه إذا كان كذلك لم يكن قد علم قبل الأمر من يطيع ومن يعصي، لأنهم ظنوا أن من علم ما سيكون لم يحسن منه أن يأمر وهو يعلم أن المأمور يعصيه، وظنوا أيضاً أنه إذا علم أنهم يفسدون لم يحسن أن يخلق من يفسد.

فلما بلغ قولهم بإنكار القدر الصحابة أنكروه إنكاراً عظيماً وتبرؤا منهم.ثم كثر الخوض في القدر فصار مقتصدوهم وجمهورهم يقرون بالقدر السابق وبالكتاب المتقدم، وصار النزاع في الإرادة وخلق أفعال العباد فصاروا في ذلك حزبين.

(١) ذم الكلام (ص: ٣٠٣).

(٢) ذم الكلام (ص: ٣٠٥).

١-"النفاة": يقولون لا إرادة إلا بمعنى المشيئة، وهو لم يرد إلا ما أمر به، ولم يخلق شيئًا من أفعال العباد.

٢-"المجبرة" كالجهم بن صفوان (ت: ١٢٨ هـ) وأمثاله، قابلوا الفريق الأول فقالوا ليست الإرادة إلا بمعنى المشيئة، والأمر والنهي لا يستلزم إرادة، وقالوا العبد لا فعل له البتة ولا قدرة، بل الله هو الفاعل القادر فقط.[١]

**أولًا: الموقف من مرتبة العلم والكتابة.**

والقدرية [٢] ينقسمون إلى قسمين:

القدرية الأولى

وهؤلاء هم الغلاة الذين أنكروا القدر وأنكروا علم الله السابق بالأمور، "فيقولون إن الله لا يعلم أعمال العباد قبل أن يعملوها، ولا تعلقت بها مشيئة الله، فلما شنع عليهم المسلمون، وكفروهم بذلك: تحولوا عن قولهم الأول فأثبتوا العلم، وأنكروا القدر.

**قال ابن تيمية-رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ٧٢٨ هـ):**"فهذا التقدير- أي: تقدير العلم والكتابة- قد كان ينكره غلاة القدرية قديما، ويقولون: إن الأمر أنف؛ أي: أن الله لا يعلم أفعال العباد إلا بعد وجودها".[٣].

فغلاة القدرية يقولون والعياذ بالله-: إن الله لا يعلم أن العبد سيعمل هذا العمل إلا عند وقوعه.تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.والله سبحانه وتعالى عالم بكل شيء أزلا

ولهذا كان الأئمة كالإمام أحمد-رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ٢٤١ هـ)، وغيره، يقولون:"ناظروا القدرية

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٦، ٣٧).

(٢) سموا بالقدرية لإنكارهم القدر، وكذلك تسمى الجبرية المحتجون بالقدر قدرية أيضًا، والتسمية على الطائفة الأولى أغلب.شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١/ ٧٩)، و (٢/ ٧٩٧)، معجم ألفاظ العقيدة (ص: ٣١٦).

(٣) شرح العقيدة الواسطية (ص: ٢١٩).

بالعلم فإن أنكروا العلم كفروا، وإن اعترفوا به خصموا".(١)

**قال حافظ حكمي-رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ١٣٧٧ هـ):**"ثم منهم من نفى علم الله تعالى كأوليهم، ففيهم من نفى علمه بالكليات والجزئيات ومنهم من أثبت العلم بالكليات دون الجزئيات".(٢)

**قال النووي -رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ٦٧٦ هـ):**"واعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر، ومعناه: أن الله- تبارك وتعالى- قدر الأشياء في القدم، وعلم- سبحانه- أنها ستقع في أوقات معلومة عنده -سبحانه وتعالى-، وعلى صفات مخصوصة؛ فهي تقع على حسب ما قدرها -سبحانه وتعالى-، وأنكرت القدرية هذا، وزعمت أنه -سبحانه وتعالى- لم يقدرها، ولم يتقدم علمه -سبحانه وتعالى- بها، وأنها مستأنفة العلم، أي: إنما يعلمها- سبحانه- بعد وقوعها، وكذبوا على الله سبحانه وتعالى وجل عن أقوالهم الباطلة علوًا كبيرًا.

وسميت هذه الفرقة قدرية؛ لإنكارهم القدر؛ قال أصحاب المقالات من المتكلمين: وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل، ولم يبق أحد من أهل القبلة عليه، وصارت القدرية في الأزمان المتأخرة تعتقد إثبات القدر، لكن يقولون: الخير من الله، والشر من غيره".(٣)

والنصوص في العلم والكتابة- بحمد الله تعالى- كثيرة وواضحة في الدلالة على هاتين المرتبتين: العلم والكتابة، كما تقدم ذكرهما.

**ثانيًا: الموقف من مرتبة الخلق والمشيئة.**

**قال ابن تيمية-رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ٧٢٨ هـ):**"وأما الدرجة الثانية فهي مشيئته النافذة وقدرته

(١) الدرة البهية شرح القصيدة التائية (ص: ٢٠)، مجموع الفتاوى (٨/ ٤٥٠).

(٢) معارج القبول (٣/ ٩٤٥).

(٣) شرح النووي على مسلم (١/ ١٥٤).

الشاملة، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.وأنه ما في السموات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه، لا يكون في ملكه إلا ما يريد، وأنه- سبحانه- على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات؛ فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه، لا خالق غيره، ولا رب سواه

وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي -ﷺ- مجوس هذه الأمة، ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات حتى سلبوا العبد قدرته واختياره، ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها".(١)

فالقدرية الثانية:

زعموا"أن أفعال العباد وطاعاتهم ومعاصيهم، لم تدخل تحت قضاء الله وقدره، فأثبتوا قدرة الله على أعيان المخلوقات، وأوصافها، ونفوا قدرته على أفعال المكلفين، وقالوا: إن الله لم يردها ولم يشأها منهم، بل: هم الذين أرادوها وشاءوها، وفعلوها، استقلالاً بدون مشيئة الله".(٢)

"فهؤلاء يقولون أن أفعال العباد ليست مخلوقة لله، وإنما العباد هم الخالقون لها، وهذا هو مذهب المعتزلة ومن وافقهم، فهم ينكرون مرتبتي المشيئة والخلق، فينفونها عن الله تعالى، ويثبتونها للإنسان".(٣)

وافترقت القدريَّة إلى عشرين فرقة، وهذه أسماؤها: الواصلية، والعمرية، والهذلية، والنظامية، والمردارية، والمعمرية، والثمامية، والجاحظية، والخياطية، والشحامية، وأصحاب صالح قبة، والمريسية، والكعبية، والجبائية، والبهشيمية المنسوبة إلى أبي هاشم

(١) شرح العقيدة الواسطية (ص: ٢٢٠-٢٢١).
(٢) الدرة البهية شرح القصيدة التائية (ص: ١٧).
(٣) القضاء والقدر لعبد الرحمن المحمود (ص: ٣٠٥).

بن الجبائي ".[١]

وابن تيمية -رَحِمَهُ اللَّهُ- يشير هنا إلى كل من القدرية والجبرية

وقد ضَلَّ في هذا الباب (باب أفعال الله) الجبريةُ والقدريةُ، وما زال إلى يوم الناس هذا مَن يَخبط فيه بين قائل بأن العبد مجبر على أفعاله، وبين قائل بأن العبد لا فِعل له ولا اختيار، وإنما هو كالريشة في مَهَبِّ الرِّيح، وأهل السنة والجماعة وسطٌ بين هذا وذاك.

وقد أوضَح **ابن تيمية -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ٧٢٨ هـ):** هذا في «مَجموع الفَتاوى» قول أهل السنة فقال:"وهم في باب خَلقِ الله وأمرِه وسطٌ بين المُكذِّبين بقُدرة الله الذين لا يُؤمنون بقُدرتِه الكاملة ومَشِيئته الشاملة وخَلقِه لكل شيء، وبين المُفسدين لِدين الله الذين يَجعلون العبدَ ليس له مَشِيئةٌ ولا قُدرة ولا عمل، فيُعطِّلون الأمر والنهي والثوابَ والعقاب، فيَصِيرون بمَنزلة المُشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: الآية: ١٤٨].

فيُؤمن أهل السُّنَّة بأنَّ الله على كل شيء قدير، فيَقدر أن يهدي العبادَ ويُقلِّب قلوبهم، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون في مُلكِه ما لا يُريد، ولا يَعجَز عن إنفاذ مُرادِه، وأنه خالِق كلِّ شيء من الأعيان والصِّفات والحَرَكات. ويُؤمنون أن العبدَ له قُدرة ومشيئة وعملٌ، وأنه مُختار ولا يُسمُّونه مَجْبورًا؛ إذ المَجْبور مَن أُكْرِه على خلاف اختِياره، والله عز وجل جعَل العبدَ مُختارًا لِمَا يفعله، فهو مختارٌ مُريد، والله خالِقُه وخالِقُ اختياره، وهذا ليس له نَظِيرٌ؛ فإن الله ليس كمثله شيءٌ، لا في ذاتِه ولا في صفاته ولا في أفعاله".[٢]

**وقال عبد الرحمن بن ناصر بن سِّعْدي -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ١٣٧٦ هـ):**"وهدَى الله أهلَ السُّنَّة والجَمَاعَة للتوسُّط بين طائفتين منحرفتينِ هم القدرية والجبرية، فآمَنوا بقضاء الله وقدَره

---

(١) الفرق بين الفرق لعبدالقاهر البغدادي (ص: ٤٤).

(٢) مَجموع الفَتاوى (٣/ ٣٧٣-٣٧٤).

وشُمولهما للأعيان والأوصاف والأفعال التي مِن جُملتِها أفعالُ المُكلَّفين وغيرهم، وآمَنوا بأنه ما شاء اللهُ كان وما لم يشأ لم يكُن، وآمنوا مع ذلك بأن الله تعالى جعَل للعِباد قُدرة وإرادة تقَعُ بها أقوالُهم وأفعالهم على حسب اختِيارهم وإرادتهم، فآمَنوا بكلِّ نصٍّ فيه تعميمُ قدرة ومشيئة، وبكلِّ نصٍّ فيه إثباتُ أنَّ العباد يعملون ويفعلون كلَّ الأفعال الكبيرة والصغيرة بإرادتهم وقُدْرَتِهم، وعَلِموا أن الأمرينِ لا يَتنافيانِ".[١].

وبهذا يتبين أن الملازمة الفاسدة إنما هي في أذهان وعقيدة القدرية إذ لا تنافي بين مشيئة الله ومشيئة العبد في معتقد أهل السنة والجماعة.

(١) التنبيهات اللطيفة (ص: ٦١، ٦٢).

[١٠]- قال المصنف-رَحِمَهُ اللَّهُ-:"يا شعيبُ: لا ينفَعُك ما كتبت لك حتَّى ترى الصَّلاةَ خلفَ كلِّ برٍّ وفاجرٍ".

## الشرح

## الصلاة خلف البر والفاجر

عند أهل السنة أنه يصلى خلف كل بر وفاجر، هذا هو الصواب، فأنت تصلي خلف الأمراء وتجاهد معهم وإن كانوا أهل معاصي، وتصلي خلف أئمة المساجد وإن كان فيهم معصية.

وفي صحيح البخاري: أن عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما-كان يصلي خلف الحجاج بن يوسف الثقفي، وكذا أنس بن مالك، وكان الحجاج فاسقًا ظالما.

قال النووي:"وأما صلاة ابن عمر خلف الحجاج بن يوسف فثابتة في صحيح البخاري".[١]

روى البخاري في صحيحه قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ سَالِمٍ قَالَ: كَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى الْحَجَّاجِ"أَنْ لَا يُخَالِفَ ابْنَ عُمَرَ فِي الْحَجِّ"، فَجَاءَ ابْنُ عُمَرَ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-وَأَنَا مَعَهُ يَوْمَ عَرَفَةَ حِينَ زَالَتْ الشَّمْسُ فَصَاحَ عِنْدَ سُرَادِقِ الْحَجَّاجِ فَخَرَجَ وَعَلَيْهِ مِلْحَفَةٌ مُعَصْفَرَةٌ، فَقَالَ:"مَا لَكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟"، فَقَالَ:"الرَّوَاحَ إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ السُّنَّةَ"، قَالَ:"هَذِهِ السَّاعَةَ؟!"، قَالَ:"نَعَمْ"، قَالَ:"فَأَنْظِرْنِي حَتَّى أُفِيضَ عَلَى رَأْسِي ثُمَّ أَخْرُجُ"، فَنَزَلَ حَتَّى خَرَجَ الْحَجَّاجُ فَسَارَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي، فَقُلْتُ:"إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ السُّنَّةَ فَاقْصُرْ الْخُطْبَةَ وَعَجِّلْ

(١) المجموع (٤/ ٢٢٢)، وكذا ابن الملقن في البدر المنير (٤/ ٥٢٠)، والحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير (٢/ ٤٣).

الْوُقُوفَ"، فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى عَبْدِ اللهِ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عَبْدُ اللهِ قَالَ:"صَدَقَ".[١]

قال ابن حجر:"وَفِيهِ: صِحَّةُ الصَّلَاةِ خَلْفَ الْفَاسِقِ".[٢].

وروى ابن أبي شيبة في المصنف عن عُمَيْرِ بن هَانِئٍ قال: شَهدت ابن عمر والحجاج مُحَاصِرٌ ابن الزبير، فكان منزل ابن عمر بينهما، فكان ربما حضر الصلاة مع هؤلاء، وربما حضر الصلاة مع هؤلاء".[٣].

وفي صحيح البخاري أيضًا، أن النبي -ﷺ- قال: (يصلون لكم، فإن أصابوا فلكم ولهم، وأن أخطأوا فلكم وعليهم).[٤]

وقد كان الصحابة -رضوان الله عليهم- يصلون خلف من يعرفون فجوره كما صلى عبد الله بن مسعود وغيره من الصحابة خلف الوليد بن عقبة بن أبي معيط[٥]، وكان قد يشرب الخمر وصلى مرة الصبح أربعًا وجلده عثمان بن عفان على ذلك[٦]، فمثل هذه الأمور أهل السنة وأصحاب النبي -ﷺ- لنا فيهم الأسوة والقدوة، فهم أسوتنا وقدوتنا.

(١) صحيح البخاري رقم (١٦٦٠)

(٢) فتح الباري لابن حجر (٣/ ٥١٢).

(٣) المصنف (٢/ ١٥٢) قال ابن حجر: "إسناده صحيح".المطالب العالية (٣/ ٧٠٢).

(٤) صحيح البخاري مع فتح الباري (٢/ ٣٢٩).

(٥) الحديث رواه أحمد (١/ ٤٥٠) (٤٢٩٨، والطبراني (٩/ ٢٩٩) (٩٥٢٠).قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٣٢٩): رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله ثقات، وصحح إسناده أحمد شاكر في تحقيقه للمسند (٦/ ١٤٦).

(٦) رواه أحمد (١/ ١٤٤) (١٢٢٩)، والبيهقي (٨/ ٣١٨) (١٧٩٨٥).قال شعيب الأرناؤوط محقق (المسند): إسناده صحيح على شرط مسلم.

[١١]- قال المصنف -رَحِمَهُ اللهُ-: "والجهاد [ماضٍ] إلى يومِ القيامَةِ".

## الشرح

## الجهاد ماض

قال محمد بن أبي زمنين[(١)] -رَحِمَهُ اللهُ-: "ومن قول أهل السنة أن الحج والجهاد مع كل بر أو فاجر من السنة والحق، وقد فرض الله الحج فقال: (والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) [آل عمران: ٩٧]، وأعلمنا بفضل الجهاد في غير موضع من كتابه، وقد علم أحوال الولاة الذين لا يقوم الحج والجهاد إلا بهم، فلم يشترط ولم يبين وما كان ربك نسيا"[(٢)].

وقال قوام السنة الأصفهاني: «والجهاد ماض منذ بعث الله نبيه إلى آخر عصابة تقاتل الدجال»[(٣)]. كما قرر ذلك علي بن المديني[(٤)]، والطحاوية[(٥)]، وابن بطة[(٦)]، والصابوني[(٧)]، وابن قدامة[(٨)]، وابن تيمية [(٩)]، وغيرهم.

(١) أبو عبد الله محمد بن أبي زمنين الأندلسي، شيخ قرطبة، صاحب جد وإخلاص، ومجانبة للأمراء، وله مصنفات، توفي سنة ٣٩٩هـ.انظر الديباج المذهب ٢/ ٢٣٢، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ١٨٩.

(٢) أصول الدين لابن أبي زمنين ص ٢٨٨.

(٣) الحجة ٢/ ٢٩١.

(٤) انظر: أصول السنة للالكائي ١/ ١٩٧.

(٥) انظر شرح الطحاوية ٢/ ٥٥٥.

(٦) انظر الإبانة الصغرى ص ٢٧٨.

(٧) انظر: عقيدة السلف الصابوني ص ٢٩٤.

(٨) انظر لمعة الاعتقاد ص ٣٧.

(٩) انظر: مجموع الفتاوى ٢٨/ ٢٩٠، ٣٠/ ٣٨.

وقد حكى محمد بن حبيب مفاسد ترك الغزو مع أئمة الجور فقال: «سمعت أهل العلم يقولون: لا بأس بالجهاد مع الولاة، وإن لم يضعوا الخمس موضعه، وإن لم يوفوا بعهد إن عاهدوا، ولو عملوا ما عملوا، ولو جاز للناس ترك الغزو معهم بسوء حالهم لاستذل الإسلام، وتخيفت أطرافه، واستبيح حريمه، ولعلى الشرك وأهله»(١).

ويريد المصنف هنا أن يميز بين مذهب أهل السنة وبين قول الرافضة الذين عطلوا الجهاد، وعطلوا صلاة الجمعة بدعوى أنها لا تصح إلا بعد خروج المهدي المنتظر على حد زعمهم.

فشيوخ الشيعة يقولون:"إن صلاة الجمعة لا تجب عليهم حتى يخرج مهديهم المزعوم من سردابه لكي يصلي بهم"(٢).

وشيوخ الشيعة يقولون:"إن الجهاد قبل خروج المهدي المنتظر حرام كحرمة الميتة والدم ولحم الخنزير"(٣).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"ومن أصول أهل السنة والجماعة أنهم يصلون الجمع والأعياد والجماعات-لا يدعون الجمعة والجماعة كما فعل أهل البدع من الرافضة وغيرهم-فإن كان الإمام مستوراً لم يظهر منه بدعة ولا فجور صُلّي خلفه الجمعة والجماعة باتفاق الأئمة الأربعة وغيرهم من أئمة المسلمين".

قال ابن تيمية: "وَمَنْ أَنْكَرَ مَذْهَبَ الرَّوَافِضِ وَهُوَ لَا يُصَلِّي الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ بَلْ يُكَفِّرُ الْمُسْلِمِينَ فَقَدْ وَقَعَ فِي مِثْلِ مَذْهَبِ الرَّوَافِضِ فَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَا أَنْكَرَهُ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَيْهِمْ تَرْكُهُمْ

(١) أخرجه ابن أبي زمنين في أصول السنة ص ٢٨٩.

(٢) انظر مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة لمحمد جواد العاملي ج٢/ ٦٩ كتاب الصلاة.

(٣) انظر كتاب فروع الكافي ج٥ / ٧٨٧.

الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ وَتَكْفِيرَ الْجُمْهُورِ"(١)

فالرافضة كانوا يقولون لا جهاد حتى يخرج الرضا من آل محمد، فقد جاء في فروع الكافي عن أبي عبد الله جعفر الصادق قال: "القتال مع غير الإمام المفترض طاعته حرام مثل الميتة والدم ولحم الخنزير"(٢)

وقد أحدث الخميني تغييرًا في المذهب الرافضي، فقرر أن للولي الفقيه جميع ما للإمام من الوظائف والأعمال إلا البداءة بالجهاد فهو من وظائف المهدي، ثم تناقض الخميني فجعل الجهاد منوطًا بجيش جمهوريته.(٣)

أما الخوارج فيجمعون على وجوب الخروج على الإمام الجائر(٤) فكيف يجاهدون معه؟ بل كانوا يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان.(٥)

قال ابن حزم: "جميع فرق الضلالة لم يجر الله على أيديهم خيرًا، ولا فتح الله بهم من بلاد الكفر قرية، ولا رفعوا للإسلام راية، وما زالوا يسعون في قلب نظام المسلمين، ويفرقون كلمة المؤمنين، ويسلون السيف على أهل الدين، ويسعون في الأرض مفسدين، أما الخوارج والشيعة فأمرهم في هذا أشهر من أن يتكلف ذكره"(٦)

---

(١) مجموع الفتاوى: ٢٣/ ٣٥٤.

(٢) الكافي ١/ ٣٣٤، وانظر مختصر التحفة الاثنى عشرية ص ٢٢١.

(٣) انظر: أصول الشيعة للقفاري: ٣/ ١١٧٢؛ المصدر: مسائل الفروع الواردة في مصنفات العقيدة: ص: ٣٤.

(٤) الفرق بين الفرق، ص ٧٣.

(٥) مسائل الفروع الواردة في مصنفات العقيدة: ص: ٣٤.

(٦) الفصل: ٥/ ٩٨.

## الصبر تحت لواء السلطان

**وفيه مسائل:**

المسألة الأولى: السمع والطاعة في المعروف

المسألة الثانية: أن السمع والطاعة تكون بالمعروف

## [١٢]- قال المصنف-رَحِمَهُ اللهُ-:"والصَّبر تحت لواءِ السُّلطان جار أم عدلَ".

الشرح

مسألة الإمامة الكبرى يذكرها علماء أهل السنة والجماعة في ضمن مسائل الاعتقاد وذلك تحت عنوان الخلافة والإمامة، ومعلوم أن الإمامة على نوعين: صغرى وكبرى، فالصغرى إمامة الصلاة، والعظمى أو الكبرى إمامة المسلمين.

فدونوا هذه القواعد في هذه المسائل في كتب عقائدهم لكي يعرف الإنسان ماذا يجب عليه تجاه ولي أمره، لما في ذلك من المصالح الكبرى والصغرى المتحققة من جراء ذلك

ومن المسائل تحت هذا الباب

**أما المسألة الأولى:**

### السمع والطاعة في المعروف.

فهذه من الأصول والقواعد المهمة، فالسمع والطاعة للأئمة تكون بالمعروف، ويمكن تناول هذه المسألة من جانبين:

الجانب الأول: وجوب السمع والطاعة لولي الأمر.

فمن عقيدة أهل السنة والجماعة السمع والطاعة للأئمة فيما يُحب الله ويرضى، فالسمع والطاعة إنما يكون في المعروف إذ لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق.

فلابد من السمع والطاعة في المنشط وفي المكره، وفيما تُحب وفيما لا تُحب، بشرط أن يكون ذلك المأمور به ليس فيه معصيةٌ لله عز وجل، فلابد من السمع والطاعة لولاة الأمر من المسلمين

ومن الأدلة على ذلك:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾

[النساء:٥٩].

وقال عليه الصلاة والسلام: (من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني)(١).

فمأمورٌ أن تسمع وتطيع حتى وإن كان ذلك الشخص على فجور، وكما قال النبي -ﷺ-: (أدوا الذي عليكم واسألوا الله الذي لكم) (٢)، ومعلومٌ أن ولاية أمر المسلمين واستتبابها فيه من المصالح العظمى للدين والدنيا ما يعلمه كل عاقل، فمن أول المصالح استتباب الأمن، واستتباب الأمن معنى ذلك أن الشعائر ستُقام، ومعنى ذلك أن الأعراض والأموال والأنفس ستُحفظ، وإذا ضاع أمن الناس فإن الواحد منهم لن يستطيع حتى أن يقيم صلاة الجماعة، ولن يستطيع أن يأمن على نفسه ولا على ماله، ولا على عرضه.

فنعمة الأمن من أعظم النعم، ومن أسباب تحقيقها استقرار الحكم لولي الأمر، ونحن نرى بعض البلدان التي انعدم أمنها بسبب عدم استقرار الحكم فيها، أما البلد الذي استقر فيه الحكم لولي الأمر في ذلك البلد الغالب عليه الأمن والاستقرار.

فكل بلدٍ متى ما كان لها ولي أمر استقر حالها، واستتب أمنها.

وهذا بخلاف أهل البدع، فإنهم لا يسمعون ولا يطيعون لولاة الأمور، كالخوارج، فهم يرون أن ولي الأمر إذا عصى كفر ووجب قتله وخلعه وإزالته من الإمامة، وكذلك المعتزلة فإنهم يرون أنه إذا عصى ولي الأمر وفعل الكبيرة خرج من الإمامة فلا يطيعونه، بل إن من أصول الدين عندهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وضمنوه الخروج على ولاة الأمور

(١) أخرجه البخاري (٢٩٥٧) واللفظ له، ومسلم (١٨٣٥).

(٢) انظر صحيح البخاري كتاب الفتن، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ -ﷺ-: (سَتَرَوْنَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكِرُونَهَا) برقم (٧٠٥٢)، ومسلم كتاب الإمارة، بَابُ الْأَمْرِ بِالْوَفَاءِ بِبَيْعَةِ الْخُلَفَاءِ، الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ، برقم (١٨٤٣)، والترمذي (٢١٩٠)، والإمام أحمد في المسند مسند المكثرين من الصحابة (٣٦٤١).

إذا جاروا وظلموا، والروافض كذلك يرون أنه ليس هناك طاعة إلا للإمام المعصوم، وأما ولاة الأمور الموجودين في كل وقت فهم كفرة فسقة يجب قتلهم وخلعهم وإزالتهم من الإمامة، ولا طاعة إلا للإمام المعصوم، وهم الأئمة الاثنا عشر الذي نص عليهم بزعمهم.

## الجانب الثاني: أن السمع والطاعة تكون بالمعروف.

ومن الأدلة على ذلك:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ-، أَنَّهُ قَالَ: (عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ).[1]

عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ:"إِنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ".[2].

وحديث عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- يَقُولُ: «خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ»، قَالُوا: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ؟ قَالَ: «لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، أَلَا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ، فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ».[3] ولا يجوز الخروج على ولاة الأمور للمعاصي بل يجب الصبر وعدم الخروج.

---

(١) رواه مسلم (٣/ ١٤٦٩) (١٨٣٩)

(٢) رواه مسلم (١/ ٤٤٨) (٦٤٨)

(٣) رواه مسلم (٣/ ١٤٨٢) (١٨٥٥)

وحديث: «لا طاعة لمخلوق في معصية اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»[(١)]

قوله ﷺ: «إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ».[(٢)]

أقوال العلماء[(٣)]:

قال أبو الحسنِ الأشعريُّ-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-وهو يُعدِّدُ ما أَجْمَعَ عليه السلفُ مِنَ الأصول ـ:"وأجمعوا على السَّمْعِ والطَّاعةِ لأئمَّةِ المسلمين، وعلى أنَّ كُلَّ مَنْ وَلِيَ شيئًا مِنْ أمورهم عن رِضًى أو غَلَبةٍ وامتدَّتْ طاعتُه مِنْ بَرٍّ وفاجرٍ لا يَلْزَمُ الخروجُ عليهم بالسيف، جارَ أو عَدَلَ".[(٤)]

وقال ابنُ تيميَّة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:"فأهلُ السنَّةِ لا يُطيعون وُلَاةَ الأمورِ مطلقًا، إنما يُطيعونهم في ضِمْنِ طاعةِ الرسول ﷺ، كما قال تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء: الآية: ٥٩][(٥)]، وقال ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ ـ أيضًا ـ: «ولهذا كان مذهبُ أهلِ الحديث: تَرْكَ الخروجِ بالقتال على الملوك البُغَاة، والصبرَ على ظُلْمِهم إلى أَنْ يَسْتريحَ بَرٌّ أو يُسْتراحَ مِنْ فاجرٍ»[(٦)].

(١)أخرجه أحمد في مسنده (١٠٩٥) مِنْ حديثِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ-رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ-.وصحَّحه أحمد شاكر في تحقيقه لـ: مسند أحمد (٢/ ٢٤٨)، والألبانيُّ في صحيح الجامع (٧٥٢٠).

(٢) أخرجه البخاريُّ في الأحكام بابُ السمعِ والطاعة للإمام ما لم تكن معصيةً (٧١٤٥)، ومسلمٌ في الإمارة (١٨٤٠)، مِنْ حديثِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ-رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ-.

(٣) وللمَزيدِ يمكن مُراجَعةُ المَصادِرِ التالية: مقالات الإسلاميِّين (١/ ٣٤٨) والإبانة (ص: ٦١) كلاهما للأشعري، الشريعة للآجُرِّي (ص: ٣٨-٤١)، اعتقاد أئمَّة الحديث للإسماعيلي (ص: ٧٥-٧٦)، الشرح والإبانة لابن بطَّة (ص: ٢٧٦-٢٧٨)، الاعتقاد للبيهقي (ص: ٢٤٢-٢٤٦)، العقيدة الواسطية مع شرحها للهرَّاس (ص: ٢٥٧-٢٥٩)، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزِّ (٢/ ٥٤٠ـ٥٤٤).

(٤) رسالةٌ إلى أهل الثغر للأشعري (ص: ٢٩٦).

(٥) منهاج السنَّة لابن تيمية (٢/ ٧٦).

(٦) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/ ٤٤٤).

وقال النوويُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:"لا تُنازِعوا وُلَاةَ الأمورِ في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلَّا أَنْ تَرَوْا منهم مُنْكَرًا مُحقَّقًا تعلمونه مِنْ قواعدِ الإسلام، فإذا رأيتم ذلك فأَنْكِروه عليهم وقولوا بالحقِّ حيث ما كنتم، وأمَّا الخروجُ عليهم وقتالُهم فحرامٌ بإجماعِ المسلمين وإِنْ كانوا فَسَقَةً ظالمين، وقد تَظاهَرَتِ الأحاديثُ بمَعْنَى ما ذَكَرْتُه، وأَجْمَعَ أهلُ السنَّة أنه لا يَنْعَزِلُ السلطانُ بالفسق".[١]

فالسمع والطاعة تكون لولاة الأمور في طاعة الله، أما المعاصي فلا يطاع فيها، فإذا أمر الأمير شخصًا بشرب الخمر فلا يطيعه، أو أمره أن يقتل أحدًا بغير حق لا يطيعه، وإذا أمر الوالد ولده بالمعصية فلا يطيعه، وإذا أمر الزوج زوجته بالمعصية فلا تطيعه، وإذا أمر السيد عبده بالمعصية فلا يطيعه، لكن لا يتمرد عليه، فليس للرعية أن يتمردوا على الأمير أو ولي الأمر، بل لا يطيعونه في المعصية وما عدا ذلك فيطيعونه، في الأمور المباحة ويطيعونه في طاعة الله ورسوله.

(١) شرح النووي على مسلم (١٢/ ٢٢٩).

**[١٣]- قال المصنف-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:"قال شعيب: فقلت لسفيان: يا أبا عبد اللّٰه الصَّلاة كلها؟**

**قال: لا؛ ولكن صلاةَ الجمعةِ والعيدينِ خلف من أدركت، صَلِّ خلف مَن أدركت.**

**وأما سائرُ ذلك: فأنت مُخيّرٌ أن لا تُصلي إلَّا خلفَ مَن تَثِقُ به وتعلمُ أنه مِن أهلِ السُّنَّةِ والجماعة.**

**يا شعيبُ بن حربٍ: إذا وقفت بين يديّ اللّٰه-عز وجل-فسألك عن هذا الحديثِ؟ فقل: [يا ربِّ]، حدثني بهذا الحديث سفيان [بن سعيد] الثوري، ثم خلِّ بيني وبين ربّي-عز وجل-.**

**وحسبنا اللّٰه ونعم الوكيل.**

**الشرح**

## الصلاة خلف المبتدع

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"وكان الصحابة والتابعون يصلون خلف ابن أبي عبيد وكان متهماً بالإلحاد وداعياً إلى الضلال[١]

وسار التابعون ومن تبعهم بإحسان من أئمة السلف على هذا، فقرروه قولاً وفعلاً، فمن ذلك: ما جاء عن الأعمش رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال:"كان كبار أصحاب عبد الله -يعني ابن مسعود- يصلون الجمعة مع المختار ويحتسبون بها".[٢]

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٨١).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في (المصنف (١/ ٤٧٥) برقم (٥٤٩٧)، وابن أبي زمنين في أصول السنة (ص: ٢٨٤) برقم: (٢١٠).

وقد كان أبو وائل -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- يصلي الجمعة مع المختار بن أبي عبيد[١].

وعن الحسن -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أنه سئل عن الصلاة خلف صاحب البدعة، فقال الحسن: "صل خلفه، وعليه بدعته".[٢]

وعن الحكم بن عطية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أنه قال: سألت الحسن وقلت: رجل من الخوارج يؤمنا، أنصلي خلفه؟ قال: "نعم، قد أم الناس من هو شر منه".[٣]

وعن ابن وضاح -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: قال: سألت الحارث بن مسكين: هل ندع الصلاة خلف أهل البدع؟ فقال: "أما الجمعة خاصة فلا، وأما غيرها من الصلاة فنعم".[٤]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: "وأما الصلاة خلف أهل الأهواء والبدع، وخلف أهل الفجور، ففيه نزاع مشهور وتفصيل ليس هذا موضع بسطه.

ولكن أوسط الأقوال في هؤلاء أن تقديم الواحد من هؤلاء في الإمامة، لا يجوز مع القدرة على غيره، فإن من كان مظهراً للفجور أو البدع يجب الإنكار عليه ونهيه عن ذلك، وأقل مراتب الإنكار هجره لينتهي عن فجوره وبدعته، ولهذا فرق جمهور الأئمة بين الداعية وغير الداعية، فإن الداعية أظهر المنكر فاستحق الإنكار عليه، بخلاف الساكت فإنه بمنزلة من أسر بالذنب، فهذا لا ينكر عليه في الظاهر، فإن الخطيئة إذا خفيت لم تضر إلا صاحبها، ولكن إذا أعلن فلم تنكر ضرت العامة، ولهذا كان المنافقون تقبل منهم علانيتهم، وتوكل سرائرهم إلى الله تعالى بخلاف من أظهر الكفر".[٥]

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف) (١/ ٤٧٥) برقم: (٥٤٩٧)، وَعَبَد الرزاق في المصنف (٢/ ٣٨٦) برقم: (٣٧٩٨).

(٢) صحيح البخاري كتاب الأذان (٥٦) وقال: باب إمامة المفتون والمبتدع.وَعَلَّقَ قَوْل الحسن: (صلِّ وعليه بدْعَتُهُ).

(٣) رواه ابن أبي زمنين في أصول السنة (ص: ٢٨٤) برقم: (٢١١).

(٤) رواه ابن أبي زمنين في أصول السنة (ص: ٢٨٤) برقم: (٢١٢).

(٥) مجموع الفتاوى (٢٣/ ٣٤٢)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللَّهُ-: "وَلَوْ عَلِمَ الْمَأْمُومُ أَنَّ الإِمَامَ مُبْتَدِعٌ يَدْعُو إِلَى بِدْعَتِهِ، أَوْ فَاسِقٌ ظَاهِرُ الْفِسْقِ، وَهُوَ الإِمَامُ الرَّاتِبُ الَّذِي لا تُمْكِنُ الصَّلاةُ إلا خَلْفَهُ، كَإِمَامِ الْجُمُعَةِ وَالْعِيدَيْنِ، وَالإِمَامِ فِي صَلاةِ الْحَجِّ بِعَرَفَةَ وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْمَأْمُومَ يُصَلِّي خَلْفَهُ عِنْدَ عَامَّةِ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَحْمَد وَالشَّافِعِيِّ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَغَيْرِهِمْ.

وَلِهَذَا قَالُوا فِي الْعَقَائِدِ: إنَّهُ يُصَلِّي الْجُمُعَةَ وَالْعِيدَ خَلْفَ كُلِّ إمَامٍ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا.

وَكَذَلِكَ إذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْقَرْيَةِ إلا إمَامٌ وَاحِدٌ، فَإِنَّهَا تُصَلَّى خَلْفَهُ الْجَمَاعَاتُ؛ فَإِنَّ الصَّلاةَ فِي جَمَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ صَلاةِ الرَّجُلِ وَحْدَهُ، وَإِنْ كَانَ الإِمَامُ فَاسِقًا.هَذَا مَذْهَبُ جَمَاهِيرِ الْعُلَمَاءِ: أَحْمَد بْنِ حَنْبَلٍ وَالشَّافِعِيِّ وَغَيْرِهِمَا، بَلْ الْجَمَاعَةُ وَاجِبَةٌ عَلَى الأَعْيَانِ فِي ظَاهِرِ مَذْهَبِ أَحْمَد. وَمَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ خَلْفَ الإِمَامِ الْفَاجِرِ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ عِنْدَ الإِمَامِ أَحْمَد وَغَيْرِهِ مِنْ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ..

وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ يُصَلِّيهَا وَلا يُعِيدُهَا؛ فَإِنَّ الصَّحَابَةَ كَانُوا يُصَلُّونَ الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ خَلْفَ الأَئِمَّةِ الْفُجَّارِ وَلا يُعِيدُونَ، كَمَا كَانَ ابْنُ عُمَرَ يُصَلِّي خَلْفَ الْحَجَّاجِ، وَابْنُ مَسْعُودٍ وَغَيْرُهُ يُصَلُّونَ خَلْفَ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ وَكَانَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ؛ حَتَّى إنَّهُ صَلَّى بِهِمْ مَرَّةً الصُّبْحَ أَرْبَعًا، ثُمَّ قَالَ: أَزِيدُكُمْ؟ فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: مَا زِلْنَا مَعَك مُنْذُ الْيَوْمَ فِي زِيَادَةٍ !! وَلِهَذَا رَفَعُوهُ إلَى عُثْمَانَ...

وَالْفَاسِقُ وَالْمُبْتَدِعُ صَلاتُهُ فِي نَفْسِهِ صَحِيحَةٌ؛ فَإِذَا صَلَّى الْمَأْمُومُ خَلْفَهُ لَمْ تَبْطُلْ صَلاتُهُ، لَكِنْ إنَّمَا كَرِهَ مَنْ كَرِهَ الصَّلاةَ خَلْفَهُ لأَنَّ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَاجِبٌ، وَمِنْ ذَلِكَ [يعني: ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر] أَنَّ مَنْ أَظْهَرَ بِدْعَةً أَوْ فُجُورًا لا يُرَتَّبُ إمَامًا لِلْمُسْلِمِينَ فَإِنَّهُ يَسْتَحِقُّ التَّعْزِيرَ حَتَّى يَتُوبَ فَإِذَا أَمْكَنَ هَجْرُهُ حَتَّى يَتُوبَ كَانَ حَسَنًا وَإِذَا كَانَ بَعْضُ النَّاسِ إذَا تَرَكَ الصَّلاةَ خَلْفَهُ وَصَلَّى خَلْفَ غَيْرِهِ أَثَّرَ ذَلِكَ حَتَّى يَتُوبَ أَوْ يُعْزَلَ أَوْ يَنْتَهِيَ النَّاسُ عَنْ مِثْلِ ذَنْبِهِ.فَمِثْلُ هَذَا إذَا تَرَكَ الصَّلاةَ خَلْفَهُ كَانَ فِيهِ مَصْلَحَةٌ وَلَمْ يَفُتْ الْمَأْمُومَ جُمُعَةٌ وَلا جَمَاعَةٌ.وَأَمَّا إذَا كَانَ تَرَكَ الصَّلاةَ يَفُوتُ الْمَأْمُومَ الْجُمُعَةُ وَالْجَمَاعَةُ فَهُنَا لا يَتْرُكُ

الصَّلاةَ خَلْفَهُمْ إلا مُبْتَدِعٌ مُخَالِفٌ لِلصَّحَابَةِ رضي الله عنهم.

وَكَذَلِكَ إذَا كَانَ الإِمَامُ قَدْ رَتَّبَهُ وُلاةُ الأُمُورِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي تَرْكِ الصَّلاةِ خَلْفَهُ مَصْلَحَةٌ، فَهُنَا لَيْسَ عَلَيْهِ تَرْكُ الصَّلاةِ خَلْفَهُ، بَلْ الصَّلَاةُ خَلْفَ الإِمَامِ الأَفْضَلِ أَفْضَلُ "(١)

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللَّهُ-**:"فالواجب على المسلم إذا صار في مدينة من مدائن المسلمين أن يصلي معهم الجمعة والجماعة ويوالي المؤمنين، ولا يعاديهم، وإن رأى بعضهم ضالاً أو غاوياً وأمكن أن يهديه ويرشده فعل ذلك، وإلا فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وإذا كان قادراً على أن يولي في إمامة المسلمين الأفضل ولاه، وإن قدر أن يمنع من أظهر البدع والفجور منعه.

وإن لم يقدر على ذلك فالصلاة خلف الأعلم بكتاب الله وسنة نبيه والأسبق إلى طاعة الله ورسوله أفضل، كما قال النبي -ﷺ- في الحديث الصحيح: (يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا سواء فأقدمهم هجره، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سناً).(٢)

وإن **كان** في هجره لمظهر البدعة والفجور مصلحة راجحة هجره، كما هجر النبي -ﷺ- الثلاثة الذين خُلِّفُوا حتى تاب الله عليهم، وأما إذا وُلِّي غيره بغير إذنه، وليس في ترك الصلاة خلفه مصلحة شرعية كان تفويت هذه الجمعة والجماعة جهلًا وضلالًا، وكان قد رَدَّ بدعة ببدعة".(٣)

**وخلاصة القول**: أن أكثر العلماء يرون جواز الصلاة خلف المبتدع على التفصيل الذي قدمناه، ومنهم من منعها وأبطلها وقال بوجوب إعادتها، وممن رجح صحة الصلاة: الإمام

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: (٢٣/ ٣٥٢-٣٥٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١٠٧٩).

(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٨٦).

البخاري وابن حجر وابن تيمية، ومن المعاصرين الشيخ ابن باز -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- وهو يفصل بين من كانت بدعته شركية كفرية وبين من ليس كذلك فيقول: "تصح الصلاة خلف المبتدع وخلف المسبل إزاره وغيرهما من العصاة في أصح قولي العلماء، ما لم تكن البدعة مكفرة لصاحبها، فإن كانت مكفرة له كالجهمي ونحوه ممن بدعتهم تخرجهم عن دائرة الإسلام، فلا تصح الصلاة خلفهم، ولكن يجب على المسئولين أن يختاروا للإمامة من هو سليم من البدعة والفسق، مرضي السيرة؛ لأن الإمامة أمانة عظيمة، القائم بها قدوة للمسلمين، فلا يجوز أن يتولاها أهل البدع والفسق مع القدرة على تولية غيرهم". والعلماء ذكروا تفاصيل كثيرة تتعلق بالتفريق بين الصلوات العادية وبين صلاة الجمعة والعيدين ويوم عرفة، والتفريق بين من كان مستور الحال ومن هو مجاهر بفسقه أو بدعته، وبين من بدعته مكفرة وبين من هو دون ذلك، وبين من كان هذا المسجد هو الوحيد في ذلك المكان وبين من بإمكانه أن يصلي في مسجد غيره إلى غير ذلك من التفاصيل التي يصعب إيرادها في مثل هذا الشرح.

# الفهرس